بسم الله الرحمن الرحيم

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

تصدر عن

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

قسم الشؤون الفكرية والثقافية / العتبة الحسينية المقدسة

العدد التاسع عشر

السنة الخامسة (١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م)

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

الهيئة الاستشارية

آية الله الشيخ محمد السند
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني
آية الله السيّد رياض الحكيم
آية الله السيّد عادل العلوي
آية الله السيّد منير الخباز
العلّامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي
العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الإصلاح الحسيني

رئيس التحرير :................*

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

مدير التحرير :................*

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

هيئة التحرير :................*

الشيخ غزوان العتابي

د. الشيخ محمد الكروي القيسي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ رغدان المنصوري

المقابلة وتقويم النص :..........*

الشيخ عدنان الطائي

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

التصميم والإخراج الفنّي :.....*

السيّد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

معتمد الترجمة الإنجليزية :...*

بدر شاهين

الإشراف العام :....................*

سماحة الشيخ علي الفتلاوي

التنسيق العام :....................*

السيّد صالح التنكابني

السيّد مالك البطاط

د. علي البديري

زيد فرج الله الأسدي

د. مريم هادي الياسري

إدارة المؤسّسة :....................*

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدّسة)

معاونية المؤسّسة :..................*

الشيخ عبّاس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدّسة)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة

مجلّة فصلية علمية تخصّصية تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلّة

تهتمُّ المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلّة

١ـ إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.

٢ ـ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.

٣ ـ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ ـ فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.

٥ ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكّرين.

٦ـ استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ ـ فسح المجال أمام الباحثين والمفكّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول النهضة الحسينية.

ضوابط النشر

تدعـو المجلّة العلماء والأسـاتذة والباحثـين وكل مَن لديه اهتـمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص الـمجلّة وأركانها.
- ألّا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة.
- أن تكون ضمن المناهج العلميّة المتَّبعة.
- أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
- أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبِّر بالضرورة عن رأي الـمجلّة.
- لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنشَر.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
- إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات الـمجلّة.
- للمجلّة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
- كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
- تتّبع الـمجلّة نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- الـمجلّة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

مراكز النشر

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ المكتبة العلمية.
* النجف الأشرف: شارع الرسول صلى الله عليه وآله ـ مكتبة دار الهلال.
* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.
* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.
* بغداد: شارع المتنبّي ـ مكتبة العين.
* البصرة: العشّار ـ مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
* إيران / قم المقدّسة: شارع معلم ـ سوق ناشران ـ معرض العتبة الحسينية المقدّسة.
* إيران / قم المقدّسة: صفائية ـ سوق الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ مكتبة فدك.
* إيران / قم المقدّسة: سوق كذرخان ـ مكتبة الهاشمي.

المحتويات

مقال التحرير

محاولات الاستغلال لمبدأ الإصلاح في الشعائر الحسينية.. قراءةٌ نقدية في كتاب (تراجيديا كربلاء)

الشيخ صباح عبّاس الساعدي ١٣

ملف العدد
الشعائر الحسينية ومشروع الإصلاح.. التأثير والتأثّر

حواريّة: الخطوط العامّة في الشعائر وحدود الإصلاح

العلّامة السيّد مصطفى حسينيان ٤٩

ندوة: الجزع على الإمام الحسين عليه السلام بين الاستدلال الفقهي والتنظير الفكري

العلّامة السيّد حسين الحكيم ٧٣

إصلاح الشعائر الحسينية في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام

د. الشيخ حيدر خمّاس الساعدي ٩٩

الإفراط والتفريط في التعامل مع الشعائر الحسينية

زهراء السالم ١١٩

قراءةٌ في شهادة البطل عابس الشاكري ودعوى الجنون الموهوم

شاكر الغزّي ١٤٩

دور الزيارة الأربعينية في الإصلاح
الشيخ محمد رضا الساعدي ١٧١

دور الشعائر الحسينية في تحفيز الذكاء العاطفي
صدّيقة محمد أصغر الموسوي ١٩٩

التغنّي في مراثي الإمام الحسين عليه السلام
الشيخ أحمد موسى العلي ٢٣٣

دراسات حسينية فقهية

حكم زيارة الإمام الحسين عليه السلام
الشيخ حسن البشيري ٢٦١

زيارة الإمام الحسين عليه السلام في شهر رمضان
السيّد محمد هاشم المدني ٢٩١

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية ٣٠٩

مقال التحرير

محاولات الاستغلال لمبدأ الإصلاح في الشعائر الحسينية

قراءةٌ نقدية في كتاب (تراجيديا كربلاء)

محاولات الاستغلال لمبدأ الإصلاح في الشعائر الحسينية
قراءةٌ نقدية في كتاب (تراجيديا كربلاء)

الشيخ صباح عبّاس الساعدي*

تمهيد

اتحدت الاستعمالات لمفردة الصلاح والإصلاح في الخطابات الإلهية ـ ضمن النصوص الكثيرة ـ مع ذات المعنى الوارد في الموسوعات والمعاجم اللُّغوية الذي أُريد منه ما يقابل الفساد[1]؛ إذ نجد هذا الاستخدام الواضح والصريح في الخطابات الإلهية المحذّرة للمجتمعات من مغبة الوقوع تحت عنوان الفساد والإفساد، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[2]، وغيرها من النصوص التي سوف يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

ويُعتبر مبدأ الإصلاح ـ بمفهومه الواسع وخطوطه العامّة ـ من المبادئ الأساسية

---

* رئيس تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني.

(١) قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في الجزء الثالث من كتابه العين، ص١١٧: «الصلاح: نقيض الطلاح، ورجل صالح في نفسه ومصلح في أعماله وأُموره». وقال الجوهري في الجزء الأوّل من صحاحه، ص٣٨٣: «الصلاح: ضدّ الفساد، تقول: صلح الشيء يصلح صلوحاً». وقال ابن فارس في الجزء الثالث من معجم مقاييس اللغة، ص٣٠٣: «صلح: الصاد واللام والحاء أصل واحد يدلّ على خلاف الفساد»، وكذلك الحال في بقيّة المعاجم اللُّغوية الأُخرى.

(٢) هود: آية١١٧.

والمناهج التي اعتمدها العلماء والمفكّرون في معالجة ما تواجهه المجتمعات من مشاكل وتحدّيات تُهدّد مصير الإنسانية ونوع البشر، فضلاً عن المسائل التي تُشكّل خطراً على الدين والدستور الإلهي، وما ذلك إلّا لاعتقادهم بأنّ مبدأ الإصلاح من المبادئ المُثلى التي اتخذها الأنبياء والرسل لأجل هداية البشر، فبذلوا قصارى جهدهم في سبيل هذا المبدأ الإلهي الذي دعت السماء إلى العمل على وفقه في جميع المجالات الدينية والاجتماعية والمعيشية وغيرها، ففي قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، توجيهٌ صريح ومؤكّد على أهمّية اتّباع سبيل الإصلاح في التعامل مع الآخرين، وأنّ الله يراقب الناس ويعلم المفسد من المصلح، كما أنّه عزّ وجلّ ـ وبدافع الترغيب والتشجيع ـ وعد العاملين على أساس هذا المبدأ بحفظ أجرهم وتثمين جهودهم في الدنيا والآخرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[2]، وفي آيات تحذيرية أُخرى يتّضح لنا أنّ هذا المبدأ هو الذي يحدّد مصير المجتمعات البشرية، ويكون صمّام أمان رئيسي لبقاء النوع البشري وحفظه من الهلاك ونزول العذاب الجمعي في الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[3].

إذن؛ فمبدأ الإصلاح من المبادئ المحورية في الكون بشكلٍ عام، ولا تستمرّ الحياة إلّا عن طريق هذا النهج الذي يُقيم اعوجاج الأُمور، ويعمل على إرجاعها إلى مسارها الصحيح.

---

(١) البقرة: آية ٢٢٠.

(٢) الأعراف: آية ١٧٠.

(٣) هود: آية ١١٧.

وكيف كان، فقد اتخذ الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام ـ وسائر أصحاب الحركات التغييرية ـ هذا المنهج وهذا المبدأ شعاراً لهم في دعوتهم إلى الله عزّ وجلّ، وأعلنوا للملأ أنّ الغرض الأهم والشغل الشاغل لهم هو أن يعمّ الصلاح والإصلاح في الأرض، بعد أن كان الوجود البشري ـ ككل ـ متّهماً بالإفساد في الأرض، وعدم أهليّته لتولّي الإصلاح، كما في اعتراض الملائكة حين أطلعهم الله على ما يريد فعله من إيجاد مخلوق يخلفه في الأرض، فقالوا: ﴿... أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ...﴾[1].

فما كان من روّاد الحركات التغييرية ـ كالأنبياء والرسل وأوصيائهم ـ إلّا أن يحملوا هذه المهمّة على عاتقهم ويعلنوا عنها أمام قومهم؛ ففي قوله تعالى على لسان النبي هود عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2].

كما يمكننا إثبات أنّ هذا المبدأ منهج معلوم للأنبياء والرسل، من خلال قوله تعالى في الآية الحاكية عن المحاورة بين النبي موسى والرجل الذي استصرخه ـ أو القبطي على الخلاف المذكور في تفسير الآية[3] ـ حينما اعترض عليه بقوله: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[4]، ممّا يعني أنّ النبي موسى عليه السلام كان قد رفع شعار الإصلاح للملأ، أو أنّ العمل وفق مبدأ الإصلاح من قِبَل الأنبياء والرسل من المرتكزات الواضحة لدى الشعوب والأُمم؛ ولهذا كان اعتراضه على النبي موسى بأنّ فعلك هذا لا يتماشى ولا ينسجم مع منهج الإصلاح الذي تدّعي العمل على أساسه في مواطن كثيرة من حياتك، ذلك المبدأ الذي كان يوصي به قومه

(١) البقرة: آية٣٠.
(٢) هود: آية٨٨.
(٣) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج٢٠، ص٥٩. وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٨، ص١٣٨.
(٤) القصص: آية١٩.

أيضاً ويحذّرهم من الفساد، كما في وصيّته لأخيه هارون: ﴿... ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[1].

وهناك نصوص روائية كثيرة تحدّثت عن مبدأ الإصلاح وأهمّيته في تصحيح مسار الإنسان، خصّص لها أرباب الحديث في مجاميعهم الحديثية أبواباً مستقلّة جمعت الروايات التي تناولت هذه المفردة المهمّة[2]، فضلاً عن الأحاديث الموزّعة على الأبواب الأُخرى[3] التي تركنا ذكرها روماً للاختصار.

الموضوع: وبما أنّ الشعائر الحسينية والعزاء المعبِّر عن الحزن على سيّد الشهداء إحدى المسائل المشتملة على أبعاد مختلفة ـ إذ يمكننا النظر إليها من بُعدها العقدي أو الفقهي أو الاجتماعي، أو غير ذلك من الأبعاد المتشعّبة والكثيرة ـ جاءت الصيحات المتكرّرة، منادية بإصلاحها وتنزيهها عن الشوائب التي يرى بعض المهتمّين بالشأن الديني أو الإنساني بشكلٍ عام ضرورة تغييرها، أو الحدّ من انتشارها ورواجها في أوساط مجتمعاتنا الإسلامية والإنسانية.

الموقف العام من دعوات الإصلاح في العزاء الحسيني

لسنا بالضدّ من المحاولات التي قام بها دعاة الإصلاح في مجال العزاء الحسيني، بعد أن كان الإصلاح ـ وبأبرز صوره وأشكاله ـ شعاراً رفعه الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة، فبذل كلّ ما بوسعه وجميع ما يملك من أجل إحياء هذا المبدأ، مدوّياً بكلمته الخالدة: «**وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي**»[4]، أو في الحديث الذي

---

(١) الأعراف: آية١٤٢.

(٢) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٠٩.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٤٢.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩. وقد أورد ابن أعثم الكوفي هذه الوصية بجميع تفاصيلها مع اختلاف لفظي يسير في بعض مفرداتها، ومن جملتها قوله عليه السلام: «وإنّما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أُمّة جدّي». الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٢١. وهو في نفس معنى الإصلاح كما تقدّم في قول اللّغويين آنفاً.

نسبه ابن شعبة الحراني إليه عليه السلام[1] قائلًا: «**ولكنْ لِنُرِيَ المعالم من دِينك، ونُظهِرَ الإصلاح في بلادك**»[2].

كما أنّنا لا ندّعي خلوَّ الشعائر الحسينية من الشوائب والمسائل التي لا علاقة لها بالدين أساساً، كيف لنا ذلك؟! ونحن نجد الصيحات الصادحة من قِبل علمائنا الأبرار التي لا تزال داعية إلى الإصلاح في الشعائر الحسينية، وهذا ما لا نحتاج في إثباته إلى مزيد عناء، بل يكفينا أن نُلقي نظرة عابرة في تراثهم لنجده حافلاً بالإرشادات والتوصيات الإصلاحية المرتبطة بهذا المجال[3]، بل قد خصّص بعضهم رسائل مستقلّة حول العزاء الحسيني تصحيحاً لمسارها وحفاظاً عليها من محاولات التشويه والتزييف، فضلاً عمّا جاء في المجاميع الفقهية من مسائل عديدة مرتبطة في هذا المجال، وهو ما يدعو إلى الفخر والاعتزاز؛ كون ذلك يعني وجود الرقابة المباشرة من قِبل علمائنا العاملين على مرّ العصور والأزمنة، الأمر الذي يُسهم في ضمان ديمومة المراسم الحسينية نقيةً، ويبعث الطمأنينة في نفوسنا ببقائها محفوظة من التحريف والتزييف[4].

---

(١) أُنظر: الحراني، ابن شعبة، تحف العقول: ص٢٣٩.

(٢) وقد نُسب هذا الحديث إلى أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، أُنظر: نهج البلاغة: ج٢، ص١٣، الخطبة١٣١. وبغضّ النظر عن حسم المسألة والبت في قائله، يمكننا أن نستدلّ به على أنّه منهج عام لجميع الأئمة عليهم السلام؛ وذلك لوروده ـ أي: قوله عليه السلام: «ونظهر الإصلاح» ـ بصيغة الجمع الدال على اشتراكهم عليهم السلام جميعاً في تكفُّل هذه المهمّة المضنية والهدف الأمثل.

(٣) أُنظر: الحكيم، محمد سعيد، من وحي الطف. وأيضاً: رسالة أبوية ومسائل تهمّ طلبة الحوزة. وأيضاً: فتاوى توجيهية. وأيضاً: فاجعة الطف. كما قام فضيلة الشيخ محمد الحسّون بجمع الرسائل التي أُلّفت من قِبل العلماء حول العزاء الحسيني، تحت عنوان: رسائل الشعائر الحسينية، وقد اشتملت هذه الموسوعة على مطالب قيّمة حول هذه المسألة المبحوث عنها هنا.

(٤) وقد بحثنا ذلك الدور الريادي في مقال مستقلّ تناولنا فيه (أثر المرجعية الدينية في حفظ الشعائر الحسينية وإصلاحها)، تمّ نشره في العدد الخامس عشر من مجلّة الإصلاح الحسيني، فذكرنا هنالك الحضور الفاعل للمرجعية الدينية في هذا المجال وكيفية معالجتها لبعض المسائل المرتبطة بهذا الشأن ضمن خطاباتها المعتدلة. أُنظر: العدد١٥، ص٢١٧.

وفي هذا البحث نودّ الحديث عن محاولات الاستغلال السيّئ لمبدأ الإصلاح في العزاء الحسيني، الذي اتخذه بعضهم أداة لضرب المراسم الحسينية والدعوة لإلغائها، وقد وقع اختيارنا على كتاب (تراجيديا كربلاء) لمؤلّفه الدكتور إبراهيم الحيدري؛ ليكون نموذجاً لذلك.

السبب في اختيار هذا النموذج

ليس خافياً على القارئ الكريم المتابع للأعداد السابقة من مجلّة الإصلاح الحسيني، أنّنا قد تناولنا هذا الكتاب في بحثين سابقين وفق قراءة نقدية، تطرّقنا في أوّلهما إلى النشأة التاريخية لمراسم العزاء الحسيني، وتناولنا في ثانيهما تطوُّر مراسم العزاء من وجهة نظر الكاتب، وكان دورنا في هذين البحثين هو النقد والتحليل لما ذكره الكاتب في هذين البُعدين، إذ رصدنا من الثغرات ونقاط الضعف الكثيرة والكبيرة التي تنمُّ عن عدم إلمامه بالمسائل المرتبطة بهذا الموضوع، والتي تحتّم على الباحثين معالجة ما أحدثته هذه الهفوات التي سطّرها المؤلّف في كتابه الذي لقي رواجاً واسعاً في الأوساط الأكاديمية العربية وغيرها، كما أشرنا إلى ذلك في مقدّمة البحث الأوّل في العدد الثاني عشر من هذه المجلّة المباركة[١]، ولمّا واصلنا القراءة في هذا الكتاب لنصل إلى ما تناوله في الفصل السابع، وجدنا الأخطاء والهفوات نفسها قد تكرّرت ـ بشكلٍ وآخر ـ والتجنّيات والافتراءات تشعّبت أيضاً في المطالب المتعلّقة بمحورنا هذا (الشعائر الحسينية ومشروع الإصلاح.. التأثير والتأثّر)؛ إذ كان ما في هذا الكتاب (تراجيديا كربلاء) النموذج الواضح للإصلاح غير المشروع والذي يُعتبر محاولة لاستغلال هذا المبدأ المهم لأغراض مشبوهة تشكّل خطراً كبيراً على الدين من محاور متعدّدة؛ وهذا هو أحد الأسباب التي حدت بنا لاختيار هذا الكتاب كنموذج لبيان محاولات الاستغلال السيّئ لمبدأ الإصلاح في الشعائر

(١) أُنظر: الساعدي، صباح عبّاس، نشأة المراسم الحسينية في كتاب تراجيديا كربلاء (نقدٌ وتحليل)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد١٢، ص٨٦.

الحسينية؛ لتكتمل الصورة في ذهن القارئ الكريم حول هذا الكتاب، ويقف على مواضع الخلل في الجوانب المرتبطة بمحور الإصلاح في الشعائر الحسينية.

كما أنّ السبب الآخر من اختيار هذا الكتاب هو بيان ضرورة كون الداعي إلى الإصلاح متخصّصاً في المجال الذي يريد معالجة بعض ظواهره التي يعتقد بانحرافها عن مسارها الطبيعي؛ إذ لو أردنا أن نُحسن الظنّ بمؤلّف هذا الكتاب، ولم نحمله على تعمُّد هذا الاستغلال المغلوط لمبدأ الإصلاح واستخدامه لضرب جهات متعدّدة بأُسلوبه الذي سوف يأتي بيانه، لما وسعنا إلّا القول بأنّ التطفّل على اختصاص الآخرين هو العامل المهمّ والأساس الذي يوقع صاحبه في محذور التخبّط وعدم الموضوعية في النقد، وهذا ما لمسناه بوضوح في الكتاب آنف الذكر، كما سوف يتبيَّن لنا في المطالب الآتية إن شاء الله تعالى.

لمحة عن المطالب المرتبطة بموضوع بحثنا

بعد مطالعة هذا الكتاب (تراجيديا كربلاء) وجدنا أنّ مؤلّفه خصّص فصلاً مستقلاً من كتابه لمسألة الإصلاح في العزاء الحسيني وكلّ ما يرتبط بذلك، وجعل عنوانه: (العزاء الحسيني: محاولات الاستغلال والتشويه)، وقد تناول في ذلك بعض الجوانب المرتبطة بمحاولات استغلال العزاء الحسيني من قِبل الجهات السياسية آنذاك أوّلاً، كما ذكر ثانياً أنّ بعض الأشخاص الوصوليين والنفعيّين من شرائح المجتمع لهم نصيبهم الوافر من محاولات الاستغلال أيضاً، وقد تخلّلت هذه النقطة بعض العبائر الناقدة لمراسم العزاء الحسيني، ثمّ استعرض بعد ذلك محاولات الإصلاح من قِبل بعض الشخصيات العلمية والدينية آنذاك، بطريقته الوصفية التي تخلّلت النقد اللاذع لكلّ مَن خالفه ـ كما اعتدنا على ذلك في كتابه هذا ـ وفي نهاية المطاف جاء ليسلّط الضوء على الأُمور التي أسهمت في تشويه نهضة الإمام الحسين عليه السلام ومراسم عزائه من وجهة نظره.

ومن خلال القراءة المتأنّية والنظرة المتأمّلة في هذا الفصل، رصدنا كمّاً وافراً من الملاحظات التي يمكن تسجيلها على الكاتب، والتي تُعتبر خرقاً واضحاً لأُسس وقوانين البحث الموضوعي؛ ما جعلتْ من كتابه نموذجاً واضحاً من نماذج الاستغلال السلبي لمحاولات الإصلاح في العزاء الحسيني، ومادّةً أساسية لذلك ـ وإن لم يكن عن قصد منه ـ سواء من قِبَله أو من قِبَل الآخرين الذين استندوا في طرحهم المتشنّج إلى كتابه واعتبروه مصدراً من المصادر المعتمدة في بحوثهم، فقد أساء الحيدري في الفصل آنف الذكر من كتابه إلى جهات متعددة، بداية برموزنا الدينية وعلمائنا الأعلام الذين أفنوا أعمارهم من أجل خدمة الدين السماوي والحفاظ عليه، مروراً بالمراسم المقرونة بسيّد الشهداء، كما طالت يد الإساءة الشريحة الكبيرة من الجماهير الموالية لأهل البيت عليهم السلام، ممّن نقطع بأنّ الهدف والقصد من معظمهم هو التقرّب إلى الله ونيل مرضاته؛ فرأينا ضرورة عرض ذلك ومناقشته في المباحث التالية:

المبحث الأول: الإساءة للعلماء والرموز الدينية

يلحظ القارئ الكريم أنّ مؤلّف الكتاب قد تهجّم على كلّ مَن خالفه بالرأي؛ فوصفهم بكلمات غير لائقة، وحكم عليهم بأحكام جائرة ليس لها نصيب من الإنصاف، وأوّل مَن تناولهم بكلماته اللاذعة هم علماء المذهب ورموز الدين وأساطين العلم، فوصفهم بـ:

أـ الاستسلام للتيّار الشعبي ومداهنة العامّة من الناس، فقال: «**وفي الحقيقة والواقع، فقد أطبق الصمت على مثل هذه الممارسات السلبية طوال عقود طويلة؛ ممّا تركها تنمو وتقوى وتنتشر، ما عدا بعض المحاولات الجريئة التي تصدّت لمثل هذه الممارسات، في محاولة لتنقية عاشوراء ممّا حلّ بها من شوائب، وما أُلحق بها خلال عصور الجهل والظلام والتخلّف الحضاري، كما عمل استسلام بعض العلماء لهذا التيار الشعبي وإضفاء الشرعية عليه وتهاونهم في إصدار فتاوى يحسم أمر هذه الطقوس واتخاذ موقف**

صارم وموحّد منها، أدَّى إلى تطوّرها ونموّها بشكلٍ غير سليم...»[1].

ب ـ إنّ الموقف الذي صدر من العلماء المؤيّدين للعزاء الحسيني كان لأجل المحافظة على المصالح والأغراض الشخصية الضيّقة، أي: الحفاظ على مصدر رزقهم وضمان معاشهم الدنيوي، والتي لا تعدو أن تكون شيئاً في مقابل المصلحة العامّة، كما أنّ السبب الآخر ـ الذي هو أهون من سابقه ـ هو عدم وعي بعضهم الآخر بتأثيرات هذه الممارسات المشينة على الدين؛ فقال: «**وقد يعود هذا الموقف إلى تغلُّب المصالح الشخصية لدى البعض منهم، وعدم وعي البعض الآخر بتأثير هذه الممارسات الخاطئة على أصالة الإسلام ونقاوته، كما يعود ذلك أيضاً إلى أنّ كثيراً من علماء الشيعة يعتمدون في رزقهم على ما يقدّمه الناس من حقوق شرعية إلى المرجعية الدينية أو إلى وكلائها المنتشرين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، الذين يوزّعون بدورهم تلك الحقوق الشرعية على مَن يستحقّها من المسلمين... وقد يكون أحد الأسباب في ذلك هو أنّ كثيراً من علماء الشيعة يعيشون على ما يرد إليهم من حقوق شرعية، وهي ما تُحررهم من سيطرة الحكومات عليهم، وتجعلهم مستقلّين عنها في شؤونهم الدينية**»[2]. وغير ذلك من العبارات التي وردت بكثرة كاثرة في كتابه.

المؤاخذات العلمية

١ـ إنّ هذا الكلام بعيد كلّ البعد عن الإنصاف والموضوعية في الطرح، بل مخالف للمنهج العلمي الذي قطعه على نفسه في مقدّمة كتابه؛ فقد جاء اهتمام العلماء بالعزاء الحسيني وفق مبرّرات دينية وأهداف مهمّة أساسية أسمى وأرفع ممّا يدركه الحيدري وأمثاله، ولم يكن هذا الاهتمام تهاوناً منهم أو مراعاة للمصالح الشخصية الضيّقة، كما يصوّره في مواضع كثيرة من كتابه، بل إنّ المنشأ والمبرّر الحقيقي هو ما تلقّوه من نصوص كثيرة عن الأئمّة عليهم السلام تُبيِّن وتؤكّد أهمّية يوم عاشوراء وضرورة إحيائه، لا

(١) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص٤٤٥.

(٢) المصدر السابق: ص٤٤٦.

بحدوده الزمنية المعهودة، أي: يوم عاشوراء، بل أوسع من ذلك بكثير كما صنعوا عليهم السلام أنفسهم، كما فهم علماؤنا من هذه النصوص أنّها غير محدودة بكيفية معيّنة، بل شاملة لكلّ ما يصدق عليه إحياء ونصرة للإمام الحسين عليه السلام، ما لم يتجاوز الحدود الشرعية، كما في البيانات التالية:

الرواية الأُولى: ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «**إنّ المحرّم شهرٌ كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه القتال، فاستُحلّت فيه دماؤنا، وهُتكت فيه حرمتنا، وسُبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضرمت النيران في مضاربنا، وانتُهب ما فيها من ثقلنا، ولم تُرعَ لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا. إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كربٍ وبلاء، أورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإنّ البكاء يحطّ الذنوب العظام**»، ثمّ قال عليه السلام: «**كان أبي (صلوات الله عليه) إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى يمضي منه عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر، كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين (صلوات الله عليه)**»[(١)].

فهذه الرواية تحكي لنا عظم المصيبة من جهة، وكيفية تفاعل أهل البيت عليهم السلام مع تلك المصيبة، وسعيهم إلى إحيائها بشكلٍ لافت للجميع من جهة أُخرى.

الرواية الثانية: الجواب الذي ذكره الإمام الصادق عليه السلام عن سؤال عبد الله بن الفضل الهاشمي، حول سرِّ الاهتمام بمصاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء دون سائر الأيام والمصائب التي جرت على المعصومين عليهم السلام، فقال عليه السلام: «**إنّ يوم الحسين أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام؛ وذلك أنّ أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله عزّ وجلّ كانوا خمسة، فلمّا مضى عنهم النبي صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين، فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضت فاطمة كان في أمير المؤمنين**

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٩١.

والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضى أمير المؤمنين كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة، فلمّا مضى الحسن كان للناس في الحسين عزاء وسلوة، فلمّا قُتل الحسين لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم؛ فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة»[1].

السؤال الذي وجّهه الهاشمي إلى الإمام الصادق عليه السلام يحكي لنا ظاهرة ملفتة للنظر آنذاك، وهي اهتمام أهل بيت العصمة والطهارة بشأن مصيبة الإمام الحسين عليه السلام أكثر من اهتمامهم ببقيّة المصائب التي جرت على سائر المعصومين عليهم السلام، وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي نقلنا بعضها في بحثنا حول نشأة المراسم الحسينية في العدد الثاني عشر، فلا داعي لتكرارها مرّة أُخرى.

٢ـ في تقديرنا أنّ الرؤية التي يحملها المؤلّف حول علمائنا لا تخلو من أحد فرضين: إمّا جهله بالمعايير التي يتعامل العلماء على أساسها مع المسائل الشرعية، ومواضيعها التي تطرأ في المجتمع المسلم، أو أنّه تغافل عن ذلك كلّه بعد أن كان غرضه النيل من العلماء الذين خالفوا رأيه الناتج عن ذوقه ورؤيته الضيّقة تجاه العزاء الحسيني، فمع أنّ منهج علمائنا في التعامل مع الأحكام الشرعية وموضوعاتها واضح لكلّ مَن أراد التعرّف عليه، نجده ينعتهم بكلماته التي تقدّم نقلها قبل قليل.

ولكي لا نخرج عن صلب موضوع بحثنا ـ أي: الشعائر الحسينية ـ نقتصر في حديثنا عن الأدوات الاستنباطية التي استُخدمت في الاستدلال على حكم الشعائر الحسينية؛ ليتّضح للقرّاء الكرام أنّ الذي حدا بعلمائنا إلى القول باستحباب أو جواز تلك المراسم العزائية ـ بل حتّى مَن أفتى بحرمة بعضها أو احتاط في بعض مواردها ـ لم يكن سوى الدليل العلمي المعتبر في نظرهم، فنقول:

---

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٠٣.

تناول العلماء ـ وكعادتهم في التعامل مع المسائل الشرعية الأُخرى ـ العزاء الحسيني بجميع أفراده ومصاديقه بحيادية تامّة وموضوعية فائقة، فبحثوا مسائله بأُسلوب علمي دقيق يعتمد الدليل الشرعي أساساً له، وقد قسّموا العزاء الحسيني بشكل عام على قسمين:

أ. الشعائر المنصوصة(1)

وهي الشعائر ـ أو المراسم العزائية ـ التي وردت بخصوصها نصوص شرعية تكفّلت ببيان الموقف الشرعي للمكلّف تجاهها، كما في مراسم زيارة المراقد المشرّفة، أو البكاء على مصابهم عليهم السلام، أو إنشاء الشعر وإنشاده، وكذلك النصوص الدالة على ترك السعي يوم عاشوراء وغيرها(2).

ب. الشعائر المستحدثة (الشعائر الداخلة تحت العمومات)

وهي الشعائر «**التي لم يرد النصّ فيها عن أهل البيت عليهم السلام، والتي تمّ ابتكارها واختراعها من قِبَل أتباعهم، مثل: المواكب الحسينية، وشعائر تشبيه وتمثيل مشاهد المأساة التي جرت على الحسين عليه السلام، أو المسيرات الشعبية، وغيرها من الشعائر التي يمارسها المسلمون من أتباع أهل البيت في الأدوار المختلفة، أو التي يمكن أن يتمّ اختراعها في المستقبل**»(3)، ممّا هي داخلة تحت عمومات أو إطلاقات النصوص المسوّغة لإقامة العزاء الحسيني.

وقد كان معيار القبول والرفض، من قِبل كبار علمائنا وأساطين فقهائنا، للمصاديق والأفراد المتجدّدة والطرق المبتكرة في العزاء الحسيني، على أساس

---

(1) أُنظر: الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: ج1، ص145.

(2) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص201، وص208، وص238. وأيضاً: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج1، ص268. وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص715.

(3) الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: ج1، ص162.

دخولها تحت العمومات التي وردت في الكتاب والسنّة الشريفة، فإن كانت داخلة تحت دليلٍ عام له القابلية على شمول واحتواء هذه الممارسة العزائية أفتوا وفقاً لما دلّ عليه العموم من حكم شرعي، مشدّدين على أن لا ينوي المكلّف التشريع على وجه الخصوص، وهذا ما يمكن استفادته بوضوح ممّا ذكره الشيخ جعفر الكبير بقوله: «**وأمّا بعض الأعمال الخاصّة الراجعة إلى الشرع، ولا دليل عليها بالخصوص، فلا تخلو بين أن تدخل في عموم، ويقصد بالإتيان بها الموافقة من جهته، لا من جهة الخصوصيّة... كما يُصنع في مقام تعزية الحسين عليه السلام من دقّ طبل إعلامٍ، أو ضرب نحاسٍ وتشابيه صورٍ، ولطمٍ على الخدود والصدور ليكثر البكاء والعويل... وجميع ما ذُكر وما يشابهه إن قُصِد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإن لُوحظ فيه الرجحانيّة من جهة العموم فلا بأس به**»[1].

٣ـ لقد تضاربت عباراته المذكورة حول تحديد سبب المشكلة التي نتج عنها التضخّم الملفت في العزاء الحسيني، مع عبارات أُخرى في كتابه؛ إذ يقول: «**وفي الواقع لم يصدر حتّى الآن، لا تحريم قاطع ولا جواز قاطع من قِبل العلماء والمجتهدين**»[2]. ثمّ يأتي بعد صفحات قليلة ليذكر لنا الآراء والفتاوى التي صدرت من قِبل جهابذة العلم وفقهاء الدين، سواء العبائر والفتاوى المؤيّدة أو التي حرّمت هذه الممارسات العزائية، فقد نقل الفتوى المجوّزة بصريح القول عن الميرزا النائيني، وذكر بعدها أنّ كبار علماء الشيعة حينما عُرضت عليهم هذه الفتوى صرّحوا بموافقتهم لذلك وأفتوا على وفقها، فقال: «**أمّا الميرزا محمد حسين النائيني فقد أفتى بجواز تلك المراسيم، مؤكّداً جواز ما كان ضرره مأموناً، جواباً على رسائل وبرقيّات وردت إليه من بغداد عن حكم المواكب العزائية، وقد عُرضت فتواه على بقية العلماء فأيّده في ذلك أكثر من عشرة من كبار العلماء، منهم: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيّد محسن الحكيم، والسيّد أبو القاسم الخوئي وغيرهم... ونورد هنا نصّ فتوى الشيخ محمد حسين النائيني حول**

(١) الجناجي، الشيخ جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء: ج١، ص٢٧٠.

(٢) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص٤٤٦.

جواز واستحباب إقامة الشعائر الحسينية...»[1].

كما أنّه ذكر الفتوى الصريحة للسيّد أبي الحسن الإصفهاني المؤيّدة والداعمة لكلام السيّد محسن الأمين العاملي، الذي أفتى بدوره بحرمة جملة من الممارسات العزائية في رسالته (رسالة التنزيه) فقال: «**وقد أصدر السيّد أبو الحسن الإصفهاني في النجف بحدود عام (١٩٢٩) فتوى يُحرّم فيها الضرب بالسيوف، كما أصدر السيّد مهدي القزويني في البصرة فتوى تؤيّد تحريم التطبير أيضاً، وقد تبعهم علماء آخرون، وكانت فحوى فتوى السيّد أبو الحسن الإصفهاني: أنّ استعمال السيوف والسلاسل الحديدية والأبواق، وما يجري اليوم في مواكب العزاء بيوم عاشوراء باسم الحزن على الحسين، إنّما هو محرّم وغير شرعي**»[2].

وإذا أردنا ذكر العلماء الذين أورد أسماءهم ممّن أبدى رأيه في هذه المسألة ـ إيجاباً أو نفياً ـ أو الذين وضعوا القيود والشرائط في جواز هذا الفعل فإنّ القائمة تطول بنا، فضلاً عمّن لم يذكره من علمائنا الأعلام! فلا أدري عن أيِّ موقف يتحدّث هذا الكاتب، وما هو نوع الفتوى الصريحة برأيه؟! ومَن هم العلماء الذين استسلموا لرأي الجمهور لأغراض شخصية؟!

٤ـ يبدو للوهلة الأُولى أنّ المؤلّف قد تحدّث عن موضوع عامٍّ، ولم تحمله جرأته لتطبيقه ـ بشكل صارخ وصريح ـ على أشخاص معيّنين؛ إمّا احتراماً لهم أو حذراً من المواجهة.

لكنّنا ومن خلال الجمع بين العبارات المتفرّقة والكلمات الموزّعة بين الأسطر في كتابه، استطعنا أن نوجد للقارئ الكريم ربطاً وثيقاً للخروج بنتيجة وحصيلة واضحة تُدلّل على أنّ مؤلّف هذا الكتاب تطاول في عباراته المقرفة على كبار مراجعنا العظام وعلماء الطائفة، كالميرزا النائيني، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيّد محسن

(١) المصدر السابق: ص٤٥٢.

(٢) المصدر السابق: ص٤٥١.

الحكيم، والسيّد أبي القاسم الخوئي (قدّس الله أسرارهم)؛ إذ إنه بعد أن ذكر العبائر المتقدّمة التي تصف لنا حال العلماء المستسلمين للتيار الشعبي والمتهاونين في إعطاء المرخّص الشرعي في ممارسات بعيدة عن روح الإسلام ـ حسب تعبيره ـ نقل فتوى الميرزا النائيني المجوّزة لمراسم العزاء الحسيني[1]، بعد أن قال: «**وقد عُرضت فتواه على بقيّة العلماء فأيّده في ذلك أكثر من عشرة من كبار العلماء، منهم: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيّد محسن الحكيم، والسيّد أبو القاسم الخوئي، وغيرهم**»[2]؛ ما يعني أنّ هؤلاء العلماء هم مَن استسلموا للتيار الشعبي لمصالحهم الشخصية وأُمور معاشهم في هذه الدنيا الزائلة على حساب دينهم، حسب تقديرات مؤلّف (تراجيديا كربلاء).

وبعد أن ذكرنا في المؤاخذة السابقة الموقف الواضح لعلمائنا الأبرار من العزاء الحسيني، والتي نقل المؤلّف بعضاً منها في طيّات فتاواهم، يتّضح لنا الخطأ العلمي الذي ارتكبه في حقّهم، خصوصاً وأنّ الفتاوى المرخّصة والصريحة باستحباب العزاء الحسيني قد تضمّنت عبارات صريحة تمنع من بعض الممارسات المحرّمة التي تُسيء إلى الدين، أو تعكس رؤية سلبية تجاه عزاء سيّد الشهداء عليه السلام.

على أنّ ما ارتكبه الكاتب في هذه العبارات مخالف للمقرّرات الدينية التي تُحتّم علينا احترام العلماء، وإن اختلفت آراؤهم مع المرتكزات والمسبقات التي تحملها أذهاننا، كما في الروايات المؤكّدة وجوب احترامهم ولزوم حفظ حقوقهم[3]، فضلاً عن كونهم أُناساً مؤمنين يحرم النيل منهم والتعدّي على شخصياتهم؛ وفقاً للروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام التي اعتبرت أنّ حرمتهم أعظم من حرمة

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٥٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أُنظر: البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج١، ص٢٣٣. وأيضاً: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٧. وأيضاً: المازندراني، محمد صالح، شرح أُصول الكافي: ج١، ص٨٣.

الملائكة[1]، أو أعظم من حرمة الكعبة[2].

٥ـ لقد أغفل الكاتب الدور الإصلاحي والتصحيحي للميرزا النائيني ـ وبالتبع بقيّة الأعلام الذين أيّدوا فتواه القائلة بجواز الممارسات العزائية ـ إذ مع تأييده (رضوان الله عليه) لتلك الممارسات العزائية واعتبارها مصداقاً واضحاً لمواساة أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من بيان رأيه حول بعض الشوائب التي تكون سبباً لنفور الناس عن مراسم العزاء، ولم يعتبر كلّ ما يقوم به الموالون في مراسم العزاء خطّاً أحمر[3]، أو أنها من المسائل التي لا يحقّ لأحد أن يدعو إلى الإصلاح فيها، بل أكّد في مواضع كثيرة من فتواه هذه ـ وبعبارة صريحة ـ بعضَ الأحكام التي يلزم مراعاتها في هذه المراسم، وهذا بدوره يُعدّ محاولة إصلاحية من قِبله رحمه الله، وكذا جميع مَن أيّده وأقرَّ فتواه المباركة، فقد قال رحمه الله بعد أن أفتى باستحباب المواكب العزائية، واعتبرها من أهمّ الوسائل الإعلامية التي تُسهم في نشر مظلومية الإمام الحسين عليه السلام: «**لكن اللازم تنزيه هذه الشعائر العظيمة عمّا لا يليق بعبادة مثله، من غناء واستعمال آلات اللّهو والتدافع في التقدّم والتأخّر بين أهل محلّتين ونحو ذلك، ولو اتّفق شيء من ذلك، فذلك الحرام الواقع في البين هو المحرّم، ولا تسري حرمته إلى الموكب العزائي، ويكون كالنظر إلى الأجنبية حال الصلاة في عدم بطلانها**». وقال أيضاً: «**لكن الأَولى، بل الأحوط أن لا يقتحمه غير العارفين المتدرّبين، ولا سيما الشبان الذين لا يبالون بما يوردون على أنفسهم لعظم المصيبة وامتلاء قلوبهم من المحبّة الحسينية، ثبّتهم الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة**»[4].

ولعلّ عدم تأكيد هذه النقاط المهمّة في فتوى النائيني رحمه الله والاكتفاء بنقلها ضمن الرسالة المطوّلة، يؤكّد لنا أنّ هدف مؤلّف هذا الكتاب وغرضه الأساس هو النيل

---

(١) أُنظر: القاضي المغربي، النعمان، شرح الأخبار: ج٣، ص١٠٩.

(٢) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص: ص٣٢٥.

(٣) بخلاف ما بيّنه الحيدري في كتابه وبطريقة غير منصفة.

(٤) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص٤٥٢.

العدد التاسع عشر ـ السنة الخامسة ـ ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

مـن علمائنـا الذين لم يفتـوا وفق رغباته الشـخصية، كـما يؤكّد لنـا إصراره على إلغاء مراسم العزاء المخالفة لذوقه كذلك.

عـلى أنّنا نجـد من علمائنا الأعلام المؤيّدين والداعمين للعزاء الحسـيني بأشـكاله المتجـدّدة ـ الذيـن لم ينقـل عبائرهـم في كتابـه هذا ـ مَـن يُبدي رأياً صريحـاً في بعض الموارد التي لم يقطع بجوازها، فيقول: «...**وإن كان في تشـبيه الحسـين عليه السلام أو رأسه، أو الزهراء عليها السلام، أو عليّ بن الحسـين عليه السلام مطلقاً، أو باقي النسـاء في محافل الرجال، وتشـبيه بعـض المؤمنـين بيزيد أو الشـمر، ودقّ الطّبل وبعـض آلات اللّهـو وإن لم يكن الغرض ذلك، وكذا مطلق التشـبيه، شـبهة، والـترك أوْلى**»[1]. ما يعني أنّه يـرى مرجوحية هذه الممارسات العزائية.

فـكان من الـلازم على هـذا الكاتـب ـ بمقتضى الأمانـة العلميـة والموضوعية في البحث ـ أن يُعرّف القارئ بالمحاولة الإصلاحية التي قام بها علماؤنا الأعلام كالميرزا النائينـي في فتـواه هذه، وكيف أنّه حكم بشـكل إلزامي على كلّ مَـن أراد أن يتصدّى لهذه الممارسـات العزائيـة أن يُراعي الأُمور المهمّة التي تتنافى مـع روح الشرع؛ ليتبيّن للجميع أن مَن أجاز هذه الممارسـات لم يكـن معارضاً لمحاولات الإصلاح في العزاء الحسـيني، ولم يكن بالضدّ مـن العلماء الذين دعوا إلى ذلـك، وإنّما كان اعتراضه على الأُسـلوب والطريقـة التـي يظهر منهـا ـ بصورة مبـاشرة أو غير مبـاشرة وإن لم يكن مـراد أصحابها ذلك ـ إلغاء مراسـيم العـزاء، وفتح أبواب التطاول مـن قِبل البعداء والمغرضين للنيل منها والانتقاص والتقليل من شأنها.

المبحث الثاني: رؤيته حول الخطباء والقائمين على المواكب

إنّ الرؤية المسـبقة التـي يحملها الحيدري عن الجمهور المتصـدّي لإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، والتي أعرب عنها في مواطن عديدة من كتابه، جعلته يعمّم الحكم عليهم

(١) الجناجي، جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ج١، ص٢٧٠.

بأحـكام جائرة، ويوقفهم موقف المتهمّ الذي تؤكّد المؤشرات تورطه بجريمة تزييف مراسم العزاء الحسيني، ولا يقتصر هذا الأمر على هذه الموارد من كتابه؛ إذ قد أشرنا إلى نظرته السـوداوية هذه في أبحاث سـابقة، كما أنّ الرؤية التي يحملها لم تكن خاصّة بهـؤلاء الأفـراد فقط، فهي التـي جعلت منه متحامـلاً على العلماء بالأُسـلوب الذي تقدّم ذكره في المبحث السابق.

ولكي يكون حديثنا في هذا المبحث مستوفياً قدر المستطاع يتحتّم علينا أن نختصر رأيه حول الخطباء، وقرّاء العزاء الحسيني، والقائمين على المواكب العزائية والمنظّمين لذلك، بالنقاط التالية:

أـ إنّ خطبـاء المنبر الحسـيني هـم السـبب الرئيسي في ترويـج الخرافـات والبدع والأسـاطير التـي لا واقع لها، وليس لها مسـتند علمـي يُعتمد في البـين، فقال: «**وقد انتـشرت بـين العامّة أسـاطير وخرافـات ردّدها بعـض قـرّاء المجالس الحسـينية، وهي تتناقـض مـع المنطق العلمي والتجريبـي الحديث، وليس لها أيُّ سـند تاريخي، منها تلك الأُسطورة التي تقول: بأنّ حمرة الشفق التي تظهر في السماء بعد غروب الشمس كلّ يوم وقبل طلوعها، لم تكن موجودة قبل مقتل الحسين في كربلاء، وأنّ هذه الظاهرة الطبيعية تكوّنت بعد واقعة الطف**»[1].

وقال أيضاً: «**ومن جهة أُخرى، فقد أكّد الشـهيد المطهّري على أنّ مسـؤولية الجميع هي قهر الرغبة اللامسؤولة في تحويل المجالس الحسينية إلى مجالس حارّة وحماسية، أو كما يُصطلـح عليه (بكربـلاء ثانية)، حيث يقع الخطيب أحياناً في حـيرة إذا ما تكلّم الصدق والحقيقـة دون زيـادة أو نقصـان، والنتيجـة هي أن يُنعت مجلسـه بكونه غـير حماسي؛ ممّا يضطـرّه إلى اختـراع بعض القصص الخيالية لإدخال الحرارة إلى مجلسـه**»[2]. ما يعني أنّ القصـص الخياليـة في رأي الحيـدري هو ما تقـدّم ذكره من أسـاطير وخرافات نقلها

(١) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص٤٦٢.

(٢) المصدر السابق: ص٤٦٣.

المؤرخون من السنّة والشيعة وبطرق متعددة.

ب ـ إنّ أغلب الخطباء يتزلّفون ويتقرّبون إلى القائمين على المجالس التي تُعتبر مصدر رزقهم؛ إذ يقومون بالترويج لهم، عن طريق الدعاء والشكر والثناء، كما في قوله: «**ومن جانب آخر، فإنّ أغلب خطباء وقرّاء المجالس الحسينية يقيمون (دعاية) غير مباشرة للقائمين بالعزاء الحسيني ولعائلاتهم، حيث يختتم الخطيب عادة مجلسه بالدعاء لصاحب الدار الذي أقام العزاء، والشكر له، والثواب الذي يحصل عليه إن شاء الله، وتشجيعه لمواصلة إقامة مثل هذه الشعائر الدينية إحياءً لذكرى الإمام الحسين، وبالطبع فإنّ الخطيب يحصل على مكافأة نقدية وخُلع عينية أحياناً**»[1].

ج ـ إنّ الميول والدوافع الرئيسية التي يحملها أصحاب المواكب والعزاء في إقامتهم لهذه المجالس وإحيائهم لذكرى مقتل الإمام الحسين عليه السلام، هو حصولهم على الوجاهة والمكانة المرموقة بين الناس، فيقول: «**وفي الواقع، فإنّ هذه المجالس الحسينية، وكذلك مواكب العزاء، أصبحت رمزاً للوجاهة في المجتمع، وأصبح كلّ مَن يملك قدراً من الثروة ميّالاً إلى إقامة مجالس التعزية في بيته أو في أحد الجوامع والحسينيات، وكذلك التبرّع للمواكب الحسينية**»[2].

وهذه الصورة التي أظهرها الحيدري للقرّاء الكرام تحمل دلالات واضحة وكثيرة أهونها وأقلّها خطورةً هو البعد الدنيوي الذي يهيمن على أرباب المواكب والعزاء الحسيني؛ وهو بدوره يشكّل منظراً منفّراً تجاه أصحاب مواكب العزاء وخطباء المنبر الحسيني، كما يعكس رؤية سلبية في نفوس الباحثين والقرّاء الذين لم يطّلعوا على حقيقة الأمر.

د ـ شعور أصحاب المواكب ـ بل وكلّ مَن له دور محوري في إقامة العزاء ـ بالزهو والخيلاء وتولّد روح الاستعلاء لديهم؛ نتيجة نظرة الإجلال والإعجاب من قِبل

---

(١) المصدر السابق: ص٤٣٩.

(٢) المصدر السابق: ص٤٤١.

الجمهور المشاهد أو المستمع، ولعلّ ذلك يوصلهم إلى درجة العجب والرياء المبطل للعمل، فقال: «**وإلى جانب هذا وذلك، فإنّ العاملين في المواكب الحسينية، وبخاصّة رؤساء المواكب والشعراء والرواديد وحملة الهوادج والأعلام وممثّلو أدوار العباس والقاسم وزين العابدين ـ وحتّى ممثّلو أدوار الشمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد وغيرهم ـ يشعرون بشيء من الزهو والخيلاء بسبب تمثيلهم لهذه الأدوار، وكذلك بسبب نظرات الاهتمام والإعجاب، وبصورة خاصّة، حينما تخرج النساء للتفرّج عليهم، وحين ترتفع أصواتهن بالصراخ والعويل**»[1].

فيظهر لنا من كلامه هذا أنّ العاملين في المواكب الحسينية، بشتّى الصنوف التي ذكرها الكاتب، هدفهم أن يكونوا موضع إعجاب لدى النساء المتفرّجات والمتابعات لأدائهم، فإذا ما حصل ذلك شعروا بالفخر والخيلاء والزهو، وكأن ليس لهم شغل بمصاب سيّد الشهداء سوى هذا الهدف، وهو ما يبعث إلى الحزن على ضياع الجهود المضنية بلحظة من العجب أو المراءاة.

المؤاخذات العلمية على ما ذكره

إنّ المشكلة والخطأ الكبير الذي وقع فيه المؤلّف هو إعطاء حكمٍ عام وقاعدة كلّية يُفهم منها الانطباق على جميع أفراد العناوين التي ذكرها؛ ممّا يؤدّي إلى رسم صورة مشوّهة لدى القرّاء والمتلقّين حول الخطباء والقائمين على المجالس الحسينية، مع أنّ الحديث عن هذه العناوين التي أساء إليها الكاتب في هذه الأسطر ـ البعيدة عن الإنصاف والموضوعية والمجانبة للحقيقة ـ أعمق ممّا ذكره بكثير، فهذه الشريحة المضحّية هي التي أسهمت بشكلٍ واضح في حفظ الحقائق التاريخية والدينية، وسعت إلى إيصال علوم أهل البيت عليهم السلام للأجيال في مختلف البلدان الإسلامية وغيرها، ولا أعتقد أنّ ما ذكرناه في هذه النقطة بحاجة إلى برهنة أو تدعيم نظري، فلا أحد ينكر

(١) المصدر السابق.

الدور المهم الذي يقوم به الخطباء وقرّاء المجالس الحسينية من جهة، كما أنّ إكمال هذا الدور وتحقّقه على أرض الواقع متوقّف على الأرضية المهيأة التي تؤمِّن المستلزمات الضرورية لعقد المآتم التي يحضرها الأعداد الغفيرة من الناس، وهو ما يتكفّل به أرباب المواكب والقائمين على المآتم الحسينية وجميع اللجان التنظيمية.

نعم، قد يصدق بعض ما ذكره الكاتب على أفراد نادرين من الخطباء وأرباب المآتم والعزاء الحسيني، وهم لا يشكّلون نسبة بالقياس إلى المجموع، إذ من غير الممكن تنزيه ساحة الجميع والتعهّد بصدق نواياهم وخلوصهم في عملهم هذا، فهو ممّا لا ينكره أحد، لكن هذا لا يسوّغ له أن يعمّم الحكم ويهوّل المسألة حتّى تظهر للقارئ وكأنّها نمط عام لدى الجميع، وأنّ المذهب الشيعي قائم على أساس الخرافات والبدع، وأنّ أهداف هذه الشريحة (الخطباء والقائمين على المآتم) المؤثِّرة في الأجيال لا تعدو أن تتجاوز الأغراض الدنيوية الزائلة.

وإذا أردنا معرفة حقيقة هذه الشريحة المضحّية، فلا بدّ من الرجوع إلى البيانات الدينية عن المعصومين عليهم السلام التي حفظها لنا رواة حديثهم، والتي أوضحت لنا الأُسس المهمّة حول هذه المسألة، ثمّ النظر في آراء علمائنا حول ذلك أيضاً؛ لنكون في غنىً عن الرؤية السطحية التي قدّمها مؤلّف الكتاب، كما يتّضح لنا من النقاط التالية:

١ـ من خلال رجوعنا إلى النصوص الكثيرة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، يتّضح أنّ مَن وصفهم الحيدري بهذه الأوصاف المجحفة هم من أبرز أفراد قول الإمام الرضا عليه السلام لأبي الصلت الهروي: «**رحم الله عبداً أحيى أمرنا. فقلت له: وكيف يُحيى أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا...**»(١). كما أنّهم المشمولون بدعاء الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «**رحم الله عبداً حبّبنا إلى الناس ولم يبغّضنا إليهم، أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعزّ، وما استطاع أحد**

(١) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص١٨٠.

أن يتعلّق عليهم بشيء...»(١). وهـم المعنيون بقوله عليه السلام: «**... ومَن جلس مجلساً يحيى فيـه أمرنا لم يمت قلبه يـوم تموت القلب**»(٢). وروايات كثيرة يطول المقام في عدّها هنا.

فالخطبـاء وقرّاء المجالس الحسـينية يبذلون أعمارهم في سـبيل تحصيل علوم أهل البيت عليهم السلام، ويتتلمذون على أيدي كبار علمائنا وفقهائنا لسـنين طويلة من أجل ذلك، فهـم ممّـن يتعلّم العلـوم الأساسـية والمهمّة في الحـوزات العلمية، فيتعلّمون محاسـن كلامهـم عليهم السلام ويعلّمونها الناس، لا كما وصفهم الحيـدري من أنّهم مرتزقة ووضّاعي أحاديث خرافية، ويتزلّفون لأرباب المواكب والمجالس الحسـينية، شـغلهم الشاغل معاشـهم الدنيوي وما بأيـدي الناس. كما أنّ القائمين على المأتم الحسـيني هم الذين يهيئون الظروف المؤاتية، ويحرصون على إيجاد أكبر عدد ممكن من الحاضرين، ويبذلون الأمـوال ويتحمّلون المتاعب والمخاطر والمسـؤولية الكاملة مـن أجل إحياء أمر أهل البيـت عليهم السلام، لا كـما يقـول عنهم: بأنّهـم يطلبون الوجاهـة والمكانة المرموقـة، أو أنّهم يبتغون إلفات نظر الآخرين إليهم وبالأخص النساء المتفرّجات على العزاء الحسيني.

٢ ـ إنّ موقـف علمائنـا الأعـلام تجاه الوظيفة التي تقـوم بها هـذه الشريحة ـ أي: الخطبـاء والقائمـين على المآتـم الحسـينية ـ كان ولا يزال إيجابياً، بل قـد اتخذوا بعض الخطـوات والإجـراءات التطويريـة والداعمـة لما يقوم بـه هؤلاء المؤمنـون من دور توعـوي اعتُمد في دعائمه وركائزه الأسـاس التعاليم الدينيـة التي ضحّى من أجلها سـيّد الشهداء عليه السلام، وهذا الأمر نلمسـه بوضوح من مواقف وكلمات كثير من علمائنا رضوان الله عليهم، نكتفي بنقل نماذج منها:

أ ـ مـا قـام به مراجع الطائفة كالسـيّد محسـن الحكيم قدس سره بعد انتهاء ثـورة العشرين الخالـدة، وغيره من علمائنا العاملـين، من إعداد وتوفير الأماكن التبليغية (المساجد

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٢٢٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٦٤.

والحسينيات) في مدن مختلفة داخل العراق وخارجه(١)؛ دعماً للخطباء والمبلّغين وكافة الجماهير المشاركة في إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، كما حرصوا على إرسال خيرة طلابهم لأداء دورهم التبليغي. ولا تزال هذه الخطوات متّبعة من قِبل مراجعنا الكرام في شتّى البلدان، ففي النجف الأشرف تصدر التوصيات والتوجيهات القيّمة من قِبل مراجعنا العظام للخطباء والمبلّغين بين الحين والآخر، وهو ما يدلّ على بالغ اهتمام الحوزة العلمية بهم(٢)، فضلاً عن المعاهد والمؤسّسات التبليغية التي أُنشئت تحت إشراف مباشر من قِبل بعض علمائنا الأعلام(٣)، كما هو الحال كذلك في قم المقدّسة، إذ تمّ تخصيص مركز يهتمّ بالخطباء والمبلّغين(٤).

ب ـ تصدّي علمائنا الأبرار للإجابة عن الأسئلة المرتبطة بالجانب التبليغي، والتي تُعتبر مرتسماً واضحاً في التعامل مع الشعائر الحسينية وكيفية أداء هذه الوظيفة المهمّة من قِبل الخطباء والقائمين على المآتم الحسينية، في مسائل متعدّدة حول المواكب والمجالس والشعائر الحسينية، وأحكام المساجد والحسينيات، وكذا الأدعية وزيارة أهل البيت عليهم السلام والأماكن المقدّسة(٥).

٣ـ إنّ عدم إيمان الكاتب بالمسائل الدينية والغيبية الثابتة جعلته ينكر بعض الحقائق التاريخية الثابتة بطرقٍ موثوقة ومعتبرة، التي تُعدّ من الكرامات لسيّد الشهداء عليه السلام، فإنكاره لحمرة السماء وإمطارها دماً وبعض الحقائق التي ذُكِرت في المصادر المعتبرة لدى الفريقين ـ كما ذكر مصادرها في كتابه هذا، والتي تمّ إثباتها وفق المباني

---

(١) أُنظر: *http://ar.wikishia.net/view*.

(٢) أُنظر: *https://www.sistani.org/arabic/archive*.

(٣) أُنظر: *http://www.alhikmeh.org/news/archives*.

(٤) أُنظر: *http://sajam.ir/Default.aspx*.

(٥) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، صراط النجاة: ج٥، ص٢٩٩. وأيضاً: السيستاني، علي، موقع مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيّد علي الحسيني السيستاني، الشعائر الحسينية. وأيضاً: الحكيم، محمد سعيد، رسالة أبويّة ومسائل تهمّ طلبة الحوزة والمبلّغين. وغيرهم كثير.

الحديثة[1] ـ ينمّ عن جهله وضيق أُفقه في هذا المجال.

ومن خلال الرجوع إلى المصادر التي أوردها في كتابه يتبيّن لنا أنّ الأمر قد اشتبه على الكاتب، ولم يميّز بين مطر السماء دماً وبكائها على الحسين عليه السلام، وأنّ بكاءها هو الحمرة التي ظهرت لأربعين يوماً، وبين حمرة الشفق الباقية إلى هذا الزمان، فأخذ يشنّع على قرّاء العزاء الحسيني ويكيل عليهم التهم، فالذي روي في (الصواعق المحرقة) هو: «**وأخرج عثمان بن أبي شيبة أنّ السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام، تُرى على الحيطان كأنّها ملاحف معصفرة من شدّة حمرتها، وضربت الكواكب بعضها بعضاً. ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين: أنّ الدنيا اظلمّت ثلاثة أيام، ثمّ ظهرت الحمرة في السماء. وقال أبو سعيد: ما رُفع حجر من الدنيا إلّا وُجد تحته دم عبيط، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدّة حتّى تقطعت. وأخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مرّ من أنّهم مُطروا دماً. زاد أبو نعيم: فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً. وفي رواية أنّه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة، وأنّه لّما جيء برأس الحسين إلى دار زياد سالت حيطانها دماً. وأخرج الثعلبي: أنّ السماء بكت، وبكاؤها حمرتها. وقال غيره: احمرّت آفاق السماء ستّة أشهر بعد قتله، ثمّ لا زالت الحمرة تُرى بعد ذلك. وأنّ ابن سيرين قال: أُخبرنا أنّ الحمرة لم تُرَ في السماء قبل قتله**»[2]. فلا دلالة في هذه العبارة وكذا ما في المصادر الأُخرى التي نقلت هذه الحادثة على أنّ المراد حمرة الشفق.

---

(١) لقد عمدت مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية إلى بحث مسألة الحوادث الكونية والكرامات الواقعة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام في مجلّدين ضخمين، وفق الموازين العلمية الرصينة في ضوء المباني الرجالية الحديثة الشيعية والسنّية على حدّ سواء، وقد تولّى هذه المهمّة الجسيمة عضو لجنة التأليف في المؤسّسة فضيلة الدكتور حكمت الرحمة تحت إشراف اللجنة العلمية في مجلس إدارة المؤسّسة، وكان من بين المسائل التي توصّلنا إلى صحّة وقوعها بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ما أنكره الحيدري في كتابه هذا من مسائل وصفها بالأساطير والخرافات. أُنظر: الرحمة، د. حكمت، الحوادث الكونية والكرامات الواقعة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٢٧، وص٢٧٣.

(٢) الهيثمي، أحمد بن حجر، الصواعق المحرقة: ص١٩٤.

وأقصى ما في الأمر أنّ العبارة التي استفاد منها هذا المعنى هي قوله: «**ثمّ لا زالت الحمرة تُرى بعد ذلك... وأنّ ابن سيرين قال: أخبرنا أنّ الحمرة لم تُرَ في السماء قبل قتله**»، وهذه العبارة ليست صريحة في أنّ هذه الحمرة هي حمرة الشفق، بل لعلّ المراد احمرار السماء الذي يحصل في حين وآخر ـ كما في زماننا هذا ـ لم يكن يُرى من قبل مقتل الحسين عليه السلام[1].

٤ـ هناك فرق كبير بين الزهو والخيلاء وبين الاعتزاز، إذ الشعور بالمفردتين الأُوليين يُعدّ صفة مذمومة دينياً وعقلائياً[2]، بينما الشعور بالاعتزاز هو نتيجة المبرّرات العقلائية السائغة التي لا يشمئزّ منها أحد، كما لا يمانع الدين من أن يعتزّ الإنسان بأُموره العائدة إلى دينه، كما في بعض الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام[3]، فليت حُسن الظنّ كان محكماً لدى المؤلّف تجاه مَن نسب إليهم الزهو والخيلاء!!

٥ـ لقد حثّت الشريعة الإسلامية على الطاعة بجميع صنوفها الواجبة والمستحبّة وغيرهما، واعتبرت مَن يفرح بطاعته دليلاً على سلامة فطرته وتكامله الإنساني والإيماني، بل نرى أنّ الأفراح الإلهية قد صادفت أن تكون بعد إتمام التكاليف التي أمر الله بها عباده، كما في عيد الفطر والأضحى، وكما في الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**للصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربّه**»[4]، وكما ورد في نصوص أُخرى عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ سرور الرجل بعمله علامة من علامات الإيمان،

---

(١) وقد تمّت مناقشة هذا الأمر في كتاب الحوادث الكونية بصورة مفصّلة في مقام الردّ على الشبهة التي أثارها ابن تيمية، فمن شاء معرفة ذلك فليراجع: الرحمة، د. حكمت، الحوادث الكونية والكرامات الواقعة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٢٥.

(٢) أُنظر: البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج١، ص١٢٤. وأيضاً: المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص٢٣٤. وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص١١.

(٣) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٤٥. وأيضاً: المازندراني، محمد صالح، شرح أُصول الكافي: ج٩، ص١٩٠. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٤، ص١٥٠.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٦٥.

وذلك حين سُئل عن علامة المؤمن فأجاب صلى الله عليه وآله: «... **إذا سرّتك حسنتك وساءتك سيّئتك فأنت مؤمن**»[1]، فلا أعلم لماذا يعتبر فرح المؤمنين بالطاعة وأداء حقوق أهل البيت عليهم السلام ونصرتهم نوعاً من أنواع الزهو والخيلاء؟! ولو فرضنا وقوف الكاتب على حالات كهذه فهل يعني أن نعمّم الحكم ونعطي انطباعاً عامّاً بالشكل الذي بيّنه في عباراته المتقدمة؟!

٦ـ على فرض وجود هذه المظاهر التي اشمأزّ منها الكاتب، فهل يعني إلغاء المراسم الحسينية لأجل ذلك؟! وهل هذا الحكم يسري في جميع الأُمور العبادية؟! فلو تمّ استقراء الدوافع التي يحملها مَن يذهب إلى حجّ بيت الله الحرام، وتبيّن لنا أنّ قصدهم تحصيل السمعة الحسنة والشهرة والمكانة الاجتماعية، وكذا سائر الممارسات والعبادات كالصلاة ودفع الحقوق ومساعدة المعوزين وغير ذلك، فهل ذلك يمنعنا من أداء تكاليفنا الإلهية، أو يبرّر لنا أن نشنّ حملة شعواء ضدّها كما فعل الحيدري في موقفه هذا ضدّ مراسم العزاء؟!

المبحث الثالث: نظرته حول جمهور المشاركين في العزاء

من المؤسف جدّاً أنّ تجلّيات هذه النظرة السوداوية في هذا الفصل ليست هي الأُولى في كتابه (تراجيديا كربلاء)، بل تكرّر ذلك في الفصول المتقدّمة أيضاً؛ إذ إنّنا وجدنا ـ ومن خلال قراءتنا المستمرة ـ أنّ الكاتب يغتنم الفرصة والوقت المناسب للانتقاص من المشاركين في مراسم العزاء، وقد ذكرنا في أبحاث سابقة بعض الموارد التي حكم فيها جوراً على هذه الشريحة الكبيرة من المؤمنين، وناقشنا ذلك مفصّلاً[2]، وقد أكمل مسيرته في هذا الفصل وبأُسلوبه اللاذع، فقال: «**والأهمّ من كلّ ذلك هو أنّ أكثر مَن يتأثّر بهذه الشعائر والطقوس هم من عامّة الناس البسطاء، ومن غير المتعلّمين**

(١) ابن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ج٥، ص٢٥١.

(٢) أُنظر: الساعدي، صباح عباس، تطور المراسم الحسينية في كتاب تراجيديا كربلاء: العدد١٣، ص١٢٠.

من العمّال والفلّاحين من سكّان القرى والأرياف، والكسبة والحرفيين من سكّان المدن، الذين يأتون إلى العتبات المقدّسة للزيارة والتبرّك والمشاركة في ذكرى استشهاد الإمام الحسين في شهر محرّم من كلّ عام.

كما أنّ قرّاء العزاء الحسيني، الذين يذهبون إلى القرى والأرياف خلال شهري محرّم وصفر من كلّ عام لإقامة مجالس التعزية، غالباً ما يكونون من ذوي الثقافة البسيطة، غير أنّهم قادرون على إثارة عواطف المستمعين إليهم وحماسهم عن طريق قراءة بعض القصص التاريخية عن واقعة كربلاء الأليمة، التي تعكس البطولة والفداء والشهادة في سبيل المبدأ، مع بعض الأحاديث الشريفة، وترديد المراثي الحسينية بصوت جهوري حزين، وطريقة جنائزية تستطيع استدرار الدموع منهم؛ لأنّها تربط بين معاناتهم وآلامهم اليومية مع مأساة كربلاء المؤلمة... وفي الواقع، فإنّ العامّة من الناس، يفضّلون القارئ أو الخطيب الذي يعرض مأساة الطف بكربلاء بمزيد من القصص والأساطير العاطفية التي تثير اللوعة والألم وتستدرّ الدموع، حتّى لو كانت تلك القصص والأساطير والروايات والأحاديث بسيطة وساذجة وغير دقيقة من الناحيتين التاريخية والمنطقية، أو تتعارض مع فكر وأهداف ومواقف الإمام الحسين وثورته المجيدة»[1].

وقال أيضاً: «مع العلم بأنّ مَن يجلد نفسه بالسيف أو الزنجيل حتّى تسيل الدماء من رأسه أو ظهره ويعرض نفسه للخطر، إنّما يخالف آراء العلماء والمجتهدين، ولا يبالي بأقوالهم، ويبرّر ذلك بحجج منطقية. وفي الحقيقة والواقع، فقد أُطبق الصمت على مثل هذه الممارسات السلبية طوال عقود طويلة ممّا تركها تنمو وتقوى وتنتشر، ما عدا بعض المحاولات الجريئة التي تصدّت لمثل هذه الممارسات، في محاولة لتنقية عاشوراء ممّا حلّ بها من شوائب، وما أُلحق بها خلال عصور الجهل والظلام والتخلّف الحضاري»[2].

(١) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص٤٤٤.

(٢) المصدر السابق: ص٤٤٥.

ويتلخّص رأيه في هذه الجهة بالنقاط التالية:

١ـ إنّ أكثر المتأثرين بهذه الشعائر والطقوس هم أُناس جهلاء ليس لهم نصيب من العلم، غالبيّتهم من القرى والأرياف ومن الكسبة والحرفيين من المدن.

٢ـ إنّ الخطباء الذين يؤدّون دور الإرشاد والتبليغ في القرى والأرياف هم من المستويات الهابطة من الناحية الثقافية والرصيد الديني، بعدما وجدوا المساحة الرحبة بين الجماهير التي يهيمن عليها الجهل والتخلّف الحضاري.

٣ـ إنّ مَن يقوم ببعض الممارسات والطقوس المختلَف في جوازها أو استحبابها يقومون بمخالفة علنية للفقهاء والعلماء، ولا يهتمّون بآرائهم في المسألة، وهم من المتخلّفين حضارياً.

المناقشات العلمية

نقتصر في حديثنا حول هذا الموضوع على ذكر النقاط التالية:

١ـ لقد ذكرنا في الأبحاث السابقة الأهداف المهمّة والكثيرة التي تراد من إقامة المجالس الحسينية، وبيّنا أنّ هناك آثاراً ملموسة بشكلٍ واضح ـ وخصوصاً على المتلقّي ـ ضمن حديث مفصّل(١)، وأنّ تلك المجالس والمآتم جاءت نتيجة تأكيد الأئمة عليهم السلام لأتباعهم، ولقد كان لهذه المجالس الأثر البالغ على المجتمع الشيعي، وساعدت في رقيّ ثقافة أفراده وتَعرُّفهم على معالم دينهم، فالمجالس الحسينية مدارس متنقّلة مهمّتها إيصال الحقيقة والمعلومة الرصينة إلى عامّة الناس؛ إذ يتميّز المنبر الحسيني بإقبال واسع لدى كافة الطبقات الاجتماعية ومن مختلف الأعمار الرجالية والنسائية، ولا شكّ في أنّ الجميع ـ بما فيهم المثقّفون ـ ينهل من هذا البحر الغزير الذي يصدر عن علوم أهل البيت عليهم السلام، وهو بدوره يعبّئ الفرد الشيعي ويرسّخ في ذهنه المعلومة

(١) أُنظر: الساعدي، صباح عباس، نشأة المراسم الحسينية في كتاب تراجيديا كربلاء: العدد١٢، ص٩٥.

النقية والرصينة، وهذا ما شهد به حتّى المناوئون لأتباع أهل البيت عليهم السلام[1].

فالواقع الذي أثبتته الدراسات العلمية الكثيرة، وشهادة الفرق والمذاهب الإسلامية الأُخرى بوعي وثقافة الفرد الشيعي، يُبطل ما ذكره الكاتب.

ولنا أن نسأل الكاتب عن المعلومة التاريخية والدينية التي تعمل المؤسّسات التربوية والتعليمية، في بلداننا الإسلامية فضلاً عن بلاد الغرب، على إيصالها للأجيال، فهل هي إلّا الحقائق المزيّفة ومصادرة حقوق الأئمّة الأطهار عليهم السلام، كما هو الحال في أغلب المناهج المعتمدة في المؤسّسات التعليمية التي تُعنى بتعليم أولادنا؟! وهل يتمّ تسليط الضوء فيها على المسائل الدينية المهمّة؟! ومع ذلك كلّه تجد الفرد الشيعي قد حفظ المعلومة النقية في أُصول دينه وفروعه، فمن أين له ذلك لولا هذه المجالس وهذه المآتم التي يحرص الطغاة والمغرضون على محوها ويأبى الله إلّا بقاءها، بجهود علمائنا الأعلام وتحمُّل خطباء المنبر الحسيني الأعباء والمصاعب من أجل إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام؟!

٢ـ لم يخطر ببال أحد من الناس أنّ غالب مَن يحضر هذه المجالس والمراسم الحسينية هم من الناس البسطاء، أو أنّها غير محبّبة لدى المثقّفين من المجتمع، بل نجد أن مَن يحرص على إقامة المآتم الحسينية هم النخب والكفاءات العلمية الذين أدركوا أهمية المنابر الحسينية وأثرها في حفظ مبادئ الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه السامية، وذلك ضمن برامج ممنهجة على نفقاتهم الشخصية، يراد منها الرفع من وعي الجمهور الشيعي، والحفاظ على معتقداتهم، وخصوصاً في بلاد الغرب، فحتّى مَن لم يكن حاضراً في تلك المجالس ليشاهد الدور النخبوي في إقامة العزاء والتعرّف على

(١) أُنظر: https://www.youtube.com. وأيضاً: https://www.fun-for-world.com/video/youtube/tPm9SsJzzu4. وأيضاً: جعفريان، رسول، مراسيم العزاء الحسيني.. قراءة نقدية في مذكّرات الأجانب، ترجمة: الشيخ حيدر الأسدي، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٣، ص١٢٩.

الدوافع والأهداف من وراء ذلك، يكفيه أن يلقي نظرة سريعة في المواقع الإلكترونية ليخرج بهذه النتيجة الواضحة.

٣ـ إن كان هدف الكاتب من قوله: «**والأهمّ من كلّ ذلك هو أنّ أكثر مَن يتأثر بهذه الشعائر والطقوس هم من عامّة الناس البسطاء ومن غير المتعلّمين من العمّال والفلّاحين من سكّان القرى والأرياف...**»، هو بيان تخلّف مَن يتفاعل مع هذه المراسم العزائية، فلا أدري ماذا يُجيب عن التفاعل الملفت في عصرنا هذا مع التقدّم التكنولوجي والتطوّر العلمي والرقي الحضاري؟! ولماذا كلّ هذا التوسّع والتقدّم الكبير في إقامة العزاء الحسيني في البلدان المتحضّرة، ومن قِبل شخصيات تمتلك الكفاءة والدرجات العلمية؟! فها هي المجالس والمراسم الحسينية بكافّة أشكالها تقام في البلدان العربية والإسلامية، بل حتّى في البلدان الغربية أيضاً، وهو ما لا يحتاج إلى إقامة دليل.

٤ـ كم هو الفرق شاسع وكبير بين الخطاب المتشنّج من قِبل الحيدري في كتابه هذا ورؤيته الضيّقة حول الجماهير المشاركة في العزاء الحسيني(١)، وبين الخطابات المعتدلة الصادرة من قِبل مراجعنا وعلمائنا، فها هي المرجعية الدينية في النجف الأشرف حينما أرادت تنبيه الجماهير المعزّية على عدم قبولها بالشعائر غير المتماشية مع روح النهضة الحسينية وقدسية سيّد الشهداء، وجّهت خطابها الهادئ ونقدها البنّاء بعيداً عن إثارة المشاعر وتهييج الآخرين(٢)، وكذا المحاولات التصحيحية التي قام

(١) والتي تُعتبر امتداداً للنظرة التي يحملها المناوئون للأنبياء والرسل المتجلّية في قولهم: ﴿...وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾، هود: آية٢٧.

(٢) جاء في الخطبة الثانية التي ألقاها سماحة السيّد أحمد الصافي في الصحن الحسيني الشريف، في الرابع عشر من شهر صفر عام (١٤٣٧هـ) ما نصّه: «... إنّ من الأُمور المهمّة التي ينبغي أن تلتفت إليه أنظار السائرين في طريق الإمام الحسين عليه السلام، هو ضرورة الاجتناب عمّا يثير الفرقة والاختلاف في صفوف المؤمنين، وعدم استغلال هذه المناسبة الحزينة للترويج للجهات التي ينتمون إليها، دينية كانت أو سياسية أو غيرهما، والأهمّ من ذلك الابتعاد عن بعض الممارسات المستحدثة التي لا تنسجم مع قدسية هذه المناسبة الحسينية، والاقتصار فيها على الشعائر التي توارثها المؤمنون خلفاً عن سلف في إقامة عزاء سيّد شباب أهل الجنّة، والحزن والجزع عليه، وإحياء أمره وأمر الأئمة من

بها المرجع الكبير السيّد محمد سعيد الحكيم، كما أشرنا إلى ذلك في بحثنا الموسوم بـ: (أثر المرجعية الدينية في حفظ الشعائر الحسينية وإصلاحها)، والذي تقدّم الحديث عنه آنفاً، فقد جاء في ضمن إرشاداته القيّمة للجماهير الموالية ما نصّه: «**واللازم حينئذٍ على كلّ طرف من أطراف الخلاف الاقتصار على بيان وجهة نظره، أو محاولة الإقناع به بالتي هي أحسن، كما حثّ الشارع على ذلك في سائر موارد الخلاف...**»[1]. وقال أيضاً: «**... ولا ينبغي تجاوز ذلك إلى إرغام الغير على تقبُّل وجهة نظره، أو الصراع الحاد والتشنّجات، أو التهريج والتشنيع والتوهين... إلى غير ذلك ممّا يؤدّي إلى انشقاق الطائفة على نفسها، وتمزيق وحدتها، ووهنها أمام الآخرين، وشماتة الأعداء بها...**»[2].

ولكَمْ يعجبني الخطاب الهادف الذي وجهه بعض علمائنا الأجلّاء للجماهير المطبّرين؛ إذ قال: «**بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين، كثيراً ما نُسأل عبر الرسائل وغيرها عن حكم التطبير، وأُريد أن أتحدّث بشكلٍ صريح ومستدَل، وأبيّن لكم أيُّها الأحبّة حيثيات هذه المسألة: بداية لا شكّ ولا ترديد في أنّ المطبّرين يضربون رؤوسهم بالآلات الحادّة تعبيراً عن حبّهم للإمام الحسين عليه السلام، نحن لا نشكّ في نواياهم الخالصة، وإنّما الإشكال يرد على الطريقة التي يعبّرون بها عن مشاعرهم، فمراسم العزاء إمّا أن تكون منصوصة شرعاً أو تندرج تحت الإطلاقات...**». وبعد أن

وُلده عليهم الصلاة والسلام». *http://webcache.googleusercontent.com/search*.

وليس خافياً أنّ الخطبة الثانية من صلاة الجمعة التي تقام في الصحن الحسيني المقدّس تُعتبر الرأي الصريح للمرجعية العليا في النجف الأشرف، يتمّ التصريح به بواسطة سماحة العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي ممثّل المرجعية العليا والمتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة، أو عن طريق ممثّل المرجعية العليا سماحة العلّامة السيّد أحمد الصافي والمتولّي الشرعي للعتبة العباسية المقدّسة. اُنظر: اللقاء الذي أجرته قناة كربلاء الفضائية مع ممثّل المرجعية العليا في النجف الأشرف سماحة السيّد أحمد الصافي، ضمن برنامجها (نداء المرجعية): يوم السبت ٢٣/ ١٢/ ٢٠١٧هـ، الساعة ٨ـ٩ مساءً.

(١) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص٥٧٧.

(٢) المصدر السابق: ص٥٧٨.

تحدّث بشكلٍ مفصّل وذكر الأدلّة المانعة عن هذه الممارسات، قال: «**لو كُتب لي أن أحضر مجالس التطبير، أرغب في أن أُقبّل يد المطبّرين، ثمّ أنزع السيوف من أياديهم، وأقول لهم: إنّ التطبير في العصر الراهن غير مناسب، ربّما لو تغيّرت الظروف في المستقبل وتغيّر تبعاً لها رأي العلماء، حينئذٍ لكلّ مقام مقال... ومع هذا لا أتردّد، وأكرّر: لا أتردّد، في أنّ المطبّرين يضربون رؤوسهم للتعبير عن حبّهم للإمام الحسين**عليه السلام**...**»[1].

ولسنا في صدد التأييد أو الرفض لهذه الممارسات، لكنّنا نريد القول: بأنّ لهذه الخطابات والتوجيهات الهادفة والمعتدلة الأثر الكبير والبالغ في نفوس الجماهير المعزّية؛ ما يجعلهم يمتثلون أوامر وإرشادات علمائهم، فيبتعدون عن الممارسات التي يفتي مرجعهم بحرمتها أو كراهتها عن ثقة وقناعة تامّة بذلك.

هناك بعض الأجوبة المهمّة أيضاً حول هذا المبحث وكذا المباحث السابقة، إلّا أنّنا اكتفينا بهذا المقدار، لنخلص إلى النتيجة التالية، وهي: أنّ هذا الكاتب لم يراعِ الموازين العلمية، ولم يلتزم بما أخذه على نفسه في مقدمة كتابه، بعد أن كان هدفه الرئيسي الانتقاص من المراسم الحسينية والنيل ممّن يؤيّدها أو يعمل على إحيائها والحفاظ عليها.

خاتمة

بقي في هذا الكتاب (تراجيديا كربلاء) جملة من العبارات المرتبطة بموضوع بحثنا (محاولات الاستغلال لمبدأ الإصلاح في الشعائر الحسينية)، وهو ما يتعلّق باستغلال مبدأ الإصلاح لإلغاء المراسم العزائية ونظرته تجاهها، إذ لم يكن نصيبها من الانتقاص والتشويه أقلّ ممّا تناولناه في المباحث السابقة؛ وكشاهد على ما ذكرناه ننقل ما قاله في سياق حديثه عن المراسم الحسينية: «**كما يبدو لنا بأنّ ممارسة الطقوس الدينية تؤدّي في أحيان كثيرة إلى تعطيل دور الدين الحقيقي ومبادئه الأساسية، وتحوله إلى ممارسات**

(١) https://www.youtube.com/watch?v=DwwWIWOvUYA.

جامدة، وحين يفقد الدين، كمنهاج وأسلوب للحياة، ويتحوّل إلى مجرّد طقوس، نكون قد أغفلنا دوره الحقيقي في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة»[1]. وهي واحدة من العبارات الكثيرة التي تُسيء إلى مراسم العزاء المعبّرة عن الحزن على سيّد الشهداء عليه السلام.

وكان من المقرّر أن نتناول ذلك في مبحث رابع من مقالنا هذا لتكتمل الصورة لدى القارئ الكريم حول الجوانب التي نال منها الكاتب في هذا الفصل الذي أسماه بـ: (العزاء الحسيني: محاولات الاستغلال والتشويه)، ولكن نظراً لكثرة المطالب التي تضمّنها هذا المبحث من جهة؛ ما يستدعي أن نخصّص بحثاً مستقلاً، ولكون الخوض في هذا الجانب ضمن بحثنا هذا يخرج به عن الحدود المقرّرة له ضمن مجلّتنا من جهة أُخرى؛ ولأنّنا قد تناولنا بعض المطالب المشابهة في أبحاثنا السابقة من جهة ثالثة؛ كلّ ذلك جعلنا نميل إلى إيكال ذلك إلى وقت آخر؛ إذ لعلّنا نبحث هذه المطالب في بحث آخر، أو ضمن مشروع يلوح في أُفقنا يهدف إلى تأليف إصدار مستقلّ للردّ على هذا الكتاب الذي يحوي من المطالب المغلوطة ما يفوق العدَّ والتصوّر بكثير، إذ لم نذكرها بأجمعها مراعاة للاختصار المناسب لأُسلوب بحوث المجلّات.

نسأل الله أن يوفّقنا لخدمة دينه، وأن يعيننا على طاعته والسير على نهج أوليائه، إنّه سميع مجيب.

(١) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء: ص٤٤٥.

مَلفُ العَدَدْ

الشَّعائِرُ الحُسَينيّةُ ومَشرُوعُ الإصْلاح .. التأثيرُ والتأثُّر

- حوارية: الخطوط العامّة في الشعائر وحدود الإصلاح
- ندوة: الجزع على الإمام الحسين ﷺ بين الاستدلال الفقهي والتنظير الفكري
- إصلاح الشعائر الحسينية في ضوء روايات أهل البيت ﷺ
- الإفراط والتفريط في التعامل مع الشعائر الحسينيّة
- قراءةٌ في شهادة البطل عابس الشاكريّ ودعوى الجنون الموهوم
- دور الزيارة الأربعينية في الإصلاح
- دور الشعائر الحسينيّة في تحفيز الذكاء العاطفي
- التغنّي في مراثي الإمام الحسين ﷺ

حواريّة:

الخطوط العامّة في الشعائر وحدود الإصلاح

العلّامة السيّد مصطفى حسينيان*

استثمرت مجلّة الإصلاح الحسيني فرصة الحوار مع سماحة العلّامة السيّد مصطفى حسينيان (حفظه الله)؛ وذلك إيماناً منّا بضرورة عرض النتاج الفكري للمحقّقين والباحثين المتخصّصين، مع مراعاة أُصول البحث العلمي والحوار الهادئ الرصين؛ للوصول إلى الحقيقة بكلّ حِرَفيّة وعقلانية. فكان لنا معه هذا الحوار:

الإصلاح الحسيني: ابتداءً نشكركم سماحة السيّد على إتاحة هذه الفرصة، ونأمل أن تكون مفتاحاً لفرص أُخرى ومشاركات قادمة إن شاء الله.

نبدأ معكم سماحة السيّد بالسؤال الأوّل: هناك كلام طويل في تحديد مفهوم الشعائر بشكل عام، ومفهوم الشعائر الحسينية بشكل خاص، حبّذا لو تذكرون لنا باختصار ما هو المراد من الشعائر الحسينية؟ وهل هناك ضوابط ومعايير نستطيع من خلالها أن نشخّص أنّ هذه المفردة أو هذا المصداق من ضمن الشعائر، أو هو خارج عن دائرتها؟

(السيّد حسينيان): بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، ثمّ الصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللّعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الشعائر: جمع شعيرة، والشعيرة بالمعنى اللّغوي والعرفي: الإعلام عن شيء، أو

---

* أُستاذ البحث الخارج في الحوزة العلمية في مدينة قم المقدّسة.

بيان شيء، أو إيصال رسالة ما إلى الآخرين[1]، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[2]. لقد جاء الحجّ في الآيات القرآنية بصفته أبرز الشعائر؛ لأنّ الحجّ علامة وشعيرة كبيرة في الإسلام، فإنّ الإسلام يتجلّى ويبرز في موسم الحجّ أمام المسلمين، بل أمام العالم والبشرية، فيظهر أنّ هناك ديناً وشريعة، وهذه الشريعة تشتمل على مجموعة من المناسك في زمان معين قد سُمِّيت بالحجّ، وهذا هو معنى الشعائر.

ونحن عندما نقول: إنّ إحياء النهضة الحسينية وكلّ ما يرتبط بمراسم عزاء الإمام الحسين عليه السلام هو من الشعائر الدينية، نعني بذلك: أنّها علامات وأمارات تُبرز معالم الدين عند مذهب أهل البيت عليهم السلام؛ لذلك يعتبر الميزان في صحّتها أو سقمها هو مدى تناسبها مع الأهداف والغايات التي كانت وراء هذه النهضة.

إنّ للنهضة الحسينية أهدافاً، وجميع الممارسات التي تنطوي تحت هذه الأهداف، وتكون تحت مظلّتها، تعتبر شعائر حسينية، والميزان في صحّتها هو: أن توافق سلوك الإمام عليه السلام وخطواته من بدء النهضة إلى نهايتها، وتوافق أيضاً خطوات أهل البيت عليهم السلام، فهذه كلّها موازين لصحّة الشعائر أو سقمها، وما خالف هذه السلوكيات، أو عارض أهداف النهضة الحسينية، فهو خارج عن دائرة الشعائر الحسينية وإن أُلبس أحياناً ثوب الشعائر الحسينية.

الإصلاح الحسيني: إذن، أنتم ـ سماحة السيّد ـ ابتداءً مع فكرة تعميم الشعائر على غير مناسك الحجّ؛ لتشمل ـ كذلك ـ الممارسات والمراسم الحسينية، علماً بأنّ هناك مَن يقول: إنّ لفظ الشعائر مختصّ بمناسك الحجّ، وأنّ التطبيقات القرآنية في هذا المجال لم تتجاوز دائرة تلك المناسك، وأنّ أحاديث الأئمّة عليهم السلام أيضاً لم تتضمّن تطبيقاً آخر،

---

(١) أُنظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٢، ص٥٩. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٢، ص٦٩٨.

(٢) الحج: آية٣٢.

فكيف تسنّى لكم هذا التعميم في الاستعمال؟

(السيّد حسينيان): نعم، أنا مع فكرة التعميم؛ لأنّ الميزان هو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، فإنّ القرآن قد طبّق عنوان الشعائر على مناسك الحجّ، ولا يُستفاد من ذلك أنّه حصر الشعائر في الحجّ، بل إنّ اللفظة مطلقة، وقد جاءت بصيغة الجمع (الشعائر)، وليست بصيغة المفرد، والحجّ بصيغته المفردة يعتبر من الشعائر، وليس بصيغة الجمع؛ من هنا يعتبر إطلاق الشعائر على الحجّ في القرآن من باب تطبيق الكلّي على الفرد وعلى المصداق بصفته من شعائر الله تعالى، وليس من باب حصر الشعائر في الحجّ، فنحن لا نستفيد من آية الحجّ الحصر، أعني: لا توجد في آية الحجّ أداة حصر أو صيغة من صيغه كالنفي والاستثناء، بحيث نستفيد منها أنّ مصداق الشعائر الدينية أو شعائر الله هو الحجّ فقط، هذه هي النقطة الأُولى.

والنقطة الثانية: هي أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ بعمومه وإطلاقه يشمل كلّ شعيرة يكون فيها رضا الله تعالى، وفيها تبليغ وإعلان عن الدين، وإنّ من أهمّ الشعائر الدينية هو إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام. نعم، إنّ جانباً من جوانب الحجّ هو إحياء لذكر أهل البيت عليهم السلام، فمَن كان يذهب إلى الحجّ في عهد المعصومين عليهم السلام كان يلتقي الإمام المعصوم عليه السلام، ويسأله عن مسائله، بل الحكمة والفلسفة التي تقف وراء شعيرة الحجّ هي أن يلتفّ الناس حول النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام في موسم الحجّ، فيأخذوا عنه معالم دينهم.

بناءً على هذا نقول: إنّ الشعائر مفردة عامّة، أعني: أنّها لا تختصّ بالحجّ، فكلّ ممارسة تحيي ذكر أهل البيت عليهم السلام، وتبيّن مقاماتهم وفضائلهم ومعالمهم ورواياتهم، تعتبر شعيرة؛ لذلك ورد في روايات كثيرة: «**فأحيوا أمرنا، رحم الله مَن أحيى أمرنا**»[1]، والروايات التي تنصّ على قضية عاشوراء وقضية الحسين عليه السلام من الكثرة بمكان، ومنها ما يرتبط بزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٢، ص٢٠.

وعلماؤنا الآن ـ بشكل عام ـ يعتقدون أنّ المقصود من الشعائر أو الشعيرة الإسلامية ما يحيي ذكر الدين، وهذا العنوان لا يختصّ بالحجّ، وإنما يُعدّ الحجّ من أبرز مصاديق الشعائر.

الإصلاح الحسيني: سماحة السيّد، هل هناك مصاديق معيّنة للشعائر الحسينية سعى أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى إبرازها وتأكيدها؟

(السيّد حسينيان): نعم، من أهمّها: زيارة الإمام الحسين عليه السلام، حيث ورد في النصوص التأكيد على زيارته حضوراً وغياباً، بُعداً وقرباً، وقد كثرت الروايات التي وردت في أجر الخطوات التي يتقدّم بها الزائر نحو قبر الحسين عليه السلام[1].

فلا أتصوّر أنّ هناك شيئاً من الشعائر المستحبّة قد حثّت عليه روايات أهل البيت عليهم السلام أكثر من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، والحفاظ على هذه الشعيرة الإسلامية؛ باعتبارها رمزاً لبقاء الإسلام منذ استشهاد الإمام عليه السلام إلى يومنا هذا، فالإسلام الحقيقي، وهو إسلام أهل البيت عليهم السلام، إنّما بقي بشهادة الإمام الحسين عليه السلام.

الإصلاح الحسيني: ننتقل ـ سماحة السيّد ـ إلى ملفّ الإصلاح في النهضة الحسينية. نودّ أن نتعرّف ـ وبإطلالة سريعة ـ على مفهوم الإصلاح، فلربّما نجد ممارسات كثيرة تُقام الآن باسم الشعائر الحسينية، وهناك دعوة إلى إصلاح تلك الممارسات، فما هو مفهوم هذا الإصلاح لديكم؟

(السيّد حسينيان): إنّ تحديد مفهوم الإصلاح في الشعائر الحسينية يرجع ـ في الحقيقة ـ إلى الشخص الداعي إلى الإصلاح، فلا بدّ أن يُحدِّد: ماذا يقصد من الإصلاح؟ فالذي يقول: لا بدّ من الإصلاح في الشعائر الحسينية، ينبغي له أن يبيّن: على أيّ مبنى، وعلى أيّ مقدّمات، أو على أيّ ارتكاز شرعي أو متشرّعي أو لغوي يدّعي الإصلاح؟

---

(١) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات (الأبواب الخاصّة بزيارة الإمام الحسين عليه السلام).

أنا أتصوّر أنّ الذي يدّعي الإصلاح ـ إذا كانت دعواه صادقة ومخلصة وصحيحة، ولا يقصد من وراء هذه الدعوة غاية أُخرى ـ إنّما يقيم دعوته على أحد ملاكين: فهو إمّا أن يقول: إنّ بعض الممارسات الموجودة حالياً، والتي تُنسب إلى الشعائر الحسينية، ليس لها سند معتبر، أعني: لا يوجد لها آية أو رواية أو أيّ شاهد أو دليل شرعي، كبعض الممارسات التي يقوم بها المعزّون بمصيبة الإمام الحسين عليه السلام في بعض المدن والبلاد، أو عند بعض القوميّات، ممّا يسمّى الآن بآداب التعزية وآداب المجالس.

وإمّا أن يرى أنّ الميزان في الشعائر الحسينية هو: أن لا تنتهي إلى الشين وسوء السمعة للمذهب، فإذا انتهت إلى الشين فلا تندرج حينها تحت مفهوم الشعائر الحسينية.

وعليه؛ فالمقصود من الإصلاح هو: أن نُخرِج من المذهب ما ليس داخلاً فيه، على أن يكون كلّ عمل وممارسة وسلوك يرتبط بالشعائر الإسلامية داخلاً في الشريعة، وإخراج ما ليس من الشعائر، إمّا بملاك أنّه لا دليل عليه، أو بملاك أنّه يوجب الشين والوهن للمذهب، وكلّ شيء يتمّ إدخاله في الشريعة وهو ليس داخلاً فيها، يعتبر من الشعائر الباطلة، أمّا ما عدا ذلك فليس فيه محذور، فلماذا نصلحه؟!

فهذا هو معنى الإصلاح في الشعائر، أي أن تكون لدينا منهجية وخارطة طريق في الشعائر الحسينية، على أن تكون موافقة لأهداف النهضة الحسينية، أو موافقة لسلوك أهل البيت عليهم السلام والمؤمنين المتّبعين لهم في حياتهم، أمّا إذا كانت الممارسة خارج هذا الإطار، فهي ليست من الشعائر؛ لأنّها تستتبع الوهن والشين على المذهب.

الإصلاح الحسيني: هل يعني ذلك أنّ بعض الممارسات التي لا تعدّ شيناً على المذهب يمكن إدراجها في مفهوم الشعائر الحسينية حتّى إذا لم يكن لها مستند شرعي؟

(السيّد حسينيان): نعم، لا بأس بذلك، كالضرب بالسلاسل مثلاً، فإذا كان الضرب بالسلاسل في زمان ما أو في مكان ما يُؤدَّى بصورة لا تستتبع الشين فلا بأس به، أمّا أن يقرأ المدّاح أو المنشد (الرادود) المراثي والقصائد مثلاً بصوت يشبه

ـ لا سمح الله ـ صوت الغناء، ممّا يستتبع الشين على المذهب، فلا يجوز ذلك، ولا يُعدّ ذلك من الشعائر، أمّا إذا لم يستتبع الأداء الشين، وكان الأداء في حدّ ذاته يمثّل صوتاً جميلاً فلا بأس به.

فملخّص الكلام: أنّ مَن يدّعي الإصلاح وتهذيب الشعائر الحسينية، يجب عليه أن يتّبع أحد الملاكين الآتيين:

الملاك الأوّل: أن يُقِرَّ من الشعائر ما تدعمه الأدلّة فقط، ولا يوافق على غير ذلك، ممّا لم يدعُ إليه المعصومون عليهم السلام، أو لم يمارسوه.

الملاك الثاني: أن لا يرى إشكالاً في الشعائر العرفية، والعادات المتعارفة بين الأقوام والملل والبلدان، فكلّ بلد له سنّة من سنن العزاء، والمهمّ أن لا تستتبع هذه الممارسات وهناً وضعفاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

والميزان الثاني أوسع دائرة من الأوّل؛ فليس كلّ ما نفعله ينبغي أن نتّبع فيه دليلاً في الشريعة، خصوصاً في الأُمور العرفية، فلبس السواد في المصيبة ـ مثلاً ـ ليس له في الروايات ما يؤيّده ويدعو إليه، بل الأمر بالعكس، فإنّ لبس السواد مكروه بحسب بعض الروايات، ولكنّ لبسه في أيام المصيبة والعزاء يُعدّ عادة، وفي أغلب البلدان يُعدّ شعاراً للحزن والعزاء.

نعم، قد لا يكون لبس السواد عند قوم أو في بلد شعاراً للعزاء، بل يكون لبس اللون الأحمر ـ مثلاً ـ أو اللون الأخضر شعاراً لهم، فعلينا ألّا نقيّد ذلك البلد أو أولئك القوم بأن يلبسوا الأسود، وليس لنا أن نسألهم معترضين: لماذا لبستم الأخضر مثلاً؟ إذن؛ لا تنافي بين لبس السواد كراهةً ولبسه عزاءً لمصيبة أهل البيت عليهم السلام من حيث كونه من الشعائر.

ولا ينبغي أن نقيّد الشعائر بهذه الدقّة، بحيث نقول: إنّ كلّ نوع من الشعائر لا بدّ أن تكون له رواية؛ لأنّ قضية الشعائر غالباً هي من القضايا العرفية، ومرجعها

إلى العـرف، وليسـت تعبّدية، وربما يقع الخلط أحياناً بين القضايـا التعبّدية والقضايا العرفية، فليست الشعائر صلاةً أو صوماً حتّى نقول: إنّ أيّ كلمة وأيّ حرف لا بدّ له من دليل قطعي، كما في المسائل التعبّدية، فقضية العزاء وإظهار الحزن على مصيبة الإمام الحسـين عليه السلام ومواسـاة أهل البيـت عليهم السلام في مظلوميتهم ومصائبهم هـي قضية عرفية.

والمهـمّ في الأمر هـو: أن يبتني الإصلاح على تنزيه الشـعائر عن الممارسـات التي تستتبع وهناً وشيناً على المذهب بأيّ نحو من الأنحاء.

الإصلاح الحسيني: بناءً على ما ذكرتم سيكون المعيار الأوّل للشعائر ثابتاً، لا يتغيّر من زمان إلى زمان، أو من مكان إلى آخر، وهو ما يكون له مصدر شرعي، والمعيار الثاني متغيّر من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، وهو المعيار العرفي، فربّما يكون رسم من الرسـوم شـعيرة في ظرف، ولا يكـون كذلك في ظرف آخر، أو يكون شـعيرة في مكان ما، ولا يكون كذلك في مكان آخر، بحسب العادات والتقاليد المتغيّرة.

(السيّد حسينيان): نعم، الأمر كما ذكرتم.

(الإصلاح الحسيني): هل يمكننا القول: إنّ بعض مراسم إحياء ذكرى عاشوراء تدخل في دائرة الإباحة بالمعنى الأخصّ، فتكتسب الشرعية من هذه الجهة؟

الإصلاح الحسيني: ليس الأمر كذلك، إذا صار الفعل مباحاً يخرج عندها عن كونه من الشعائر؛ لأنّ الشعائر محكومة بالاستحباب، فكلّ ما يعدّ من الشعائر فهو محبوب ومرغوب عند الله على أقلّ تقدير، فالشعائر تتسم بطابع الاستحباب حتّى وإن لم يرد فيهـا نـصّ خاصّ؛ لأنّ العمومات والإطلاقات تشـملها، ومنهـا ـ على الأقل ـ هذه الآيـة الكريمـة: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، مـع مراعاة أن لا يدخلها ما يوجب الشين والوهن.

الإصلاح الحسيني: المشـكلة ـ سـماحة السـيّد ـ أنّ القضيـة عندمـا تـترك إلى العرف سنواجه فيها اختلافاً في وجهات النظر، وذلك عندما نضع يدنا على بعض المصاديق،

فبعضهم يعتبر أنّها مشينة معيبة، وأنّها تنعكس سلباً على المذهب، وبعضهم لا يعدّها كذلك، فكيف يمكن التعامل مع مثل هذه الحالات؟

(السيّد حسينيان): إنّ هذه المشكلة نواجهها في المجالات الفقهية الأُخرى أيضاً، فالفقيه يتردّد أحياناً في بعض المسائل الفقهية، ففي باب الضمان ـ مثلاً ـ قد يتردّد الفقيه في أنّ هذا الشيء مثليّ أو قيمّي، حيث يرى أنّه مثليّ في بلد، وقيميّ في بلد آخر، فكيف يتعامل مع هذه القضية؟ وهل يفتي بضمان المثل أو القيمة؟ هنا يُفصّل الفقيه في الحكم، فيقول: كلّ بلد بحسبه.

فإذا كان الشين والوهن في الممارسة يختصّ ببلد ما أو قوم ما، فالمفروض أن تترك هذه الممارسة في ذلك البلد، أو عند أولئك القوم، أمّا إذا كان الوهن والشين عامّاً لا يختصّ ببلد دون بلد، أعني: أنّ هذا الفعل أو هذه الممارسة توجب الوهن أينما كانت، فمثل هذه الممارسات لا بدّ من إصلاحها.

الإصلاح الحسيني: بالنسبة إلى معيارية الوهن التي ذكرتموها، أحياناً تُمارس شعيرة من الشعائر فلا تستتبع وهناً في بيئتنا الإسلامية، لكنّها ربما تستتبع ذلك في المجتمعات الغربية، ويكون لها انعكاسات سلبية في نظرتهم إلى الإسلام، خصوصاً مع وجود هذا الكمّ الهائل من القنوات الفضائية والإنترنت وبرامج التواصل الاجتماعي، فأيّ وهن يُعدّ معياراً حينئذٍ لاتخاذ الممارسة شعيرة أو عدم اتخاذها شعيرة؟

(السيّد حسينيان): هذه قضية خارجية وليست حقيقية، أعني: إذا كانت هذه المراسم التي تمارس في بلادنا تصل إلى الغرب، وتوجب الوهن بالفعل، فهذه مشكلة، أمّا إذا كانت لا تصل مثلاً، أو أنّها تصل بصورة مختصرة جدّاً، غير الصورة التي نلمسها عن قرب، بحيث أنّها لا توجب وهناً، أو أنّها تصلهم، ولكنّنا نقدّم لها تفسيراً أو تحليلاً في وسائل الإعلام والقنوات الفضائية يرفع الوهن عنها، فلا بأس بها حينئذٍ.

فالمشكلة الحقيقة في عصرنا الحاضر هي: أنّ هناك جملة من الشعائر التي تبثّ في القنوات الفضائية من دون تفسير أو تحليل، كحمل المشاعل مثلاً، فإنّه يبثّ في القنوات الفضائية دون توضيح وتفسير، فماذا لو سأل شخص غريب لا يعرف هذه الشعائر: لماذا يحمل الناس النار؟ ولماذا يدورون حولها؟ بل كثيراً ما يسألني الناس: ما تفسير هذه المشاعل التي تُحمل في ليلة الثامن والتاسع والعاشر من محرّم؟ فهم لا يدرون فلسفتها، ومَن لا يدري ربّما يعتبرها شيئاً من الوهن والشين، أمّا لو تمّ عرض الممارسة في قالب بعيد عن الوهن، أو يكون معها تفسير، أو يتصدّى بعض الخبراء مقدّمة لبيان فلسفتها في إطار مقابلات تلفزيونية أو ندوات علمية وثقافية، كما في بعض الأفلام التي تبثّ في القنوات الفضائية، حيث يتصدّى بعض الخبراء ونقّاد السينما مقدمة لبيان قصّة الفلم وملابساته، وأحياناً تُجرى مقابلات بعد عرض الفلم مع المخرج أو كاتب السيناريو مثلاً؛ ليكشفوا عن الدواعي والأسباب التي دعتهم إلى إنتاج الفلم، أو يجيبوا عن الاستفهامات والأسئلة والشبهات التي تدور حوله.

فهذا الدور مفقود مع الأسف، وهناك ضعف في بيان فلسفة الشعائر، نحن نبث الشعيرة في التلفزيون والقناة الفضائية، ولا نتحدّث قبلها ولا بعدها عن فلسفتها، ولا ندافع عنها، وهذا هو الذي يوجب الوهن والشين، فهذا الإبهام الذي يكتنف بعض الشعائر هو الذي يسبب الوهن، وليس الشعيرة ذاتها.

وبشكل عام، إذا كان هناك خوف من الوهن، فإنّه لا بدّ من الاحتياط والاجتناب عن هذه الممارسات بلا شك، وما يكون فيه وهن وشين على الإسلام لا فرق في أن يكون المخاطب به هم المسلمون أو غير المسلمين، فحفظ الإسلام وسمعته واجب على المسلمين فيما بينهم، وكذلك إزاء الكفّار.

الإصلاح الحسيني: سماحة السيّد، ألا تنسحب هذه الضابطة (الوهن والشين) على بعض الأحكام الشرعية؟ كقطع يد السارق، أو رجم الزانية المحصنة... ألا تُعتبر مثل هذه الأحكام مما يؤدّي إلى الوهن في نظر البعض؟

(**السيّد حسينيان**): بالنسبة إلى الواجبات والمحرّمات لا يمكننا أن نتنازل عنها، ففي آية الرجم: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ورواياته تأكيد على أن يكون الرجم عبرةً للعاصين، أو لمن هو في حال العصيان لا سمح الله، فإذا رُجم عاصٍ بمرأى من الناس فسوف يبتعد الآخرون عن مسببات الرجم، كذلك الحال بالنسبة إلى الحدود، فإذا حُدّ شارب الخمر أمام أعين الناس فإنّ ذلك يُعدّ نوعاً من الإعلام الرادع للآخرين، فمثل هذه الأحكام تتمثّل فلسفتها في هذا الإظهار، مثلما نقول: إنّ تشييع الميّت مستحبّ؛ فإنّ فلسفة التشييع هي احترام الميّت المسلم، لذلك يُعتبر الحضور وبكثرة مستحبّاً.

من هنا يعتبر بحث الحدود بحثاً خاصّاً يرتبط بالإبراز والإظهار. نعم، ربما لا تُبرِز الدولة أو الحكومة الإسلامية هذه الحدود أمام الناس وأمام العالم لمصلحة ثانوية مثلاً، ولكن ـ بشكل عام ـ لا بدّ من إبرازها؛ حتّى تكون عبرة للآخرين. وقد رأيت أنّ بعض الغربيين وعلماء النفس من أمريكيين وغيرهم قد توصّلوا إلى هذه النتيجة، وهي: أنّ بعض الحدود التي تُقام في الشريعة الإسلامية صحيحة؛ لأنّ علاج بعض الأمراض النفسية والاجتماعية لا يمكن إلّا بتنفيذ هذه الحدود؛ لذلك يُعدّ بحث الواجبات والحدود بحثاً آخر لا يمكن التنازل عنه.

إضافة إلى ذلك، فهي أُمور ذات طابع تعبّدي، والنصوص الشرعية صريحة فيها، ولا يمكن العدول عنها إلّا بدليل حاكم أو أهمّ، وهو راجع إلى الحاكم الشرعي، ويجب العمل على طبق رأيه.

أمّا بالنسبة إلى الشعائر، فباعتبار أنّها قضايا عرفية تدخل في باب المستحبّات، يمكن أن يُقال: إنّ هناك شيئاً أهمّ يزاحمها، وهو ملاك الوهن والشين، وهي من المحرمات.

فسؤالكم هذا لطيف جدّاً؛ لأنّ هناك خلطاً الآن بين هذين الموضوعين، فربما يقول البعض: كما أنّ بعض الشعائر الحسينية يستتبع الوهن، فإنّ إقامة بعض الحدود

---

(١) النور: الآية ٢.

أيضاً توجب الوهن، إذن؛ لا بدّ ألّا نقيمها، أو نقيمها خفيةً، نقول لهؤلاء: كلا، القضية بالعكس، فإنّ هذه الحدود تدلّ على ثبات أحكام الشريعة وقوّتها، وأنّ هنالك مصالح لله تعالى نظر إليها ولاحظها في هذه الحدود.

الإصلاح الحسيني: من ناحية تاريخية، نودّ أن نسألكم سماحة السيّد: متى بدأت حركة الإصلاح في الشعائر الحسينية؟ فهل هناك تحديد لتاريخ بدء هذه الحركة؟ وما هي الأسباب والدوافع التي دعت إلى ذلك؟

(السيّد حسينيان): لا أتذكّر أنّ هناك تحديداً تاريخياً معيّناً لهذه الحركة، فعصر الأئمّة عليهم السلام مثلاً كان عصر التقيّة، فما بلغنا عن أهل البيت عليهم السلام من روايات تؤكّد استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام إنّما كانت لخواص أصحابهم، وليست لعمومهم، فعلى مستوى العموم لم يكن الأئمّة عليهم السلام يستطيعون أن يحثّوا على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، أو يبيّنوا ما فيها من ثواب عظيم، وبعد زمان الأئمّة عليهم السلام كان دور علمائنا أيضاً ـ بشكل عام ـ هو دور التقيّة؛ لأنّ الحكومة لم تكن بأيديهم، منذ بني العباس حتّى العثمانيين، فلم يقع الحكم بيد العلماء بحيث ينفتح لهم المجال لتعظيم الشعائر الحسينية مثلما الحال في زماننا الحاضر، لتسود بعض الشعائر الموهنة، ويبدأ العلماء بالإصلاح، وتكون حركتهم الإصلاحية تاريخاً لحركة الإصلاح.

من هنا أتصور أنّ بحث الإصلاح في الشعائر الحسينية بحثٌ مستحدث، أعني: ليس له جذور قديمة؛ لأنّ الشيعة كانوا سابقاً في حالة التقيّة، وإذا كانوا يقيمون بعض الشعائر الحسينية فإنّ ممارساتهم تقتصر على مجرّد الزيارة، أو إقامة مجالس العزاء في البيوت... فهذه الحسينيات، وهؤلاء المنشدون (الرواديد)، وهذه المجالس العامة، والقنوات الفضائية، كلّ ذلك لم يكن موجوداً في السابق.

وما دعا إليه ـ على سبيل المثال ـ السيّد محسن الأمين رحمه الله وغيره من العلماء فهو قريب من عصرنا، وليس ببعيد عنه، فنحن نعتبره بمنزلة المعاصر لزماننا، وعمر

هـذه الشـبهات أو البحوث التي طرحـت في مجال الإصلاح يتروح بـين أربعين إلى ستّين سنة تقريباً، فهي قريبة إلى زماننا أيضاً، أمّا قبل ذلك فلا نلمس في داخل البيت الشيعي معالم لهذه الحركة الإصلاحية في كتب علمائنا، أو في سيرة حياتهم وسلوكهم، فضلاً عن عصر الغيبة الصغرى، وبدايات الغيبة الكبرى (عصر المتقدّمين)؛ لأنّه كان عصر تقيّة.

الإصلاح الحسيني: سماحة السيّد، كانت هناك دعوات للإصلاح، كدعوة السيّد الأمين رحمه الله مثلاً، فكيف كان موقف الجماهير تجاه هذه الدعوات؟ وهل تفاعلت مع تلك الإصلاحات؟

(السيّد حسينيان): هذا يرجع إلى مقصودنا من الجماهير، هل المقصود هو القوم الذين يعيشون في بلد ما ليس فيه عالم يدعو إلى الإصلاح؟ أو مقصودنا عموم الشيعة؟

والجماهير في زماننا ـ بشكل عام ـ لم تستجب لعدّة أسباب:

السبب الأوّل: أنّ الإعلام في مجال الإصلاح من قبل العلماء والشخصيات التي كانت تدعو إلى الإصلاح لم يكن بالمستوى المطلوب حتّى يؤثّر في قلوب الجماهير، فغالباً ما كان الإعلام ضعيفاً في قبال الشعائر التي يُدّعى لزوم إصلاحها.

السبب الثاني: أنّ الشعائر ـ كما ذكرنا ـ جذورها عرفية، ولعلّ فيها بعض المرتكزات العقلائية، والناس إذا تعوّدوا شيئاً لا يتغيّر بهذه السهولة، فمن الصعب عليهم أن يغيّروا ما تعوّدوه، خصوصاً بالنسبة إلى الشعائر الحسينية؛ لأنّ الشعائر الحسينية صارت راسخة في قلوبهم، فلو فرضنا مثلاً أنّ شخصاً يقول: لا ينبغي للنساء أن يخرجن لزيارة الأربعين مشياً، باعتبار أنّ خروج المرأة يمكن أن يستلزم بعض المحاذير، أو لأنّه مكروه، أو لما ورد في أحكام صلاة العيد من أنّ المرأة لا تخرج لصلاة العيد، لأنّ صلاة العيد يُستحب أن تُقام خارج المدينة وفي الصحراء،

وخروج المرأة إلى الشوارع والصحاري بين المدن والقرى في الطريق إلى كربلاء بمنزلة خروجها لصلاة العيد، فلو قيل ذلك فإنّ الناس لا يقبلون هذا؛ لأنّه صار مرتكزاً لديهم أنّ هذه المسيرة تمثّل زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وفيها ثواب عظيم، وأنّه كلّما يُتعبون أنفسهم أكثر في هذا الطريق يزداد أجرهم حسب ما يُستفاد من الروايات، فهذه المرأة التي خرجت عشر سنوات ماشية كيف يمكن لأحدٍ أن يقنعها بعدم الخروج هذه السنة، وأنّ الخروج مكروهٌ لها؟!

إذن؛ السبب الثاني هو أنّ هذه الارتكازات العرفية في الشعائر لا تنسجم مع الإصلاح، حتّى تتوافق الأُمّة مع الإصلاح، إلّا إذا بلغت الشبهة أو المشكلة إلى حدّ أن يفتي أحد المراجع الكبار بحرمة ظاهرة في المراسم الحسينية، أو يُصدر الحاكم الشرعي حكماً بمنعها، فهذا بحث آخر، وهو عامل مؤثر، أمّا الدعوات التي هي دون هذه المرتبة ودون هذا المستوى فلا تستجيب لها الجماهير.

السبب الثالث: إذا كانت هناك دعوا٣ت كثيرة لعدم الإصلاح في قبال دعوات الإصلاح هذه، مفادها أنّ هذه الشعائر لا تحتاج إلى الإصلاح، وأنّ فيها ثواباً وأجراً، فإنّ الجماهير ـ عادة ـ تستجيب لمثل هذه الدعاوى.

(الإصلاح الحسيني): ما هو موقف الجماهير عندما تسمع هذه الأصوات والدعوات المتضاربة والمتناقضة تقريباً في موضوع واحد، فما هو تكليفها من الناحية الشرعية؟

(السيّد حسينيان): ينبغي حينئذٍ لكلّ مكلّف أن يتّخذ موقفاً بالنسبة إلى هذه الدعاوى بحسب رأي مقلّده، أو بحسب تفقهه في الدين، فلا نستطيع أن نقدّم ضابطة عامّة للجميع، فلكلّ فرد تكليفه الخاصّ، ولذلك كثرت الآن استفتاءات المراجع العظام فيما يرتبط بهذه الشعائر، ولا سيّما في شهري محرّم وصفر، وهم يجيبون عنها، والمرأة كذلك ترجع إلى المرجع الذي تقلّده، وعليها أن تتبّع رأيه.

(الإصلاح الحسيني): سماحة السيّد، هل نستطيع أن نتكلّم عن حدود العرف

وحكومته، فهل بإمكان العرف ـ كما ذكرتم في المثال السابق ـ أن يقف أمام الحكم الشرعي، وتكون له حكومة في ذلك؟

(السيّد حسينيان): المشكلة تكمن في تحديد المقصود من العرف هنا، فتارة يُقصد بالعرف هو العرف الذي يعتمد عليه الشارع المقدّس في فهم الأدلّة، وهو منسجم مع الشرع، فلا يقف في قباله، وأُخرى يُقصد من العرف العادات والآداب والرسوم التي تعوّدها الناس، ومثل هذه العادات لا بدّ أن نتركها بلا شكّ إذا خالفت الحكم الشرعي، ولكنّ البعض لا يستجيب؛ لضعف إيمانهم، ولقلّة باعهم في الشريعة، لذلك نرى انقسام الناس في قبال أيّ فتوى أو حكم شرعي، فيتقبّل قسم منهم ويعمل، ولا يتقبّل قسم آخر، فلا يعمل، ويجري على العادة التي عنده.

ففي باب الزواج ـ مثلاً ـ مقتضى الدليل الشرعي أن تزويج البنت لا بدّ أن يكون بإذن من الأب، ولكنّ العادة في وقتنا الحاضر عند بعض الناس هي أنّ تزويج البنت يكون بإذن الأُمّ وموافقتها، وليس للأب دور أصلاً، مع أنّ جميع علمائنا في رسائلهم يقولون: إنّ تزويج البنت الباكر مشروط بإذن الأب، وليس للأُم ولاية عليها إطلاقاً، ولكن بعض الناس لا يسمعون، إلّا المتدينين منهم، فهم يأخذون بإذن الأب.

إذن؛ لا ملازمة بين العادة والعرف من جهة، وحكم الشرع من جهة أُخرى، والتعارض بينهما يرجع إلى كيفيّة تحكيم العرف في حياتنا، فمشكلة العرف أنّه يخالف أحياناً الحكم الصريح، ومقصودنا من العرف هنا ليس هو العرف الذي يُذكر في علمي الأُصول والفقه، فذاك العرف يؤخذ به في مجال فهم الشريعة وأدلّتها التي يقوم عليها الحكم الشرعي، مثل حجية الظواهر، أو حجية خبر الثقة، وأمثال ذلك، وإنّما مقصودنا من العرف هنا: العادات والآداب التي أوجدها الإنسان العادي بحسب متطلبات معيشته وظروفه، والبيئة التي عاش فيها، ولا علاقة لهذه الأعراف بمخالفة الحكم الشرعي أو موافقته، فليس لنا أن نتساءل: كيف يخالف العرف بهذا المعنى الحكم

الشرعي؛ لأنّ الحكم الشرعي لم يكن ناظراً إلى مثل هذه العادات والرسوم والآداب.

الإصلاح الحسيني: سماحة السيّد، سؤالنا الآخر عن موقف علمائنا المعاصرين من دعوات الإصلاح، فقد كانت هناك نداءات من خارج الساحة العلمائية تدعو إلى الإصلاح، كيف كان موقف علمائنا تجاه هذه الظاهرة؟

(السيّد حسينيان): لم يستجب العلماء لدعاوى الإصلاح هذه؛ لأنّهم لم يجدوا في هذه الشعائر ما يستدعي وجوب أو ضرورة إصلاحه، فلم يجدوا فيها ما يوجب الوهن والشين، أو إدخال ما ليس من الدين في الدين، فهم يرون أنّ هذه الممارسات هي شعائر دينيّة، وأنّها قضايا عرفية، فليجرِ الناس فيها على عاداتهم، وليقيموا مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام بأية صورة، ما دامت الصور كلّها في سبيل تعظيم نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

ثمّ إنّ الإصلاح يتحلّى بالطابع الإيجابي البنّاء، وما يطرحه هؤلاء ليس إصلاحاً، وإنّما هم يدّعون أنّه إصلاح، ناهيك عن الدوافع السياسية طبعاً، فالذين ادّعوا الإصلاح يحمل الكثير من كلامهم طابعاً سياسياً، وليس فيه طابع ديني، أو دفاع عن المذهب، وإنّما الهدف شيء آخر، لذلك لم يستجب أكثر علمائنا الآن لدعاوى الإصلاح.

الإصلاح الحسيني: لكن مع ذلك كان هناك اختلاف تجاه بعض الممارسات، وهناك مَن يقول: إنّ بعض الشعائر المقامة هي عبارة عن ظواهر أدّت إلى إظهار المذهب بمظهر لا يتناسب مع قيمته وثقله المعرفي، وهذا ممّا يدعو إلى التهتّك والتشنيع، فهل ترون فعلاً وجود ممارسات من هذا القبيل؟

(السيّد حسينيان): صحيح، في بعض المصاديق ينبغي لنا أن نرجع إلى ملاك الإصلاح المتقدِّم، فبعض المصاديق وصلت إلى حدّ أنّها صارت شيناً على العالم الإسلامي والشيعة، ولكنّ هذه المفردات محدودة جدّاً، فما يُدّعى ضرورة إصلاحه

مـن غـير هذه المصاديـق المعيّنة لا يحتـاج إلى إصلاح غالبـاً، وإنّما هناك أشـخاص لا يرغبون في هذه الشعيرة أو تلك، فيدعون إلى إصلاحها.

وبشـكل عـام ليس الأمر بهذا الشـكل، فبعض الإشـكالات تُعظَّـم وتُمنح حجماً أكـبر مـن حجمها الطبيعي، لا أتصـور أنّ بعض الظواهـر قد بلغ هذا الحـدّ، إلّا إذا كانـت هنـاك ظاهرة في بلـد معين عند قـوم معيّنين بهذا المستوى من الشـين، أمّا في الوسط الذي نعيش فيه نحن ـ مثل العراق والدول المجاورة له ـ فلا يوجد مثل تلك الظواهر التي تسـتحق أن نركّز عليها ونقول إنّها توجب الشـين للمذهب الشـيعي، اللّهـم إلّا أن يتـمّ إنتـاج بعض الأفلام أو بعـض الصور المسـيئة للمذهـب، وتبثّ في وسـائل الإعـلام والقنوات الفضائية وغيرها، فذاك بحث آخـر، فمثل هذه الظاهرة لا بـدّ مـن ملاحظتها بدقّـة ومعالجتها، فهي يمكن أن تكـون مصداقًا لتلك المظاهر، فيجب التصدّي لها.

إذن؛ نحـن بحاجـة إلى معايير محـدّدة للحكم على تلك الدعـوات، معايير يمكننا من خلالها تصنيف دعوات الإصلاح في الشعائر إلى مبررة وغير مبررة، وقد تقدّمت الإشارة إلى تلك المعايير.

الإصلاح الحسيني: طبقاً للأُسـس والمعايير العلمية التي أشرتم إليها قد يُدّعى الآن أنّ بعض الممارسـات تسـتتبع توهين المذهـب، وقد دُعي إلى التخلّي عنها، ورغم ذلك قوبلت بمخالفة صريحة من قِبَل المجتمع، فما هي الآلية المناسبة لدعم هذه الدعوات الإصلاحية الهادفة؟

(السـيّد حسـينيان): إذا كان الأمر كما تفضلتم به، وأنّ بعض الممارسـات تسـتتبع التوهـين، وأنّ الملازمـة بـين هـذه الشـعيرة وبـين التوهـين ثابتـة وعامّـة ومؤثرة في الوسـط الشيعي، فضلاً عن الوسط الإسـلامي أو الوسط العالمي، فإنّ هناك قصوراً أو تقصـيراً بـلا شـك في ذلك، ولكي نتـلافى هذا القصـور لا بدّ للكتّـاب والمؤلّفين

والصحفيين والإعلاميين والقنوات الفضائية والعلماء والنُّخب وغيرهم أن ينشغلوا بهذا الجانب، كلّ بحسب قدرته، فمن باب المثال: توجد الآن بعض الاعتقادات ذات أُصول وجذور مشروعة، ولكن تسلّلت إليها بعض الخرافات الباطلة، كأن ينذر الشخص ذبيحة للعباس عليه السلام ويتصوّر أنّها لا تحلّ إلّا أن يُدخلها الحرم ويطوف بها فيه، وإلّا فلا يجوز ذبحها، فمثل هذه الممارسات باطلة، ولا بدّ من إصلاحها؛ لأنّها خلاف الأدلّة الشرعية، أو ينذر آخر ذبيحة للإمام الحسين عليه السلام، ويقول: يجب أن أذبحها في يوم عاشوراء فقط، مع أنّه يمكن ذبحها قبل يوم عاشوراء في المجالس الحسينية، على فرض أنّ النذر لم يكن مقيّداً بيوم عاشوراء، فهذه أيضاً من الممارسات التي تخالف أدلّتنا الشرعية، وقد ذكرت سابقاً أنّ العرف ربما يخالف الحكم الشرعي، ومن أمثلة ذلك مثل هذه الممارسات، تمسّكاً بالعادات الجارية في كلّ سنة مثلاً.

وأحد الأشياء المهمّة جدّاً في عملية إصلاح الشعائر الحسينية والشعائر الدينية هو أنّ الذي يدّعي الإصلاح ينبغي أن يكون ـ ابتداءً ـ متفقهاً في الدين، يعرف الأحكام الشرعية، والذي يريد أن يتقبّل الإصلاح ويطبقه ينبغي أن يكون متفقهاً أيضاً؛ لأنّ الذي لا يعرف الدين ولا يتفقه فيه لا يكون مؤهّلاً لتقبُّل الإصلاح.

والمشكلة الآن هي: أنّ مَن يدعو للإصلاح ومَن يطلب الإصلاح والتغيير، كلاهما ليس متفقّهاً في الغالب، فعلى كلّ شخص أن يحدّد وظيفته، ولكن ينبغي أن يحدّدها بحسب تفقّهه في الدين، لا بحسب ما هو يراه ويهواه، وإلّا فستتحوّل كثير من الممارسات إلى شعائر دينية أو حسينية في المستقبل، وهي في الواقع ليس لها أيّ أساس أو مشروعية.

الإصلاح الحسيني: إذا كانت دعوات الإصلاح تستند إلى معايير شرعية أو عقلية أو عقلائية واضحة، أليس ذلك ينصبّ في مجال البحث العلمي؟

(السيّد حسينيان): نحن لا نجد لذلك حضوراً ملموساً في أروقة البحث

العلمـي؛ لأنّ مثل هذه المصاديق ليس لها وجود؛ فدعاوى الإصلاح المبتنية على أدلّة عقليـة أو أدلّة نقليـة قطعية ليس لها مصداق في الخارج حتّى يتناولها البحث العلمي، فهـذه النظرية موجودة في مقام الثبـوت بصفتها نظرية، أمّا في مقام الإثبات فليس لها مصاديق.

الإصلاح الحسيني: حتّـى تلك المصاديق الجزئية التي أشرتم إليها سـابقاً؟ ألا تعتبر مصداقاً لهذه النظرية؟

(السـيّد حسـينيان): نعـم، حتّـى تلـك المصاديق، فإنّ هـذه المصاديـق الجزئية لا تسـتدعي البحث العلمي؛ لأنّ أمرها يدور بـين ملاك أهمّ لا بدّ لأجله أن تُترك هذه الشعيرة، وبين ملاك ليس بأهمّ، فتبقى معه هذه الشعيرة، فلا نحتاج بعد هذا التقسيم إلى البحث العلمي. فما تدّعونه جيّد، ولكن بشرط أن تكون له مصاديق، ولكن ليس هناك مصاديق على أرض الواقع.

الإصلاح الحسيني: ربما هناك أفراد ـ سماحة السـيّد ـ يكتبون مقالات إصلاحية في الشعائر الحسينية، ولكنّهم يلاقون نوعاً ما ردّة فعل عنيفة جدّاً، مع العلم أنّ مقالاتهم تتّسم بطابع علمي، فإذا كانت هناك مشكلة في الطرح ألا ينبغي أن يُجابهوا بردٍّ علمي مناسب؟

(السـيّد حسـينيان): بلى، ولكنّ المشـكلة أنّ هؤلاء يعتقدون أنّ دعاواهم مستندة إلى أدلّـة علميـة، ولكنّهـا ـ في الحقيقة ـ ليسـت كذلك، أنا لاحظـت بعض المجلّات وبعض ما تضمّنته من بحوث استدلالية، فوجدت أنّها غير علمية، وأنّ وراءها غالباً ـ كما ذكرت سـابقاً ـ يداً وطابعاً سياسـيّاً؛ فلو كانت علمية صرفة، ولم يكن فيها طابع سـياسي، فإنّها سـتفتح بنفسـها المجال للنقاش العلمي بلا شـكّ، ولا تحتـاج إلى مَن يفرضهـا على الآخرين، ففي علم الأُصول ـ مثلاً ـ نرى أنّ نظرية الشـهيد الصدر رحمه الله في حقيقـة الوضـع مـن أنّه قـرن أكيد بين اللفـظ والمعنى، لم تحتج إلى إعـلام كبير، أو

طباعة كتاب، لتنال حظّها من البحث والمناقشة، فمَن يرد أن يثبت دعواه بالقوّة وبالإعلام وبصرف الأموال، فهذا يعني: أنّ دعواه غير مستندة إلى أدلّة علمية، ولو كانت مستندة للدليل لأخذت مسارها ومشت، وللفتت أنظار العلماء ونقاشاتهم العلمية.

الإصلاح الحسيني: للشعائر الحسينية في المذهب الإمامي خصوصياتها ووقعها في النفوس، أليس من الضروري أن نشير إلى نقاط الخلل والضعف في إقامة بعض الشعائر إن وجدت؛ لتبقى هذه الشعائر محفوظة من أيّ شائبة تُذكر؟ وكذلك ربّما توجد هناك دعوات للإصلاح ليست مغرضة، ولا هي نابعة من أهداف سياسية، لكنّها ضعيفة الصدى، فما هي الآلية المناسبة لكي تكون هذه الدعوات مؤثّرة في المجتمع؟ وماذا ينبغي للعلماء أن يفعلوا لترتقي هذه الدعوات إلى مستوى التأثير، وتأخذ مساحة عملية؟

(السيّد حسينيان): هذا صحيح، إذا كانت هناك نقاط ضعف فلا بدّ أن تُذكر؛ لأنّ ذكر نقاط الضعف وإصلاحها ـ على أيّة حال ـ هو تقوية للشعائر، ولذلك أمثلة كثيرة فيما بين العوام من الناس، فهناك ممارسات كثيرة يعتقدون أنّها شعائر، وهي ليست من الشعائر، وربما تكون مخالفة لبعض الأحكام الشرعية، فلا بدّ من التصدّي لها، وتقع هذه المسؤولية على عاتق المبلّغين والعلماء والنُّخب وأصحاب الأقلام ومؤلّفي الكتب وكتّاب الصحف والمجلّات، فتوعية الناس واجب من باب إرشاد الجاهل، ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أمّا في الشقّ الثاني من السؤال، فلا بدّ أن تأخذ الدعوة مساحة عملية واسعة بين الناس أو بين المثقفين أو بين أهل الرأي والفكر، على أن تكون مباني هذه الدعوة وأدلّتها علمية، فإذا لم تكن كذلك فكيف تأخذ مساحة عملية؟! فإذا كانت أدلّتها ضعيفة فإنّها لا تنال هذه الحظوة؛ والباطل يموت ذكره بموته، فكثير ممّن كان يدّعي الإصلاح ماتت أفكاره معه، وانقرضت في زمانه.

الإصلاح الحسيني: الشخص المثقّف ثقافة إسلامية ودينية عندما يريد أن يتصدّى لهذا العمل، ربّما يشخِّص الخطأ من وجهة نظره، ولكن قد يستتبع موقفه مفسدة أُخرى لم يلتفت إليها، أو يفوّت مصلحة مهمة، فماذا عليه أن يفعل انطلاقاً من واجبه ومسؤوليته؟

(**السيّد حسينيان**): في مثل هذه المواقف المحيِّرة، بقطع النظر عن الأمثلة الخارجية، ينبغي للمكلّف أن يرجع إلى المرجعية، ويرى رأيها في هذه القضية أوّلاً، فإذا لم تتصدَّ المرجعية، ولم تذكر موقفها بشكل واضح وصريح، فعليه أن يرجع إلى الفضلاء والأساتذة في الحوزات العلمية على الأقلّ، ويستشيرهم في كيفيّة التصدّي لهذه المسؤولية؛ فإنّ الإنسان أحياناً يتسرّع في اتّخاذ موقف ما، ثمّ يتبيّن له أنّ المفسدة في موقفه أكثر من المصلحة.

فالميزان هو التفقّه في الدين، فغير المتفقّه لا يستطيع أن يتحدّث عن الدين، فإنّ ذلك نظير رجوع الإنسان إلى غير الطبيب لعلاج مرضه، لماذا نرجع نحن في علاج المرض إلى الطبيب، ولا نرجع إلى المهندس أو البنّاء أو الحدّاد أو النجّار؟

المشكلة التي نواجهها الآن في مجتمعنا أنّهم يرجعون إلى مَن هو ليس أهلاً للرجوع؛ فهناك مجموعة من المثقّفين والجامعيين يدّعون أنّهم يعرفون الإسلام والمذهب أكثر من العلماء، هذه التيّارات الفكرية موجودة في الساحة، وهناك قسم لم يدرس في الحوزة مدّة طويلة، وهو يدّعي أنّه يفهم كلّ شيء عن الدين، أو خطيب يصعد المنبر ويفسّر آية أو رواية بشكل خاطئ؛ لأنّه لا يتحلّى بالمستوى المطلوب في علوم القرآن أو في التفسير أو في العقائد، لذلك أقول: لا بدّ أن نتصدّى، والتصدّي يكون عن طريق الحوزة والعلماء والأساتذة، أو عن طريق الخطباء المثقّفين المتفقّهين.

الإصلاح الحسيني: وهل يكفي سكوت المراجع عن بعض الظواهر والممارسات وعدم التصدّي لبيان الموقف منها سلباً أو إيجاباً لاستشفاف أنّ هناك مفسدة تمنعهم من التصريح؟

(السيّد حسينيان): لا، بل لا بدّ من السؤال، فسكوتهم لا يدلّ على ذلك، ففي بعض الأحيان لا تصل المعلومات إلى المرجعية بشكل دقيق وصحيح، فلا تقف على مستوى هذه الأهمّية، ثمّ تراها بعد فترة تصدر بياناً بعدما تُنقَل إليها الأخبار، وتتبيّن لها معالم الصورة وملابسات الموضوع، وترى ضرورة التصدِّي، وهذا ما رأيناه كثيراً، علماً بأنّ هناك مسؤوليات كثيرة تقع على عاتق المرجعية.

الإصلاح الحسيني: وهل يختصّ ذلك بالقضايا التي لا تصلهم بشكل مطلوب كما أشرتم، فلا يشمل الظواهر الاجتماعية العامّة التي لا تخفى معالمها على الجميع بحسب المفروض؟

(السيّد حسينيان): لا، بل بشكل عام، فما ذكرته لكم يمثّل ضابطة عامّة، ففي تحديد الموضوع وتشخيص المصداق لا يكشف سكوت المرجع أو الحاكم الشرعي عن رضاه وإباحته أو رفضه واستنكاره، فلا بدّ من السؤال؛ لأنّه ربما يكون للمرجع دليله الخاصّ، أو أنّ هناك ما يمنعه من التصريح، فقد يكون المرجع أحياناً في مقام التقيّة.

الإصلاح الحسيني: سماحة السيّد، هناك رؤية مفادها أنّ الشيعة يعتقدون أنّ كلّ ما يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام ـ بما فيها الشعائر ـ هو خارج دائرة النقد والتقييم والإصلاح، فما هو تقييمكم لهذه الرؤية؟

(السيّد حسينيان): هذه الرؤية غير صحيحة، فلا قيمة لهذا الكلام من الناحية العلمية؛ إذ إنّ مذهب أهل البيت عليهم السلام مبنيٌّ على قانون الاجتهاد والتفقّه في الدين والتدبّر في الأدلّة الشرعية، فنحن أرباب الاجتهاد والتحقيق والتتبّع، ونمتاز عن المذاهب الأربعة بهذه المزية العظيمة، وهي فتح باب الاجتهاد.

فالذي يقول: ما دام الأمر يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام اُسكت عنه، ودعِ الناس تمارس شعائرها كيفما تشاء وتهوى! لعلّه يريد أن يقول: إنّ هذا الموضوع عرفيّ، وأنا لا أتدخّل في القضايا العرفية، فما دامت الممارسة لا تستتبع مفسدة في المذهب

لا ينبغـي التدخّل فيها، فعلى سـبيل المثال ـ كما أشرنا سـابقاً ـ ربّـما يقول أحدهم: إنّ حضور النساء في مراسم الأربعين بهذه الكثافة يخلق بعض المشاكل الأخلاقية، وهذا خلاف الذي نستشـفه من ذوق الشارع من أنّ المرأة لا ينبغي أن تخرج من بيتها، وأنّ عليها أن تسـتأذن زوجها عند الخروج، ولكنّنا نسـمع أنّ بعض النساء يخرجن لزيارة الأربعـين دون إذن أزواجهـن وفاء بنذر مثلاً، فهذا المورد هـو من موارد الإصلاح، ومـن المفـروض أن تتفقّـه المـرأة هنـا، لتعلم أنّ رضـا الزوج أهـمّ من زيـارة الإمام الحسـين عليه السلام، فليس كلّ ما هو موجود في الشـعائر الحسينية لا يجوز نقده، فباب النقد والإشكال والمناقشة مفتوح.

غايـة الأمـر أنّ الذي يريد أن ينقد والذي يريد أن يصلح عليه أن يكون متفقّهاً في الدين، فإن لم يكن بمسـتوى المرجعية فلا بدّ أن يكون ـ على الأقل ـ شـخصية علمية معروفة، فليس لكلّ شخص الحقّ أن يتصدّى لعملية الإصلاح في الشعائر الحسينية.

الإصلاح الحسيني: نشـكركم جزيل الشـكر سـماحة السـيّد، ونختم حوارنا معكم بكلمة أخيرة.

(السـيّد حسـينيان): نشـكر لكم جهودكم، ونسـأل الله تعالى أن يوفقكم لخدمة الحسين عليه السلام، ولا شكّ أنّ كلّ ما نقدِّمه هو قليل بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولخدمة النهضة الحسـينية؛ لأنّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وشـخصيته تفوق مستوى الفكر والتصـوّر، وأدلّ دليـل على عظمة الإمام عليه السلام أن يزوره خمسـة وعشرون مليون زائر بعد استشـهاده بأكثر من ألف وأربعمائة سـنة تقريباً، وقد ذكرت في بعض الجلسات: أنّنـا لو افتقدنـا كلّ الأدلّة على حقّانية أهـل البيت عليهم السلام، فإنّ زيـارة مراقدهم وحبّهم الراسخ في قلوب الناس أدلّ دليل على حقّانيتهم، فلسنا بحاجة إلى استدلال لإثبات مظلومية الحسـين عليه السلام، وإلّا فإنّ الإنسـان ربما يتوفّى أبوه الذي تعب عليه، وسهر على تربيته، وكان السبب في وجوده، فينساه بعد سنتين أو ثلاث أو أربع أو عشر سنوات،

فكيف يُذكر الإمام الحسين(عليه السلام)، ويُزار كلّ سنة زيارة مليونية من دون انقطاع؟ هذا دليل على مشيئة إلهية وربّانية تعلّقت بعزّة الإمام الحسين(عليه السلام) وكرامته، فهذه الجاذبية للقلوب هي نوع من الإعجاز.

هناك نقطتان، ذكرتها للإخوان الذين زاروني بعد قيامهم بزيارة الأربعين مُشاة:

النقطة الأُولى: هي أنّني توصّلت ـ بحسب بعض الروايات ـ إلى هذه النتيجة، وهي: أنّ هذه الخدمة العظيمة التي يقدّمها الشعب العراقي للزوّار في مسيرة الأربعين، كلّ هذا الطبخ والإطعام والبركة والخدمة، ليست بقوّة البشر، بل بقوّة الملائكة، فالملائكة يعملون في هذا الطريق أيضاً، فهناك مَن لم ينم في الطريق يومين أو ثلاثة أيام، ممّا يدلّ على أنّ هناك مساعدة ربّانية، وملائكة يعملون.

والنقطة الثانية: التي تأسّفت كثيراً عليها هي: أنّ هناك الكثير من الوقائع حدثت في مسيرة الأربعين، ولكن ليس هناك مَن يتحدّث عنها؛ لذلك أقترح على مجلّتكم أن تخصّص قسماً من صفحاتها لذكريات زيارة الأربعين.

لقد شاهدتُ القنوات الفضائية تبثّ صور الناس وهم يمشون، وأحياناً تجري معهم لقاءات لدقيقتين أو ثلاث دقائق، تسأل الزائر: من أين أنت قادم؟ وكم يوماً مشيت؟ ويذكر الإمام الحسين(عليه السلام) وينتهي الأمر، لكنّ هذه الذكريات لا تُذكر ولا تُكتب، حبّذا لو تبادرون لتسجيلها في حواريات مع أصحابها، فإنّ لذلك تأثيراً كبيراً.

ندعو لكم بالسداد، وأن يوفقكم الله تعالى لخدمة الإمام الحسين(عليه السلام)، ويجعلنا وإياكم من خدّامه في الدنيا والآخرة.

الإصلاح الحسيني: بارك الله فيكم سماحة السيّد، نجدّد شكرنا لكم على إتاحة هذه الفرصة، وجزاكم الله عنّا وعن قرّاء مجلّتنا خير الجزاء.

ندوة:

الجزع على الإمام الحسين عليه السلام بين الاستدلال الفقهي والتنظير الفكري

العلاّمة السيّد حسين الحكيم*

أقامت مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية (فرع قم المقدّسة) ندوتيها الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، تحت عنوان: (الجزع على الإمام الحسين عليه السلام بين الاستدلال الفقهي والتنظير الفكري)، وكان المحاضر في هاتين الندوتين هو سماحة العلاّمة السيّد حسين الحكيم (حفظه الله)، وقد عمل قسم مجلّة الإصلاح الحسيني على إعداد هاتين الندوتين واختصارهما مع تصرّف فنّي بسيط.

مقدّمة

لعلّ الموضوع قيد البحث أوسع من أن يُحصَر في مقال أو أكثر؛ لهذا سنحاول إيجازه واختصاره، ونلقي الضوء على ما هو متعلّق بلبّه، من دون أن ننزلق في مقدّمات طويلة، أو تطبيقات مختَلَف فيها؛ لأنّ التركيز على البحث الأساسي ربّما يساعدنا ـ بشكل أكبر ـ على تجاوز كثير من المشكلات والتعقيدات، بخلاف ما إذا انغمسنا في التطبيقات التفصيلية.

إنّ من المهم جدّاً في مدخل البحث أن نتعرّف على أهمّ الجوانب المشتركة والفارقة بين التنظير الفكري والاستدلال الفقهي، من دون الدخول في تعريف الفقه والفكر؛

* أُستاذ البحث الخارج في الحوزة العلمية في مدينة النجف الأشرف.

لأنّ ذلك قد يحتاج إلى إسهابٍ وتطويل، وإنّما نشير إلى ذلك بإشارات سريعة؛ وذلك لاختلاف التعاريف.

إنّ التنظير الفكري عادةً ما يتّجه نحو إقامة رؤية متكاملة متّسقة في أجزائها، مؤسَّسة على العقل، أو مؤسَّسة على فلسفة الأشياء كما يعبَّر أحياناً؛ لأنّه يهتمّ بفلسفة العلوم[1]، دون أن يقف عند عتبة التعبّد بالوحي والتسليم له وحده، فضلاً عن التسليم بأدوات الوحي الإثباتية المتمثّلة بالكتاب والسنّة[2].

أمّا الفقه، فيتّجه عادةً إلى إثبات الحكم الشرعي من خلال أدلّته، تلك الأدلّة التي يُكتفى بها إذا حقّقت له الحجيّة المعذّرة والمنجّزة شرعاً، وإن عجزت عن إثبات الحكم يقيناً، بمعنى أنّها تحمّل المكلّف مسؤولية الحكم المحتمل، أو تعذّره عن الحكم المحتمل أيضاً.

إنّ الفقه يتجنّب الحدس بالعلل، فضلاً عن الاعتماد على التظنّي بها، بينما نجد الفكر في كثير من مخرجاته يقع في هذه المشكلة؛ وعليه تُعدّ هذه المسألة من أهمّ الأُمور الفارقة بين الفكر والفقه وأخطرها، فالتنظير الفكري عادةً ما يخاطب الجمهور، ويقدّم لهم نتائجه بغرض الإقناع المباشر، بينما الفقه عادةً ما يخاطب جمهوره بتقديم نتائجه البحثية بطريقة الفتوى التي تحدّد له الموقف الشرعي العملي، وتعتمد بالدرجة الأساس على ثقة الجمهور الراسخة بالفقيه المؤتمَن على حلال الله وحرامه، من دون أن ينشغل الفقيه كثيراً بتقديم توضيحات إلى الجمهور عن خلفيات الفتوى؛ لأنّ تلك الخلفيات والأدلّة في كثير من الأحيان تكون تخصّصية، وتحتاج إلى شوط طويلٍ من الدراسات العامّة والدراسات التخصّصية الحوزوية؛ لكي يتسنّى للباحث أن يتفاعل معها، ويفهم مفرداتها ومصطلحاتها ومنهجيّتها؛ ولذا ربّما يستمع الجمهور

(١) فلسفة العلم: هي دراسة وتحليل العلوم من حيث طبيعتها ومنهجها ومفاهيمها؛ وذلك من أجل تعميق فهمنا لها. اُنظر: د. زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية: ج١، ص٦٦٠.

(٢) نقصد من الأدوات الإثباتية: الأدلّة التي تكون حجّة لإثبات أنّ هذا هو القرآن، أو أنّ هذا هو المراد القرآني مثلاً، أو أنّ هذا الحديث يمكن اعتباره معبّراً عمّا يريده المعصوم أو لا.

كثيراً للتنظير الفكري، ولكنّه في شؤونه الدينية لا يعمل إلّا بالفتوى الصادرة من الفقيه الجامع للشرائط، كما يستمع الجمهور في الشأن الصحّي كثيراً للبرامج الإعلامية الصحّية، ولكنّه عندما يمرض لا يعمل إلّا بالوصفة التي يقدّمها له طبيبه المختص.

وأخطر ما في هذا الشأن أنّ بعض الأُمور لا يسع الباحث أن يصل فيها إلى اليقين؛ إذ إنّ هناك مبادئ عامّة عادةً ما تكون متيقّنة، وقلّما يتجاوز الفقه والفكر اليقين فيها، ولكن عندما يُراد رسم التفاصيل والدخول في الجزئيات، عادةً ما يكون هناك شاغر في اليقين، وهنا تُسكَب العبرات؛ إذ قد يحصل من ذلك تصادم بين الفكر والفقه، فيجتهد الفقيه أن يجد حلّاً ظنّياً، ولكن قد يهتمّ بشكلٍ مسبق في أن يعتمد على ما يصلح للحجّية من الظن[1]، الأمر الذي لا نجد تأصيلاته الواضحة المنهجية في الفكر؛ لأنّ الفكر في كثير من الأحيان ينزلق مع الظنون غير الصالحة للحجيّة، وهنا تبدأ مرحلة التصادم بين المخرجات والنتائج، فمثلاً: إذا وجد الفقيه أنّ المشرّع ينهى عن الأخذ بالقياس والاستحسان والظنّ الشخصي، التي هي من الظنون التي لم يقم دليل قطعي على اعتبارها شرعاً، اجتنب الفقيه ذلك، ولم يتجرّأ عليه، وتركه وراء ظهره، ليعمل بالحجّة من الخبر الموثوق أو خبر الثقة أو الاستصحاب أو البراءة، حتّى وإن كان عنده انطباعات أوّلية عن الموضوع مخالفة لما سيصل إليه من نتائج.

أمّا في جانب الفكر، فإنّ ما نشهده اليوم من نتاج فكريّ كثيراً ما يقتحمه القياس، وخصوصاً في موضوعنا هذا مورد البحث، أعني: مسألة الجزع على الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ ربّما يرد في بال الكثير منّا كثيرٌ من المقايسات لتقدّم رؤى تنظيرية لتلك المسألة، والتفاعل مع القضية الحسينية، فتُقارن الأُمور بأُمور أُخرى، وتسحب

---

(١) ويُسمّى هكذا نوع من الظن بـ(الظن الخاص): «وهو الظن الناشئ عن الأمارات [أي: الأدلّة] التي قام الدليل القطعي على حجّيتها، كالظن الناشئ عن خبر الثقة أو الخبر الموثوق، ومنشأ التعبير عنه بالظن الخاص هو الاحتراز عن الظنون الناشئة عن الأمارات التي لم يقم الدليل القطعي على حجّيتها». اُنظر: صنقور، محمد، المعجم الأُصولي: ج٢، ص٢٨١.

تفاعلات الناس على الشأن الحسيني، بل في بعض الأحيان تُغلَّب أُمورٌ أُخرى على هذه المسألة، ففي كثير من تلك القضايا وأشباهها تُقدّم أفكارٌ قد لا تخضع للضوابط الفقهية، وعندما تُقرأ ربما يُظنّ بصحّتها، إلّا أنها من الناحية الواقعية قد لا تكون لها خلفيات استدلالية تصلح للاعتماد عليها.

إنّ من الخطير والمقلق جدّاً أن تُقدّم بعض الأفكار التنظيرية في الأُمور الدينية دون أن يعبأ فيها، يقول تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[2]، فيتورّط الظانّ بمخالفة اليقين، ويسقط التنظير الديني بذلك، بل في كثير من الأحيان ينتهي بمعصية ربِّ العالمين، كما قد يحصل الأمر نفسه عند بعض أدعياء الفقه، عندما يستدلّون على نتائج يبنون عليها سلفاً، ويلتمسون لها صورة أدلّة، فتكون الرواية التاريخية عندهم حجّة ـ على سبيل المثال ـ إذا لاءمت النتيجة، وتكون الرواية المسندة المروية في أقدم الكتب الحديثية وأوثقها ضعيفةً مردودةً وإن استفاض مضمونها وعمل بها الأصحاب؛ لأنّ بعض رواتها مجهول مثلاً، فيبدأ السؤال عن صحّة الرواية وعدم صحّتها عندما تكون نتائجها غير مناسبة وملائمة مع ما بنوا عليه مسبقاً.

ضرورة المنهج

لا ريب في أنّنا نعيش في عصر تُسفك فيه الدماء، وتُحرق فيه الأجساد، ويُقتل فيه الأطفال والنساء، وأنّ من أهمّ أسباب هذه الأزمات هي التصرّفات الخاطئة التي تستخدم ما يختزنه الدين من طاقة هائلة لتحريك الإنسان، ولكنّها تستخدم تلك الطاقة بشكل خاطئ بعيد عن الدين نفسه، وإنّ أزمة مخرجات المعرفة الدينية، سواء أكانت الفقهية منها أم الفكرية، ترجع اليوم في الغالب إلى خلل في المنهج،

(١) يونس: آية٣٦.

(٢) الإسراء: آية٣٦.

وتتفاقم الأزمة جدّاً في الفكر والفقه إذا كانا لا يستندان إطلاقاً إلى أيّ منهج، وهذا الأمر لا يؤدّي فقط إلى التضارب والتصادم بين الفقه والفكر، بل يؤدّي إلى التضارب والتصادم بين الفقه والفقه نفسه، والفكر والفكر نفسه، وفي الحقيقة فإنّ الفكر والفقه المجرّدَين عن المنهج لا يستحقّان عنواني (الفكر) و(الفقه)، وإن تفاعل معهما الكثيرون، وأخذا كثيراً من الاهتمام الإعلامي؛ لأنّ وسائل الإعلام في كثير من الأحيان ـ بل من عادتها السيّئة ـ تعتمد على الإثارة ولا تبحث كثيراً عن الأصالة والرصانة؛ لأنّ الإعلام في أصل بنائه العام يبحث عن جلب انتباه الناس واستقطاب أكبر عدد ممكن، سواء أكان من القرّاء أم المشاهدين أم المستمعين، وهذا الأمر لا يؤثّر في إيجاد مساحات كبيرة من الضياع والضلال في أُمور مهمّة ترتبط بدين الإنسان فحسب، بل تكمن الخطورة فيه في التسبيب المباشر للكثير من الصدامات الاجتماعية والسياسية التي تنشأ في جذورها الأُولى من الفراغ المنهجي في التنظير، فقهياً وفكرياً، بل قد يصل في كثير من الأحيان إلى الاقتتال البشري، ويُستخدم بعض ما تقدّم ـ على أنّه مخرج فقهي أو فكري ـ كذرائع فكرية قتالية لأطراف الصراع المسلّح، وهنا تبرز أهمّية وخطورة هذا الأمر، وعلى الباحثين أن يتناولوا المسائل الحسّاسة ـ خصوصاً إذا انطلقوا من منهجية رصينة ـ بدرجة عالية من التأصيل والتأسيس الذي يساعد على تهدئة النفوس، وتجنّب الألغام الاجتماعية والعاطفية التي تفجّر الرؤية، وتمنع من البصيرة بشكل سليم، وصولاً إلى حلّ المشاكل.

في الواقع، هناك أزمة كبيرة في تحديد حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والإسلام السياسي، ونظام الحكم والإدارة في زمان الغيبة، خصوصاً في ظلّ هذه المعطيات المعاصرة والعولمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، تؤدّي في كثير من الأحيان إلى تصادم حادّ بين الناس، فإنّ الانكفاء الفقهي والفكري عن الدخول إلى المساحات الحسّاسة، سيؤدّي إلى اضطرام النيران وعدم وجود مَن يساهم في إطفائها، فإنّ الدخول بشكلٍ مباشر في المصاديق بدون التأسيس يؤدّي إلى أن يكون الفقيه أو المفكّر جزءاً

من الذين يضرمون النيران من دون أن يحقّق شيئاً من دوره الإطفائي. من هنا؛ كانت الحاجة ماسّة إلى البحث في الأُمور بسعة صدر، وبنفسٍ طويل، للتأسيس الذي يكرّس الموضوعية الفكرية والفقهية، والعقلانية العالية التي يمكن أن تحترم الرأي الآخر، ولكنّها في نفس الوقت يمكن أن تناقش الرأي الآخر بصراحة، وذلك بعد تحديد مناشئ الخلاف بشكلٍ دقيق، وعدم الانجرار إلى النهايات التصادمية الاجتماعية.

وسنحاول ـ بإذن الله ـ في هذه التجربة الفقهية الفكرية أن نثبت كيف يمكن أن يكون لكلٍّ من الفقه والفكر دوره في إثراء الآخر وتنميته ومساندته في تحقيق أغراضه، مع التحفّظ على حدود المساحة الخاصّة لكلّ من الفكر والفقه، اللذين قد يلتقيان ويقترنان أحياناً، وقد يتقاطعان أحياناً أُخرى، لكن يبقى لكلّ منهما شأنه وأهدافه وأغراضه وخصوصياته التي عليه أن يغطّيها.

وبعد هذه المقدّمة سنتناول نقاط أساسية:

النقطة الأُولى: في معنى الجزع

إنّ الجزع مفردة من المفردات العربية التي نشأت فيها بعض الخلافات الفقهية، وكذلك الفكرية؛ وذلك بسبب الاختلاف في معناها، ولهذا لا بدّ أن نفتتح النقاط التي هي في صميم البحث بتحديد معنى الجزع، ويبدو أنّ معنى الجزع واضحٌ إلى الحدّ الذي اكتفى رائد أهل اللّغة الأوّل (الخليل الفراهيدي) في تعريفه له بأن قال: «**والجزع: نقيض الصبر**»[1]، ولم يزد على ذلك، إلاّ أنّه عندما عرّف الصبر قال: «**الصبر: نقيض الجزع**»[2]، وكأنّ الأمر واضح عنده لا يحتاج إلى مزيد بيان، لكن بعض مَن تأخّر عنه من اللّغويين شرح الأمر بتفصيل أكثر، فقال: «**الصبر: حبس النفس عن الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبراً، وصبّرته أنا: حبسته، قال الله تعالى:**

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج١، ص٢١٧.

(٢) المصدر السابق: ج٧، ص١١٥.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾»[1].

وبيّن ابن منظور الصبر قائلاً: «**وأصل الصبر الحبس، وسُمّي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح**»[2]، وذكر في موضع آخر قول ذي الرمة:

«**فأقسم لا أدري أجولان عبرة تجود بها العينان أحرى أم الصبرُ**»[3].

فجعل ما تجود به العينان من الاستعبار ضدّاً ومقابلاً للصبر، وهذا يصل بنا إلى أنّ الاستعبار والبكاء أمرٌ ذو مراتب، فتارةً يجهش الإنسان بالبكاء، وتارةً ينشج نشيجاً خفيّاً، وتارةً تسبق دموع عينيه صبره، والحالة الثالثة ربّما لا تغادر الصبر، لكنّ الحالات الاعتيادية للبكاء ظاهراً ـ بحسب أهل اللغة ـ هي من الجزع، وسنجد إن شاء الله في بعض الأحاديث شواهد على ذلك أيضاً[4]، مع أنّ البعض يجعل الجزع أمراً آخر زائداً عن البكاء بمراتب كثيرة، لكن ظاهر كلام اللّغويين، بل وظاهر بعض النصوص الآتية، أنّ الجزع يشمل أيضاً الحالات الطبيعية للبكاء؛ ولذا قال صاحب كتاب (الفروق اللّغوية): «**والصبر: حبس النفس لمصادفة المكروه، وصَبَر الرجل: حبس نفسه عن إظهار الجزع، والجزع: إظهار ما يلحق المصاب من المضض والغمّ**»[5]، فتعبير (المضض) و(الغمّ) هنا قد ينفعنا في التماس جانبٍ وزاوية من زوايا معنى الجزع، وهذه أيضاً نقطة مهمّة تنفع الفقيه.

وقال العسكري أيضاً في موضع آخر: «**والصبر على الشدّة يفيد حبس النفس عن المقابلة عليه بالقول والفعل، والصبر عن الشيء يفيد حبس النفس عن فعله، وصبرت**

(١) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٢، ص٧٠٦.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٤، ص٤٣٩.

(٣) المصدر السابق: ج١، ص١٠١.

(٤) إذ إنّ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة هما أفضل مصدرين لمعرفة المعاني اللّغوية وتحديد معاني المفردات.

(٥) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللّغوية: ص٢٠٠.

على خطوب الدهر، أي: حبست النفس عن الجزع عندها»[1]. ويوجد كلام واسع عند اللّغويين في هذا المجال نقتصر فيه على هذا الحدّ.

نستخلص من كلّ ما ذكرناه أنّ الجزع هو إظهار الحزن أو الغضب على المحن أو المكاره، في مقابل مسك النفس عن إظهار هذه المشاعر، وبما أنّ إظهار الحزن الكبير يمكن أن يكون له مراتب كثيرة[2]؛ إذ في بعض الأحيان عندما تجتاح الإنسان عاصفة حزن كبرى، ولم يظهر منه إلّا القليل، يكون قد صبر وجزع في نفس الوقت، صبر عن إظهار مقتضى تلك المشاعر الهائلة التي تجتاح قلبه، وجزع فيما أظهره من الحزن القليل فقط، فالجزع والصبر يمكن أن يكونا أمرين نسبيّين لهما مراتب، قابلين لأن يتحقّق أيٌّ منهما بشكلٍ محدود، ويمكن للمرء أن تكون مساحة منه جازعة ومساحة منه صابرة، فالأم ـ مثلاً ـ إذا فقدت وحيدها واكتفت بالبكاء بصوتٍ مرتفع، وصبرت، ولم تلطم وجهها وصدرها وتشقّ جيبها وتجزّ شعرها، فقد صبرت عن بعض المراتب وجزعت في حزنها أيضاً في بعض المراتب. فإذا افترضنا أنّ لحالات النفس مراتب، فمسك بعضها يكون صبراً، وإطلاق العنان لبعضها يكون جزعاً، وهذا أمرٌ طبيعي، عندها سيصير الإنسان جازعاً من جهة وصابراً من جهة، وإلّا هو ليس جازعاً صابراً في نفس الوقت من جميع الجهات مع حفظ الوحدات الثمان[3][4].

وقد يقال: لماذا لا نجمد على معنى الجزع الوارد في زمن صدور النص؟

فالجواب: أنّنا إذا تعاملنا مع الفقه على أنّه أمرٌ يجمد على النصوص، ولا يريد

---

(١) المصدر السابق: ص٢٢.

(٢) وهذه نقطة مهمّة في بحث التحليل اللّغوي.

(٣) اُنظر: المظفر، محمد رضا، المنطق: ص١٩٦.

(٤) بمعنى أنّ القضيّتين يبدوان لأول وهلة أنّهما متناقضتان، فعندما نقول مثلاً: إنّ (أحمد ليس بجازع، أي: صابر)، وفي نفس الوقت نقول: (أحمد جازع)، فكأنّهما متناقضتان، لكنّ الحقيقة ليست كذلك؛ لاختلاف المحمول في القضيّتين، وهو أحد الوحدات الثمان التي اشترط المنطقيون توفّرها جميعاً للحكم بتناقض القضيّتين؛ إذ حقيقة القضية الأُولى أنّ (أحمد صابر عن الصراخ والعويل)، أمّا القضية الثانية فحقيقتها أنّ (أحمد جازع في مجرّد البكاء).

أن ينفتح على متغيّرات العصر، وينقفل عند الماضي بالطريقة الظاهرية السلفية في التعاطي مع النصوص، فهذه ليست طريقة أهل البيت عليهم السلام في عصر ظهورهم، وليست هي المدرسة العرفية، فنحن نلاحظ أنّ هناك مرونة في التطبيق مع التحفّظ على الضوابط التشريعية العامّة، وهذا الأمر ليس اجتهاداً ظنّياً، وإنّما هو أمرٌ متعارف في عصر وجود المعصومين وحضورهم في أوساط أتباعهم، فالجمود ليس صحيحاً.

النقطة الثانية: حكم الجزع بحدّ ذاته

يبدو من كلمات الفقهاء أنّ الجزع بحدّ ذاته مكروه، وقد شاع على ألسن بعض العوام أنّ الجزع حرام، لكنّنا لم نظفر بشيء من ذلك، نعم قد يقترن الجزع بأمرٍ ما، من قبيل: الاعتراض على الله عزّ وجلّ، فهنا يكون الاعتراض حراماً وليس الجزع، وقد وردت بعض الروايات لتبيين الكراهة، وسنستعرض جملة منها بغض النظر عن الأبحاث السندية المتعلّقة بها.

ففي الرواية عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**أشدُّ الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر من النواصي، ومَن أقام النواحة فقد ترك الصبر، وأخذ في غير طريقه، ومَن صبر واسترجع وحمد الله عزّ وجلّ فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله، ومَن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء، وهو ذميم، وأحبط الله تعالى أجره**»[1]. فـ(ذميم) بمعنى مذموم ومكروه، ولا يُعبّر عن الحرمة.

وفي رواية أُخرى عن ربعي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الصبر والبلاء يستبقان إلى المؤمن، فيأتيه البلاء وهو صبور، وإنّ الجزع والبلاء يستبقان إلى الكافر، فيأتيه البلاء وهو جزوع**»[2].

وفي رواية ثالثة عن السكوني، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ضَرْبُ المسلِم يده على فخذه**

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٢٢٢ـ٢٢٣.

(٢) المصدر السابق: ص٢٢٣ـ٢٢٤.

عند المصيبة إحباطٌ لأجره»[1]. وضربُ اليد على الفخذ هو مظهرٌ من مظاهر الجزع.

هـذا مـن الناحية الفقهيـة، أمّا من الناحيـة الفكرية، فإنّنا إذا قيّمنـا الجزع ـ بغض النظـر عن النص الديني ـ سـنجد أنّـه بطبيعته أمرٌ غير محمود كذلـك، والنتائج ذاتها متحقّقة هنا؛ إذ الجزع ينافي اتّزان الإنسان ووقاره وهيبته، وفي المقابل يستحقّ الصبور على صبره الاحترام والثناء، وربّما إذا أردنا أن نُعبّر عن ذلك بالتعابير العقلية فيمكننا القول: إنّ العقل العمليّ يجد حُسـن الصـبر وقبح الجزع، لكن لا إلى الحدّ الذي يبالغ في تقبيحه بحيث يراه كأنّه ارتكاب لأمرٍ شنيع.

ثمّ إنّ الجزع المذموم من الناحية الفكرية هو الذي يكون عادةً على الأُمور الشخصية الذاتية، أمّا الجزع الذي يُنبئ عن تفاعل إنسـاني مع الأبرياء الذين يتعرّضون إلى محن مثـلاً، فيُعدّ الجزع حينذاك قيمـة اجتماعية تُنبئ عن نُبل صاحبها، وهذا الفعل ممدوح بالنظرة العقلانية العامّة أيضاً، وكذلك بالنظرة المشـاعرية (العاطفية)، فإنّه يُنبئ عن رهافة الحسّ، وكلتا النظرتين محمودةٌ عند الناس بشكلٍ عامّ.

هذه إذا كانت القضية هي تفاعل مع آخر شريك له في الإنسانية نظير له في الخلق، أمّـا إذا كان التفاعـل مع شـأنٍ من شـؤون علاقة العبد مـع ربّه، فالفكـر إذا لم يُدرك الموضوع وحقيقة العلاقة بين العبد وربّه (جلَّ وعلا) فلربما تكون نظرته حينئذٍ نظرة باهتـة غير معمّقة، أمّا لو أدرك أنّ هذا التفاعل والتعبير عن المشـاعر يرجع إلى شـأن عبـادي بين الخالـق والمخلوق، كأنْ يجزع العبد لما يُنتهـك من حرمات الخالق عزّوجلّ، أو لمـا يتعـرّض له أوليـاء الله تعالى من عدوان وتطـاول، فالجزع ـ حينذاك ـ لا شـكّ في رجحانه وامتداحه لدى كلّ العقلاء.

إذن؛ التقويـم الفكـري للجزع لا يمكـن أن نصفه بأنّه مذموم بشـكل مطلق، بل يُنظر إليه بحسب موارده.

---

(١) المصدر السابق: ص٢٢٤.

النقطة الثالثة: في استحباب الجزع على الإمام الحسين عليه السلام

إنّ البحث في هذه النقطة يقع في قسمين: القسم الأوّل يرتبط بالجانب الفقهي، وأمّا القسم الثاني فسيكون البحث فيه عن الخلفيات الفكرية للجزع على الإمام الحسين عليه السلام.

القسم الأوّل: الخلفيات الفقهية لاستحباب الجزع على الإمام الحسين عليه السلام

قد لا تكون دعوى الإجماع على استحباب الجزع على الحسين عليه السلام من المجازفة، لكنّ الأمر يحتاج إلى استقصاء واستقراء، وقد نُقلت دعوى الإجماع كثيراً من قِبل مَن يُعتمد على نقله في ذلك، ولم نصادف ـ بحدود ما بحثناه ـ أيَّ توقّف في استحباب الجزع على الحسين عليه السلام، وربّما يوسِّع بعضهم استحباب الجزع على أهل البيت عليهم السلام عموماً؛ لنصوص وردت في ذلك، بل ربّما يشمل الجزع عموم مفهوم (شيعتنا)؛ لورود بعض الروايات التي قد يقبلها ويُفتي بها بعض الفقهاء أيضاً.

إنّ الروايات الواردة في مسألة الجزع كثيرة، ربما تصل إلى حدّ التواتر، وهي على طوائف متعدّدة؛ وعليه نحاول أن نذكر نموذجاً أو نموذجين لكلّ طائفة مراعاةً للاختصار:

الطائفة الأُولى: ما دلّت على استثناء الجزع على الحسين عليه السلام من كراهة مطلق الجزع

١ـ ما رواه الطوسي في أماليه، عن الشيخ المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي محمد الأنصاري، عن معاوية ابن وهب[1]، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لشيخ: «... **أين أنت من قبر جدّي المظلوم الحسين عليه السلام؟ قال: إنّي لقريب منه. قال عليه السلام: كيف إتيانُك له؟ قال: إنّي لآتيه وأُكثر. قال: يا شيخ، ذاك دمٌ يطلب الله تعالى به... وقال عليه السلام: كلّ الجزع والبكاء مكروهٌ سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام**»[2].

---

(١) وقد صحّح أُستاذنا آية الله الشيخ جواد التبريزي قدس سره هذه الرواية، حسب الظاهر؛ لأنّ الحسن بن محبوب هو من أصحاب الإجماع.

(٢) الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص١٦٢.

٢ـ عن ابن قولويه بسنده[١] عن الصادق عليه السلام، قال: «**إنّ البكاء والجزع مكروهٌ للعبد في كلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن عليّ عليهما السلام فإنّه فيه مأجور**»[٢].

الطائفة الثانية: ما دلّت على عظيم الأجر في الجزع على الحسين عليه السلام

روايات هذه الطائفة كثيرة، بل لعلّها بمفردها متواترة في بيان عظم الأجر والثواب في الجزع على الحسين عليه السلام، وليس مجرّد بيان الاستحباب فقط، ومن نصوص تلك الطائفة:

١ـ ما ورد أيضاً من رواية مسمع بن عبد الملك كردين البصري، قال: «**قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع، أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا، أنا رجلٌ مشهورٌ عند أهل البصرة، وعندنا مَن يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوّنا كثيرٌ من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولستُ آمنهم أن يرفعوا حالي عند وُلد سليمان فيمثّلون بي. قال لي: أفما تذكر ما صُنع به؟ قلت: نعم. قال: فتجزع؟ قلت: إي والله، وأستعبر لذلك، حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فأمتنعُ من الطعام حتّى يستبين ذلك في وجهي. قال: رحم الله دمعتك، أما إنّك من الذين يُعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أَمِنّا، أما إنّك سترى عند موتك حضور آبائي لك، ووصيّتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة أفضل، وملك الموت أرقّ عليك وأشدّ رحمةً لك من الأمّ الشفيقة على ولدها**»[٣]. فقد استخدم الراوي الاستعبار كتطبيق للجزع، إذ عندما سأله الإمام عليه السلام: فتجزع؟ قال: إي والله، وأستعبر.

٢ـ ما ورد من حديث عمار بن وهب، عندما دخل على الإمام الصادق عليه السلام وسمعه

(١) لعلّ سنده تامّ.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠١ـ٢٠٢.

(٣) المصدر السابق: ص٢٠٣ـ٢٠٤.

يدعو وهو ساجد، وهو حديثٍ طويل نقتبس منه قوله عليه السلام: «... **فارحم تلك الوجوه التي قد غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا، اللّهم إنّي أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان، حتّى نوافيهم على الحوض يوم العطش**...»[1]، إلى آخر الرواية التي ذكرت ثواباً عظيماً للجزع على الحسين عليه السلام.

الطائفة الثالثة: ما دلّت على حثّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام على الجزع على الحسين عليه السلام

١ـ ما رواه الصدوق في أماليه، بسندٍ متّصل عن عبد الله بن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل يذكر فيه الحسين عليه السلام: «... **فيرتحل عنها إلى أرض مقتله، وموضع مصرعه، أرضِ كربٍ وبلاء، وقتلٍ وفناء، تنصره عصابة من المسلمين، أولئك من سادة شهداء أُمتي يوم القيامة، كأنّي أنظر إليه وقد رُمي بسهم فخرّ عن فرسه صريعاً، ثمّ يُذبح كما يُذبح الكبش مظلوماً. ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله، وبكى مَن حوله، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثمّ قام صلى الله عليه وآله وهو يقول: اللّهم إنّي أشكو إليك ما يلقى أهل بيتي بعدي، ثمّ دخل منزله**»[2]. فأيّ دافعٍ وداعٍ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى بأن يقول ما يقرح قلبه المبارك الذي مُلئ حبّاً بالحسين عليه السلام قبل حدوث الواقعة؛ إذ إنّ الإنسان لو كان لديه مريض، ويتوقّع له الموت، لثقل على لسانه جدّاً أن يتحدّث عن ذلك قبل وقوع الموت، فكيف برسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتحدّث عن استشهاد فلذة كبده وبتلك الصورة المروّعة، فعندما ننظر إلى النصوص النبوية التي تحكي مصاب الحسين عليه السلام فلا بدّ أن نأخذ هذه القرينة بنظر الاعتبار، فتلك النصوص ليست كالنصوص الواردة عن الإمام زين العابدين أو عن الإمام الباقر أو الإمام

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨٢ـ٥٨٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٧٧.

الصادق أو الإمام الرضاعليهم السلام، وإنّما هي تتحدّث عن أمرٍ لم يقع بعد، فكيف يطيق قلبه ولسانه صلى الله عليه وآله أن يفيض في تفاصيل الأمر، خصوصاً وأنّ المشهد في هذه الرواية لا يتحدّث عن الحسين عليه السلام وهو غائب، بل يتحدّث عن الحسين عليه السلام وهو صبيّ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، حاضر أمامه، فتعبير (كما يُذبح الكبش) تعبير إنسان عنده عاصفة كبرى من الجزع في قلبه، بحيث يشبّه الأمر بهذا التشبيه المروّع؛ لذا لم يبقَ صلى الله عليه وآله مع أصحابه، ولم يطق أن يبقى معهم.

٢ـ رواية الإمام الرضا عليه السلام عندما دخل عليه ابن شبيب، فقال عليه السلام له: «... **يابن شبيب، إن كنتَ باكياً لشيء فابكِ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه ذُبح كما يُذبح الكبش**»(١). فالمفكّر الذي يريد أن يبحث في هذا الموضوع ويلتفت إلى نقاطه، عليه بهذا الحديث؛ لأنّه يُعدّ ثروة كبرى في هذا المجال، ويمثّل خلاصة هذا البحث.

على أيّة حال، هذه الطائفة من النصوص تكفي لإثبات المطلب وإثبات أهمّيته، وقد يحتاجها الباحث الذي ينطلق من منطلقات الفكر؛ لأنّ المفكّر يهتمّ بعلل ومعرفة مناشئ الأُمور ليجد ضالّته الفكرية في ثنايا تلك النصوص، ويرصد الكثير من النقاط الجزئية التفصيلية التي تبيّن المناشئ الطبيعية العقلائية للجزع على الحسين عليه السلام، أمّا الفقيه فلربّما يقف عند استنباط الاستحباب للجزع فقط.

الطائفة الرابعة: ما دلّت على مواجهة أعداء أهل البيت عليهم السلام لظاهرة الجزع

بمعنى أنّ الجزع يُشكّل ظاهرة اجتماعية عند أتباع أهل البيت عليهم السلام، وكان هناك حالة من الاستهداف والمواجهة من قِبل أعداء أهل البيت عليهم السلام لتلك الظاهرة؛ وعليه يتّضح أنّ ظاهرة الجزع ليست ظاهرة مستحدثة، وإنّما هي ظاهرة ضاربة بأطنابها في عمق التاريخ، وكانت موضع استهداف من قِبل الأعداء، وقد تقدّمت بعض النصوص التي أشارت إلى ذلك كما في رواية مسمع كردين. وأيضاً هناك نصوص

(١) المصدر السابق: ص١٩٢.

عديدة في هذا الجانب، منها رواية عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث ورد فيها: «... **فقلتُ له: يابن رسول الله، فكيف سَمَّت العامّة يوم عاشوراء يوم بركة؟ فبكى عليه السلام، ثمّ قال: لمّا قُتل الحسين عليه السلام تقرّب الناس بالشام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار، وأخذوا عليه الجوائز من الأموال، فكان ممّا وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنّه يوم بركة؛ ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرّك والاستعداد فيه، حكم الله ما بيننا وبينهم...**»(1).

فالإمام عليه السلام ـ بحسب ظاهر هذه الرواية ـ كان يدعو على أُولئك الذين وضعوا النصوص ليغيّروا الواقع، ويبدّلوا يوم الجزع والحزن إلى يوم فرح وسرور.

الطائفة الخامسة: ما دلّت على جزع الملائكة

النصوص في هذه الطائفة ممّا يُثير العجب العجاب، فلنا أن نتأمّل أنّ آلافاً من الملائكة شعثٌ غبرٌ، يبكون بكاءً مستمرّاً، لا يفترون عن البكاء حتّى ظهور صاحب الأمر، أي: يبكون مئات السنين، ولربّما آلاف السنين، فأيّ جزعٍ هذا؟! إنّ هذا النمط من الجزع الملائكي هو بنفسه يدلّ على أهمّية الجزع، ولا يخفى أنّ الملائكة يمثّلون الحالة المرضية عند الله سبحانه وتعالى.

الطائفة السادسة: ما دلّت على وقوع الجزع الكوني على الحسين عليه السلام

وردت بعض النصوص الدالّة على أنّ السماء والعرش والحور والجن، وغير ذلك من مخلوقات الله تعالى، كلّها قد جزعت على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وأنّه ما رُفِع حجر ولا مدر إلّا وكان تحته دم عبيط، والشيء العجيب هو وجود نصوص في هذا المجال ـ تحتاج إلى رصد ـ تدلّ على أنّ عدم الجزع على الحسين عليه السلام يكون شذوذاً عن النظام الكوني، مثله كمثل الإنسان الذي لا يُسبّح الله عزّ وجلّ؛ إذ يكون شاذّاً عن الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، وجعل شأنه أن يسبّح له (جلَّ وعلا)، يقول تعالى:

(1) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج1، ص266.

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾[1]، وهـذه النصـوص تحتـاج إلى بحـث مسـتقلّ لكي يرصد الإنسان هذه الحقائق.

وهنـاك نصوص أُخرى تشـكّل إضافات لهذا التواتر الواضـح، والتي ربَّما تكون بعـض طوائفهـا كافية لأن تحقّـق التواتر لوحدها، كـما في طائفة الأجـر العظيم التي أشرنـا إليها سـابقاً، ويمكن للباحث الـذي يريد أن ينظّر لهذا الأمر أن يسـتند إليها، ويأخذها بنظر الاعتبار، ويلتمس منها للجزع الكثير من الإشارات والمنطلقات.

ثـمّ لا بـدّ من الإشـارة هنـا إلى أنّ طائفة جـزع الأنبياء عليهم السلام ـ التي لم نـشر إليها في ضمن طوائف الروايات ـ تصلح لأن تكون طائفة سابعة من طوائف روايات الجزع على الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ إنّ جزعهم تحوّل إلى ملحمة تحدّث عنها تاريخ النبوات.

إنّ من المؤسـف أن يأتي البعض ممّن يراقب القضية الحسـينية، ثمّ ينظّر لها على أنّها حادثـة تاريخيـة، ويدعو إلى عدم الاسـتغراق في الماضي وأشـجانه وأحزانه، ثمّ يدعو إلى الانفتـاح عـلى الحاضر أو المسـتقبل، حتّى تجرّأ بعضهم قائلاً: لمـاذا نذكر عبد الله الرضيـع بالخصـوص، ولم نذكر فلاناً أو فلاناً؟ متناسـياً أنّ ذلك الرضيع هو مَن قال في حقّـه الإمام الحسـين عليه السلام: «**اللّهم لا يكـون أهون عليك من فصيل ناقـة صالح**»[2]، والحسـين ابن بنت رسـول الله صلى الله عليه وآله، وهو حجّة الله على الخلق، فتلك القضية لا بدّ أن تؤخذ بعين الاعتبار؛ لأنّ النظر إليها بمعزل عن الشأن الديني يسبّب نقصاً في الرؤية الصحيحـة الكاملـة، كما أنّ الحال هو الحال فيما لو قيسـت الأُمور بعـدد القتلى مثلاً، فتؤخذ حادثة ما وتُقاس بكربلاء، وحينذاك ستفقد القضية أهمّ جانب فيها، ألا وهو الجانب المقدّس، ذلك الجانب الذي تحدَّث عنه الأنبياء السابقون.

إنّ المفكـر عندمـا ينظّـر للجـزع يمكنه أن يسـتفيد كثـيراً من نصـوص الطوائف

---

(١) الإسراء: آية ٤٤.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٦٠.

العدد التاسع عشر ـ السنة الخامسة ـ ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

المتقدّمة، ويأخذها بنظر الاعتبار، كما أنّ الفقيه عندما يريد أن يقيِّم أيّ شيء من ذلك يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار تأثيرات هذا الفعل، وتداعياته، وإسقاطاته، وفهم الآخر له، وتأثيره الداخلي، وتأثيره في بناء الحالة المعنوية، إلى غير ذلك من الأُمور؛ إذ ربّما تمثّل بعض الخصوصيات المضافة التي يمكن أن تطوّر رؤية الفقيه لموضوع الحكم، وليس للحكم نفسه، وهذا لا يعني أبداً القول بتغيير الأحكام؛ لأنّ ذلك باطل بالضرورة.

إذن؛ حتّى لو حكمنا بأنّ الجزع مكروه، فذلك لا يعني أنّه مكروه مطلقاً، فقد جزع يعقوب على يوسف عليهما السلام، ولا يوجد في ذلك أدنى إشكال، وقد جزع أمير المؤمنين عليه السلام على فاطمة عليها السلام أيضاً، وجزعت فاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، فالأمر لم يحدّد بالحسين عليه السلام، لكنه عليه السلام أبرز مصاديقه.

من هنا، وعن طريق الجمع بين العام والخاص؛ يمكننا التوفيق بين محبوبية الجزع على الإمام الحسين عليه السلام الثابتة بما تقدّم من طوائف الروايات، وبين ما أمر به هو عليه السلام أُخته زينب عليها السلام حيث قال: «**يا أُخيّة... لا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً**»(1)ـ بناءً على صدور هذه الرواية ـ فهو أمرٌ في ظرف خاص، ربّما كانت فيه خصوصية للحوراء زينب عليها السلام، أمّا عمومات استحباب الجزع على الحسين عليه السلام فهي شاملة وعامّة، فيمكن حينئذٍ الجمع بينهما عرفاً.

القسم الثاني: الخلفيات الفكرية للجزع على الإمام الحسين عليه السلام

إنّ موضوع الجزع على الإمام الحسين عليه السلام هو تجربة نحاول فيها إثبات النظرية التي ذُكرت في المقدّمة من إمكان الوصول إلى فكر مستند إلى المنهج الفقهي، ويمكن الوصول إلى فقه مستند إلى شمولية النظرة الفكرية، وذلك ضروري لكلا الحقلين

---

(1) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٤.

معاً: (الفقهي) و(الفكري)، وربّما عند ممارسة هذا الأمر وتطبيقه في موضوعات لا تخلو من حساسيات، فإنّ ذلك يساعد كثيراً على تطوّر المنهج الذي يهمّنا بالدرجة الأساس من الناحية الفقهية والفكرية، وربّما تبرز أهمّيته أكثر من أهمّية الموضوع الخاص الذي يُبحث عنه، فإنّ أهمّيته بقدر أهمّية الموضوعات كلّها التي تتفرّع عليه، ومنها هذا الموضوع: (الخلفيات الفكرية للجزع على الإمام الحسين عليه السلام).

إذا أردنا أن نتعامل مع هذا الموضوع بسطحية فربما نسمع الكثير من المقولات العجيبة والغريبة، من قبيل: الحسين عليه السلام قُتل قبل حوالي أربعة عشر قرناً، وهناك جرائم متواصلة بشرية ما زال عنصر الإجرام فيها متواصلاً، بل هو متطوّر ومتقدّم، فالماضوية والاستغراق بقضية قديمة سابقة ربّما لا تكون ذات أهمّية؛ لأنّ فيها نوع من الرجعية وما أشبه ذلك من المقولات الكثيرة!

لا أُريد أن أستعرض الشبهات، وإنّما أُريد أن أُؤسّس لرؤية إذا ما تبلورت بشكلٍ طبيعي فستدفع جميع تلك الشبهات.

النقطة الأُولى

الجزع ـ بمعنى إبراز التفاعل الإيجابي مع المصاب، والتعبير عن الحزن، وعدم مسك النفس عنه ـ مرتبط في تقييمه العقلي[1] مع المصيبة التي تكون موضوعاً للجزع، فإن كانت المصيبة بأمرٍ شخصي ذاتيّ، وكان في الجزع إضراراً أكثر بالمصاب ـ كأن يجزع المنكوب على فقدان ماله حتّى يمرض مرضاً شديداً لا علاج له ـ فإنّ هذا النمط من الجزع يُعدّ قبيحاً ومستنكَراً، وربّما يُعدّ حمقاً؛ لأنّه يستبطن مصاباً أشدّ من المصاب الذي جزع عليه، أمّا إذا كان الجزع خالياً من الإضرار الخطير بالجازع، وكان المصاب ـ مثلاً ـ عدواناً على أبرياء، ومن ضمنهم أطفال ونساء عزّل، فلا يُدرك

(١) أي: عندما نريد أن نقيّمه عقلانيّاً وفكريّاً.

العقل ـ لو انفرد بالرؤية[1] ـ قُبح الجزع في مثل هذه الحالة، أو إذا وجدنا ـ على سبيل المثال ـ نائباً في البرلمان يخرج عن طوره وهو يستنكر جُرماً من هذا القبيل، فيه عدوانٌ على المدنيّين مثلاً، فلا نستنكر هذا الأمر، ما دام ذلك لا يُعدّ أمراً شخصيّاً، وإنّما هو أمرٌ يرتبط بالآخرين، وينطلق من نوازع إنسانية محترمة، تحترم الآخر وآلامه وعذاباته التي تستحقّ الجزع، فإنّ العقل لا يرى قبح الجزع على أقلّ تقدير، ولا أدّعي أنّ العقل يرى حُسن ذلك؛ لأنّ كلّ شيء بحسبه، لكنّ الجزع إن كان ناشئاً من انتهاك حرمات الله في أعاظم أوليائه فهو بلا ريب حسنٌ عقلاً، وقد ورد في نهج البلاغة: «**وهذا أخو غامد، قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسّان بن حسّان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأُخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقُلْبها وقلائدها ورُعاثها، ما تمتنع منه إلّا بالاسترجاع والاسترحام، ثمّ انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كَلْمٌ، ولا أُريق لهم دمٌ. فلو أنّ امرءً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً**»[2]. فالموت أسفاً من أشدّ أنماط الجزع، وهذا يرشد إلى هذا الحُسن العقلي لانتهاك حُرمات الله.

النقطة الثانية

نـنطلق من النقطة السابقة إلى النقطة الثانية، وقد تبيّن أنّ التقييم الفكري العقلي للجزع مرتبط بشكلٍ وثيق بمعرفة المصاب الذي يكون الجزع عليه. ومن هنا؛ فإنّ التقييم الدقيق لقيمة الجزع على الإمام الحسين عليه السلام مرتبطٌ تماماً بمعرفة مكانة الإمام الحسين عليه السلام وموقعه من الله عزّ وجلّ، وأيّ خلل في الرؤية الاعتقادية بالله أو برسوله أو بموقع الحسين من الله ورسوله، فإنّ ذلك سيؤثّر على سلامة الرؤية والتقييم

(١) فالعقل هنا يُحسّن الجزع حتّى وإن خُلّي ونفسه، فهو بشكلٍ طبيعي يُدرك هذا الحسن، أي: حتّى وإنّ لم يكن عنده هدي النصوص التي تستند إلى الوحي الشريف المقدّس.

(٢) نهج البلاغة: ج١، ص٦٨ـ٦٩، الخطبة٢٧.

الفكـري للموضوع، ومَن يختلف معنا وينظر إلى الحسـينعليه السلام ثائراً فقط، فإنّ خلافنا معـه ليـس خلافاً في شـأن الجـزع، وإنّما هو خـلاف في المقدّمات، فنحـن في كثير من الأحيان قد ندخل في حوار فكري يتعلّق بالجزع، لكنّنا لا نعترف بأنّ أساس الخلاف والنـزاع يبدأ من الموقـع الاعتقادي، والمبـدأ الكوني، ودور الأنبيـاء والأوصياء فيه، وخصوصية أهل البيتعليهم السلام، فهنا إذا اختلفنا فإنّ خلافنا ليس في قضية الجزع وإنّما في مقدّماتهـا؛ ولهذا لو قبل الباحث ـ المختلِف معنا في المقدّمات ـ بالنتائج التي توصّلنا إليهـا وأذعن بها، فهو بشـكلٍ طبيعي سـيصل إلى كثير من النتائـج المتفرّعة على ذلك التأسـيس الاعتقـادي، وعليه؛ فـإنّ البحث في هذا الموضوع مع حـذف هذه القضية الاعتقادية يُعدّ انتقاصاً من البحث، قد يقوم به البعض محاباةً في البحث الفكري على أساس أنّنا نكلّم الناس على قدر عقولهم، ولكنّ البحث العلمي لا يخضع للمحاباة، فهـو ليس عطيّة وزكاة حتّى تُعطى للمؤلّفـة قلوبهم، وإنّما هو حقيقة نريد أن نُدركها كـما هـي، وأن نصل إليهـا بدقّـة، فالقضيـة الاعتقادية هـي قضية أساسـية ومحورية ومركزية، تمثّل الدعامة الرئيسـة للجزع على الإمام الحسـينعليه السلام، فمن لا يؤمن بها لا يؤمن بالمنشـأ، وخلافنا معه في ذلك المنشـأ، فمن لا يفهمها قد يكون معذوراً في عدم فهم الجزع، وإذا كان مقصّراً فتقصيره يجرّه إلى تقصيرات أُخرى كثيرة، فلا يسعنا أن نتناول الموضوع فكرياً من دون أن نؤسّـس هذا الأمر؛ لأنّ الفكر الإسلامي لا يعني أنّك تفكّر في المسـألة الإسـلامية بأدوات الآخر وبمقدّماته الفكرية، فهذا ليس فكراً إسـلاميّاً، وإنّما هو فكرٌ التقاطي ومبتور، فهو حطبٌ وليس شـجرةً لها جذور يمكن أن تأخذ معينها من الأرض ومن الماء الذي ينزل فيها، وإنّما هو بقايا شجرة لا تصلح إلّا حطباً في معركة فكرية.

النقطة الثالثة

إنّ الجزع على الحسـينعليه السلام يتأسّس على معرفة الله سبحانه وتعالى؛ ومن هنا ننطلق

في هـذه النقطـة إلى أنّ الرؤيـة لله سـبحانه وتعـالى والمعرفة بعظمته ـ التـي تتفرّع على المعرفـة بعظـم انتهـاك حرمتـه ـ لها أثر كبـير في الجزع، ومَـن يفكّـر في تطوير مكامن الجزع في شخصيّته فينبغي أن يبدأ بهذه البداية، ولا ينغمس فقط في المشاهد العاطفية وحدهـا، فـإنّ البعض قد يأتي إلى الشـعر وإلى الصوت الشـجي وإلى الصورة الباكية الإنسـانية ويحاول أن يسـتلهم منها جزعه على الحسـين عليه السلام، فإنّ هـذا مهمّ ولا نقلّل من قيمته، ولكنّ المكمن الأساسي والنقطة الفارقة والبداية هي في معرفة الله سبحانه وتعالى، وإذا كانت معرفة الله قلباً على درجة عُليا لا تتحقّق إلّا للأوحدي من الناس، فـإنّ معرفـة عظمة الله عقلاً هي بمتناول يد كلّ باحث عـن الحقيقة، حيث يمكنه أن يعـرف عقـلاً العظمة المطلقة لله سـبحانه وتعالى، ومن ثمّ ينسـحب هـذا على عظمة النبـي صلى الله عليه وآله الذي هو المفجوع الأوّل والجازع الأعظم على الحسـين عليه السلام، والذي يمكن أن يكون جزعه منشأً لجزع الجازعين.

إذا عرفنـا أنّ المؤمـن العـادي أعظـم عنـد الله مـن الكعبـة، بحسـب مـا ورد في النصوص، فقد ورد في رواية طويلة جاء فيها: أنّ أبا جعفر الباقر عليه السلام أقبل إلى الكعبة وقـال: «**الحمد لله الذي كرّمـك وشرّفك وعظّمك، وجعلك مثابـةً للناس وأمناً، والله، لحرمـة المؤمن أعظـم حرمةً منكِ**»[1]. وقـد ورد ذلك أيضاً في روايـات أُخرى بعضها صحيحـة السـند، صالحة للاحتجـاج الفقهي والفكـري؛ لأننا نعتقـد فكريّاً ونُدرك عقليّاً أنّ هناك عظمة مطلقة لله سـبحانه وتعـالى، وهذا يتفرّع منه عظم ما يُنتهك من حرماته، وهذا النص يصبح مشـيراً ومرشداً إلى ذلك الأمر العقلي، فإذا كان للمؤمن هـذه القيمـة عند الله عزّ وجلّ فكيف بسـيّد الخلق في عصره، وحجّته عـلى عباده، وحبيب رسوله الذي دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى.

إنّ المعرفـة لله عزّ وجلّ تؤسّـس كثيراً لمعرفـة قيمة الجزع على الحسـين عليه السلام فكريّاً، وهذا

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧١، ص٢٣٣.

يؤدّي بنا إلى الوصول إلى هذه النتيجة: إنّ أدنى عدوان على الحسين عليه السلام يكون تقييمه الفكري والعقلي أعظم بكثير ممّا نشهده من فجائع، فعلى سبيل المثال: حينما تحصل فجيعة من الفجائع، كما إذا وقع عدوان على بشر في أيّ منطقة من العالم، فنحن نقيّم تلك الفجيعة على أنّها تستحقّ أن يكون في مقابلها حزن شديد وجزع، لكنّ تقييمها بحسب رؤيتنا المادّية يبقى أقلّ بكثير من التقييم الذي يستند إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، ورسله وكتبه، والإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وموقعه من الله، والحسين عليه السلام وموقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

أضف إلى ذلك مجموعة من النقاط المهمّة، منها: أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد تعامل مع الناس بمنتهى اللطف والرحمة، فقد لبّى استغاثتهم به من الطغيان الأُموي عندما وردته كُتُب أهل الكوفة تدعوه إلى القدوم، ثمّ عطفوا عليه فقتلوه، هذه الصورة المتناقضة تستفزّ العقل وتحرّك مكامن الجزع في القلب، كما سقى عليه السلام العطاشى منهم، وذلك عندما واجهته أوّل طلائع الجيش الذي خرج لقتاله بكتيبة فيها ألف فارس، «**فقال الحسين لفتيانه: اسقوا القوم، وارووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً. فقام فتيانه فرشّفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتّى أرووهم، وأقبلوا يملؤون القصاع والأتوار والطساس من الماء، ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقوا آخر حتّى سقوا الخيل كلّها**»(١)، وحتّى حيوانات الأعداء التي تُستخدم كأدوات يركبونها لقتال الحسين عليه السلام، قد نالت شيئاً من ريّ الحسين عليه السلام، ذلك الذي قُتِل عطشاناً، وبذل غاية جهده في نُصح أعدائه وموعظتهم، كما نشهد ذلك في خطبه يوم عاشوراء، وكان شخصية سلمية من الطراز الأوّل، فلم يكن يريد أن يبدأهم بقتال، حتّى عندما أمكنته الفرصة ممّن باشر قتله وهو شمر بن ذي الجوشن، فعندما وقف شمر يوم عاشوراء على الخندق الذي أُضرمت فيه النيران ليكون وقاءً للحسين عليه السلام ومعسكره من الخلف، نظر إلى مخيّمهم «**فإذا هو لا يرى إلّا**

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٢.

حطباً تلتهب النار فيه، فرجع راجعاً، فنادى بأعلى صوته: يا حسين! استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة. فقال الحسين: مَن هذا، كأنّه شمر بن ذي الجوشن؟ فقالوا: نعم، أصلحك الله، هو هو. فقال: يابن راعية المعزى، أنت أولى بها صلياً. فقال له مسلم بن عوسجة: يابن رسول الله، جُعلت فداك، ألا أرميه بسهمٍ، فإنّه قد أمكنني، وليس يسقط سهم، فالفاسق من أعظم الجبّارين. فقال له الحسين: لا ترمه، فإنّي أكره أن أبدأهم»[1].

فهذه الشخصية المسالمة عندما تُنتهك حرماتها بهذا الشكل، فلا شكّ في أن يستدعي هذا الأمر أعلى مراتب الجزع. وقد تنوّعت الشخوص في هذه المدرسة الحسينية، حيث نقرأ امتناع سفير الحسين عليه السلام (مسلم بن عقيل) عن الفتك بعبيد الله ابن زياد واغتياله رغم أنّه جاء لقتال الحسين عليه السلام.

أضف إلى ذلك، أنّ العدوان على الحسين عليه السلام تمّ في الشهر الحرام الذي كان مقدّساً حتّى في الجاهلية؛ إذ كان المجرمون فيه يأمنون، لكنّنا نرى صوراً مأساوية من العدوان على الحسين عليه السلام في هذا الشهر الحرام، تضمّنت منع الماء عنه عدّة أيّام، ولا نريد أن نصف معاناة المنع عن الماء، هذه كلمة تُذكر في بحث، ولكنّها إذا تحوّلت إلى اكتواء بأحاسيس الإنسان تُثير عنده الجزع، مع قبولٍ عقلي، واحترامٍ فكري كاملٍ لذلك الجزع.

ومن صور المأساة أيضاً، أنّ الحسين عليه السلام لم يُقتل وحده، بل قُتل معه أصحابه وأهل بيته وأبناؤه وأطفاله، فذاك عبد الله الرضيع، ذلك الصبي الصغير، لو جزعت عليه الدنيا بأعظم ما يُتصوّر من جزعٍ لكان ذلك قليلاً، هذا الذي ينتمي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ونار عطشه تكوي الحسين عليه السلام كما تكوي كلّ عائلته التي تنظر إليه وقد غارت عيناه من الظمأ.

وكذلك نقرأ مشهداً آخر وهو مشهد ترويع النساء، وإحراق الخيام على رؤوسهن، وهذه النصوص التي تتحدّث عن جزع زين العابدين عليه السلام عندما يستحضر ذلك المشهد، فيها الكثير من العقل والإيمان والفكر والإحساس الإنساني النبيل، وفيها الكثير من الولاء والحبّ في الله للحسين عليه السلام ولمَن كان معه.

---

(١) المصدر السابق: ص٣٢٢.

إنّ العادة تقتضي عندما يُقتل القتيل يُسدل الستار على مسرح المعركة وينتهي الأمر، وتلملم الأشلاء، أمّا الحسين عليه السلام فقد تمّ التمثيل بجثمانه الطاهر، حيث قُطع رأسه وحُمل على أطراف الرماح، وقد قُطعت يداه، وقبل ذلك قُطع خنصره الشريف من أجل سلب خاتمه الذي بيده، وفعلوا بعض ذلك بمَن قُتل معه، ثمّ سُلِبت ثيابه، وقد نُقل أنّ ابن زياد أمر «**أن يوطَأ صدر الحسين وظهره وجنبه ووجهه، فأُجريت الخيل عليه**»[1].

وبعد هذه المشاهد كلّها سُبيت نساؤه وهي حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ تشفّياً به، وتمّ التشهير به واتّهامه بشتّى التهم الباطلة، وحُمل رأسه الشريف لمدّة أربعين يوماً تقريباً في البلدان. والأمر العجيب، عندما يرى الإنسان مشهداً لقتل إنسان محترم، نراه يجزع بشكلٍ طبيعي، مع أنّ القتل يحصل بلحظات، لكنّ مشهد الرأس القطيع والمرفوع على أطراف الرماح هو عمليةُ قتل مستمرّة للحسين عليه السلام أمام عياله وأهل بيته وأمام الناس؛ تشفّياً به عليه السلام، إلى غير ذلك من المصائب التي لا يكاد يطيقها عقل، فكيف لا يتصدّع لها القلب!

أضف إلى ذلك أيضاً، أنّ في الجزع على الحسين عليه السلام إعلانَ نحوٍ من أنحاء مواجهة الباطل والمنكر اللذين انتُهكت بهما حرمته عليه السلام، ونحواً من التعاطف مع المظلوم ومواساته، وتسليةً عن محن الدنيا ومصائبها التي تربّي بدورها شخصية الإنسان على استحضار مصابه عليه السلام إلى أعلى درجة من التأسّي، وهذا ما نشاهده في بيوت الشهداء وذويهم، حيث إنّ أعظم تسلية تتسلّى بها قلوبهم هو ذكرهم للحسين عليه السلام. وعليه؛ يكون للجزع قيمة عُليا عندما يجد الإنسان أن مصابه مهما عظم فهو أقلّ بكثير من مصاب الحسين عليه السلام، وهو ليس حساباً ماديّاً فقط، وإنّما هو حسابٌ ينظر إلى قيمة الحسين عليه السلام وعظمته.

وخلاصة الحديث أنّ في الجزع على الحسين عليه السلام نحواً من أنحاء إحياء قضيّته العادلة التي ثار من أجلها.

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٧٩.

وفي الحقيقة، إنّ أكثر هذه القيم والمفاهيم التي استفدّتها في التأصيل الفكري لقضية الجزع على الحسين عليه السلام، شاهدّتها في نصٍّ مفعم بالإيمان والبكاء والجزع، وهو عن الإمام الرضا عليه السلام، وبسند معتبر عن الريّان بن شبيب، قال عليه السلام: «**يابن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفتْ هذه الأُمّة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيّها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً، يابن شبيب، إن كنتَ باكياً لشيء فابكِ للحسين ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فإنّه ذُبح كما يُذبَح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فلم يؤذَن لهم، فهم عند قبره شعثٌ غبرٌ إلى أن يقوم القائم عليه السلام، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين عليه السلام، يابن شبيب، لقد حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عليهم السلام: أنّه لمّا قُتل جدّي الحسين (صلوات الله عليه)، أُمطرت السماء دماً وتراباً أحمر، يابن شبيب، إن بكيتَ على الحسين حتّى تصير دموعك على خدّيك، غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً، يابن شبيب، إن سرَّك أن تلقى الله عزّ وجلّ ولا ذنب عليك فزرْ الحسين عليه السلام، يابن شبيب، إن سرَّك أن تسكن الغُرف المبنيّة في الجنّة مع النبي صلى الله عليه وآله فالعن قتلة الحسين، يابن شبيب، إن سرَّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استُشهد مع الحسين بن علي عليه السلام فقل متى ذكرته: ليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيماً، يابن شبيب، إن سرَّك أن تكون معنا في الدرجات العُلى من الجنان فاحزن لحزننا، وأفرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أنّ رجلاً أحبَّ حجراً لحشره الله عزّ وجلّ معه يوم القيامة**»[1].

إذن؛ الجزع والتفاعل الحزين مع الحسين عليه السلام من أقوى ما يجذب القلوب والأرواح للارتباط بأولياء الله سبحانه وتعالى، فإنّ حالة الانجذاب المشاعري

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٢٦٨ـ ٢٦٩.

نحو الحسين عليه السلام وقضيته بشكلٍ طبيعي تجعل الإنسان قريباً من أخلاق الحسين عليه السلام وتوجّهاته ومبادئه، وبعد كلّ ذلك ممّا عرفنا ولم نعرف، وممّا أدركنا ولم نُدرك، وممّا وسعه وقتنا أو لم يسعه وقتنا، ممّا وسعته عقولنا أم قصرت عنه، نعرف أنّ الجازعين على الحسين عليه السلام مهما جزعوا فإنّهم صبروا أكثر ممّا جزعوا؛ لأنّ المصاب لم يلامس شغاف قلوبهم.

اللّهم ثبّت لنا قدم صدق مع الحسين عليه السلام، وأيّ صدق يتحقّق من دون أن نجزع على الحسين عليه السلام! فإنّ من أهمّ علامات صدق المرء في موالاة الحسين عليه السلام أن يلمس في قلبه حرارة الجزع على الحسين عليه السلام. والحمد لله ربّ العالمين.

إصلاح الشعائر الحسينية في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام

د. الشيخ حيدر خمّاس الساعدي*

مقدّمة

يلاحظ المتتبع لروايات أهل البيت عليهم السلام في باب الشعائر الحسينية تركيزاً على الطريقة الصحيحة لأدائها، ولعلّ قلّة التوجّه إليها أو التركيز عليها بسبب تناثرها في أبواب مختلفة من الكتب الروائية؛ ولذا نحاول ـ في هذا المقال ـ تبويب تلك الروايات وتنظيمها تحت عناوين مناسبة؛ لنخرج برؤية إصلاحية تغطّي جوانب مهمّة من جوانب الشعائر الحسينية.

وقد اعتمدنا على الروايات الواردة في المصادر المعتبرة، والتي لا تخالف الثوابت.

ويبقى هذا المقال محاولة في هذا الاتجاه عسى أن تسدّ نقصاً أو تفتح أُفقاً يكمّله أهل الخبرة والاختصاص.

معنى إصلاح الشعائر الحسينية

الصلاح في اللغة: ضدّ الفساد، وهكذا يكون الإصلاح نقيض الإفساد[1]. ولا يبتعد الإصلاح في معناه الاصطلاحي عن المعنى اللُّغوي، بل يكاد يكون عينه، فالإصلاح هو: «**التغيّر إلى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة**»[2]. وربما استُخدم في معانٍ أُخرى وميادين مختلفة لا يهمّنا الحديث عنها هنا.

---

* دكتوراه في الاستشراق والدراسات القرآنية، من العراق.

(1) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج2، ص516. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح: ص194.

(2) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج1، ص204.

ويتّخذ مفهوم الإصلاح في الشعائر الحسينية معنيين:

المعنى الأوّل: تصحيح الفهم أو التطبيق الخاطئ للممارسات التي تُؤدّى على أرض الواقع، وإرجاعها إلى الوجه الصحيح.

المعنى الثاني: توجيه مسار ومجرى ممارسة الشعائر إلى الطريقة التي يحبّها أهل البيت عليهم السلام، ويحبّون أن يمارسها المعزّون. وهذا المعنى لا يفترض وجود خطأ في فهم أو في ممارسة للشعائر على أرض الواقع، بل يفترض وجود ممارسة صحيحة بحدّ ذاتها، لكن المعصوم يُريد تحسين تلك الممارسة؛ لتكون ذات طريقة وأُسلوب أفضل.

ونقصد بإصلاح الشعائر الحسينية المعنى الجامع لهذين الأمرين، فيكون معنى إصلاح الشعائر الحسينية حينئذٍ هو: بيان الأسلوب الصحيح أو الأمثل لأداء مراسم عاشوراء، ورسم مسارها في خطّها الممتدّ إلى يوم الدين.

والمستند في الإصلاح هذا هو النصوص الشرعية التي بيّنت أُسس الشعائر ومسارها.

وليس المقصود بإصلاح الشعائر إصلاح ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال أو التلاعب فيه، وإنّما إصلاح ما يصدر على أرض الواقع من ممارسات يمارسها المعزّون.

والإصلاح هنا قد لا يستلزم وجود خطأ فعلي في الممارسة الشعائرية تستهدف الرواية تصحيحه، وإنّما يعمُّ ذلك وما يفترض وجوده، ويكون تصحيح الممارسات الخارجة عن أُطر الشعائر من خلال تحكيم النصوص الشرعية.

أرضية الإصلاح وحاجة الشعائر إليه

الشعائر الحسينية في جانب منها هي مظاهر تفاعل عاطفي مع الإمام الحسين عليه السلام، وما حلّ في كربلاء من مصائب، والتعبير عن هذا التفاعل قد ينتج من تفكير خاصّ، أو ربما يلتقي مع ما يعيشه الإنسان من عادات وثقافات في التفاعل مع فقْد عزيز،

أو فقْد شخصية ذات منزلة اجتماعية أو دينية، وقد يكون هذا الحزن من جهة أُخرى نتيجة الشعور بالندم إزاء عدم نصرة أو تقصير. وبذلك يمكن تلخيص أرضية الإصلاح في الشعائر الحسينية في نقطتين:

الأُولى: الفهم الخاطئ للشعائر: كثيراً ما تأتي الحركات الإصلاحية لتصحيح فهم واقع معيّن وتصحيح مساره، ومن هذا الباب نجد مجموعة من الروايات تركّز على الفهم الصحيح للشعائر من خلال بيان عظمة الإمام الحسين عليه السلام، وعِظم المصاب الذي جرى عليه، وبيان أنّ الشعائر ليست ممارسات تؤدّى في وقت خاصّ وينتهي أمرها. وبعبارة أُخرى: تؤكّد الروايات الخلفية الفكرية للشعائر الحسينية ممّا يُعطيها بعداً أيديولوجيا، وبعكس ذلك فإنّ الفهم الخاطئ للشعائر ينتج مشاكل خطيرة على مستوى الممارسة.

الثانية: التطبيق الخاطئ: عادةً ما ينطلق التطبيق الخاطئ للشعائر من الفهم الخاطئ لها، ويكون هذا التطبيق إمّا بفهم التقاطي للشعائر وترجيح جانب على آخر، أو بفرض ثقافة فرد أو مجتمع على الشعائر؛ وبالتالي تُمارس شعائر مشوّهة على أرض الواقع، وكلّ ذلك يفرض إصلاحاً.

مراحل الشعائر الحسينية في ضوء الروايات

نستعرض في هذا المبحث مراحل ممارسة الشعائر الحسينية من خلال ما تُفيده الروايات؛ لنرى الثوابت التي تمّت ممارستها، والتجربة التي عاشتها في ضوء منبعها الأساس، ومن خلال ذلك نستطيع استخلاص نقاط تخدم مسيرة إصلاح الشعائر.

المرحلة الأُولى: الإعداد المشترك للشعائر الحسينية

ونقصد بالاشتراك هنا: اشتراك الأديان السماوية في تطبيق الشعائر الحسينية على يد الأنبياء عليهم السلام، ويكفي في صدق عنوان ممارسة الشعائر الحسينية تطبيق بعض

مصاديقها، كالبكاء والجزع وزيارة أرض كربلاء.

ويمكن أن نضع في هذه المرحلة روايات بكاء الأنبياء عليهم السلام، حيث وردت عدّة روايات مفادها بكاء الأنبياء عليهم السلام على مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام، ومفردات أُخرى تشكّل مصاديق للشعائر الحسينية، من تلك الروايات ما رواه الصدوق، عن الفضل ابن شاذان، قال: «**سمعت الرضا عليه السلام، يقول: لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه؛ ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، مَن أحبُّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمد صلى الله عليه وآله. فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أو نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي. قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده. قال: فذبْحُ ولده ظلماً على أيدي أعدائه، أوجع لقلبك، أو ذبْحُ ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أُمّة محمد صلى الله عليه وآله ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي. فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب...**»[1].

قال المجلسي الأوّل عن سند الرواية: «**ورُوي في الحسن كالصحيح**»[2]، ثمّ ذكر الرواية.

وهناك روايات أُخرى في هذا المضمار مفادها بكاء نبي الله آدم عليه السلام على مصيبة أبي

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٨٥.

(٢) المجلسي، محمد تقي، روضة المتّقين: ج١٢، ص٢٣٣.

عبد الله الحسين عليه السلام[1]، وكذلك عيسى عليه السلام[2].

والنتيجة المستفادة من هذه الروايات، أنّ بذور العزاء الحسيني تشترك فيها الأديان، ولا بدّ أن توجّه مسيرة العزاء في هذا الاتجاه؛ لتحافظ على عالميّتها، فالأُمم لو عرفت تفاعل أنبيائها مع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام لتحرّكت مسيرة الشعائر الحسينية في أفق أوسع، ولا بدّ لنا من الاستفادة من مناهج البحث المقارن والبحث في وثائق ومدوّنات الشرائع الأُخرى؛ للوقوف على مؤيّدات وشواهد في هذا المجال.

المرحلة الثانية: تبيين أرضية العزاء والتنظير لها في المجتمع الإسلامي

حرص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على توعية الناس بالقضية الحسينية وربطهم بها من جوانب مختلفة:

١ـ الجانب العاطفي: يلاحظ المتتبع لسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بكاءه في حالات ومناسبات مختلفة على مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام، ويبدو من سيرته أنّه صلى الله عليه وآله يحرص على جعل ذلك حالة عامّة. ومن تلك الروايات ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده إلى عبد الله بن مسعود، قال: «**أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج إلينا مستبشراً يُعرف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيء إلّا أخبرنا به، ولا سكتنا إلّا ابتدأنا، حتّى مرّت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين، فلمّا رآهم التزمهم وانهملت عيناه. فقلنا: يا رسول الله، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه. فقال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً أو تشريداً في البلاد...**»[3].

نقل الإربلي في كشف الغمّة: «**بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ رقدة القائلة إذ استيقظ وهو يبكي. فقالت عائشة: ما يُبكيك يا رسول، بأبي أنت وأُمّي؟ قال: يُبكيني أنّ جبرئيل أتاني، فقال: ابسط يدك يا محمد، فإنّ هذه تربة من تلال يُقتل**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٤٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، إكمال الدين: ص٥٣٢.

(٣) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك: ج٤، ص٤٦٤.

بها ابنك الحسين، يقتله رجل من أُمّتك. قالت عائشة: ورسول الله صلى الله عليه وآله، يُحدّثني وأنّه ليبكي، ويقول: مَن ذا من أُمّتي، مَن ذا من أُمّتي، مَن ذا من أُمّتي، مَن يقتل حسيناً من بعدي؟»[1].

إلى غير ذلك من روايات هذا الباب.

٢ـ الجانب الفكري والعقدي: إنّ الحسين عليه السلام إمام تمتدّ إليه الخلافة الشرعية، وقد صرّح النبي صلى الله عليه وآله في مناسبات متعددة بهذا المعنى، منها: قول النبي صلى الله عليه وآله: «**حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً**»[2]. وقد سار على هذا المنهج أمير المؤمنين علي عليه السلام، واستمرّ ذلك حتّى شهادة الإمام الحسين عليه السلام.

وبضم البُعد العاطفي إلى البُعد العقدي، تكون الشعائر الحسينية تفاعلاً فكرياً عاطفياً، يمتزجان في الساحة الحسينية، وينتج عنهما تفاعل المسلم مع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، ورفض الظلم، وجميع ما جرى على الإمام من مأساة.

المرحلة الثالثة: ترسيخ مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وربطها بالعقيدة الحقّة

دخلت الشعائر في هذه المرحلة حالة ترسيخ وتثبيت مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، والاستدلال بها على أحقيّة المذهب، وفضح المخطّطات الأُموية، وهذا ما يظهر جليّاً من سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد سعى لنقل عِظم المصاب الذي جرى على الإمام وأهل بيته بأساليب متعددة، كما أنّ مواقف العقيلة زينب عليها السلام وكلماتها هي دلائل صدق، ومواقف عدل، فضحت من خلالها السلطة الأُموية، وشدّت القلوب إلى خطّ سيّد الشهداء عليه السلام.

المرحلة الرابعة: مرحلة تشييد أركان الشعائر وتوسعتها

حينما يطالع المرء روايات الإمام الباقر والصادق عليهما السلام يجد أنّ الشعائر الحسينية

(١) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة: ج٢، ص٢٦٩.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٤، ص١٧٢.

شهدت مرحلة جديدة من حيث المظاهر وتوسُّع الممارسة، ففي هذه المرحلة بُيّنت العطلة في يوم عاشوراء[1]، وظهرت أشكال الممارسة الشعائرية على مستويات مختلفة. وتمتدّ هذه المرحلة حتّى الغيبة الكبرى.

أهداف الشعائر الحسينية في ضوء الروايات

إنّ إصلاح الشعائر الحسينية ينطلق من نقطة غاية في الأهمّية، وهي توجيه الممارسة الشعائرية وربطها بالأهداف الحسينية دائماً، ومن خلال استقراء مواقف أهل البيت عليهم السلام، يظهر أنّ الشعائر الحسينية تستوفي هدفها فيما إذا ارتبطت بأهداف النهضة الحسينية، وأصبحت تتحرّك بين خطوط تلك الأهداف السامية، التي خطّها سيّد الشهداء عليه السلام بدمه المقدّس، وعلى ذلك فإنّ الحفاظ على أهداف النهضة الحسينية في ممارسة الشعائر هو إصلاح للشعائر الحسينية، ويمكن تلخيص أهداف الشعائر الحسينية في الروايات فيما يلي:

الهدف الأوّل: التواصل المستمر مع الحقّ ونصرته

تؤكّد روايات أهل البيت عليهم السلام استمرارية ذكر الإمام الحسين عليه السلام، وجعل ذلك ثقافة رئيسة في الحياة، وكأنّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام قوّة محرّكة مستمرة، تدفع نحو الحقّ وتنصره باستمرار، فيكون استذكار شهادة الإمام الحسين عليه السلام تجديداً للعهد واستمراراً على الحقّ، وهذا ما يظهر من لسان بعض أدلّة الشعائر ونصوصها:

١ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «**رحم الله شيعتنا، شيعتنا والله المؤمنون، فقد والله شركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة**»[2].

حيث بيّن الإمام أنّ طول الحزن والحسرة جانب من جوانب علّة الترّحم؛ ممّا يعني مطلوبية ذلك وكونه من الشعائر، ومعلوم أنّ الحسرة والحزن بحدّ ذاته ليس

(١) اُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٢٦.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٢١٧.

موضوعاً للترّحم، بل الحزن والحسرة المتعلّقة بمصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وهي بدورها تستبطن محبّةً وتبرّياً من أعداء الحسين عليه السلام، وبالنهاية نصرة الحقّ.

٢ـ عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل نأخذ منه موضع الحاجة: «... **يابن شبيب، إنّ سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لـمَن استُشهد مع الحسين عليه السلام، فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيماً، يابن شبيب، إنّ سرّك أن تكون معنا في الدرجات العُلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا...**»[1].

وفي هذه الرواية من الصراحة ما يُغني عن البيان، حيث يقول الإمام عليه السلام: «**يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً**». ويقول عليه السلام: «**فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا**»، وهو معنى التواصل المستمر مع الحقّ ونصرته. ولا يكون العزاء الحسيني مرضياً في رؤية أهل البيت عليهم السلام إذا لم يكن هدفه الحقّ والاستمرارية مع الحقّ، بل إنّ سرّ استمرارية العزاء الهادف هو ارتباطه بالحقّ، وأيّ ممارسة لا تترشّح من أحقيّة العزاء وصدقه لا يُكتب لها التوفيق والاستمرار، ويحذفها الحقّ الذي قام من أجله الإمام الحسين عليه السلام، وما أكثر الممارسات الخاطئة باسم الإمام الحسين عليه السلام التي حذفها التاريخ!

الهدف الثاني: إحياء معالم الدين

يمثّل إحياء الدين وقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أهم أهداف النهضة الحسينية، وهكذا شعائر الإمام الحسين عليه السلام، التي هي امتداد للمبادئ الحسينية وإحياء لمعالم الدين، فيكون صوت الشعائر الحسينية صوت إعلاء الدين والسير على نهجه، ومن ذلك:

١ـ قول الإمام الصادق عليه السلام في دعائه لزوّار قبر أبي عبد الله عليه السلام: «**يا مَن خصّنا بالكرامة، وخصّنا بالوصية، ووعدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى وما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، أن اغفر لي ولإخواني، ولزوّار قبر أبي الحسين عليه السلام الذين**

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٩٢.

أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم؛ رغبةً في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك (صلواتك عليه وآله)، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا، أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عنّا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلُف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شرّ كلّ جبار عنيد، وكلّ ضعيف من خلقك أو شديد، وشرّ شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم، اللهمّ، إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، وخلافاً منهم على مَن خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا»(١).

ومن الواضح أنّ تلك الصرخة وممارسة العزاء الهادف التي تكون لأهل البيت عليهم السلام، هي لإعلاء كلمة الحقّ وإحياء معالم الدين، وهي اتصال مباشر بين الله تعالى والعبد؛ كما يدلّ عليه هذا النصّ بوضوح؛ وبذلك يتحقّق إحياء معالم الدين وإحياء المنهج الإسلامي الأصيل.

٢ـ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لعبد الله بن حمّاد: «... بلغني أنّ قوماً يأتونه من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقصّ، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي. فقلت له: نعم، جُعلت فداك، قد شهدتُ بعض ما تصف. فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس مَن يَفِدُ إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا مَن يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يهدرونهم ويقبّحون ما يصنعون»(٢).

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٥٣٩.

الهدف الثالث: الرقي بالثقافة ووعي الأُمور

لا يشكّ أحد في الأثر الذي تركته الشعائر الحسينية في تثقيف المجتمع والرقي به، فالمنبر الحسيني ومجالس العزاء والفعّاليات التي تُمارس باسم النهضة الحسينية، والتي تحمل فكر أهل البيت عليهم السلام، أدّت دوراً قلّ نظيره في حفظ الهوية الشيعية ونشر البصيرة في قلوب المؤمنين، ولعلّ هذا الهدف من الأسرار التي جعلها الله عزّ وجلّ في شهادة سيّد الشهداء، ولخّصها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله: «**يا حسين، أُخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً**»(١).

ويؤكّد نصّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين أنّ هدف النهضة الحسينية إنقاذ الأُمّة من الجهل، وإيضاح الطريق لها، «**فأعذر في الدعاء، وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الضلالة والجهالة، والعمى، والشكّ والارتياب، إلى باب الهدى من الردى**»(٢). ويردّد الزائر هذا النصّ في كلّ سنة مرّة؛ كي يعلّمه دوماً أنّ الشعائر وذكر الإمام الحسين عليه السلام لا يجتمعان مع الجهل أبداً، بل إنّ الشعائر الحقّة لا تتلاءم مع الخرافة أبداً، ولا مع منافيات الشريعة، أيّاً كانت مسمّياتها.

الهدف الرابع: التذكير المستمرّ بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

تجتمع كلّ الشعائر الحسينية ـ رغم تعدّد أشكالها ـ في محتوى ومضمون واحد، وهو التذكير بمظلومية سيّد الشهداء عليه السلام، وما حلّ به وبأهل بيته الطاهرين؛ لذا نجد أدلّة الشعائر تؤكّد حالة الحزن الفردية والجماعية. وهذا الهدف بالذات يحتلّ مركزاً مهماً من بين تلك الأهداف، وحولها تدور أكثر أدلّة الشعائر الحسينية.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «**إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام، فإنّه فيه مأجور**»(٣).

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٠١.

(٣) المصدر السابق: ص٢٠٢.

ويكفي أن يعيش الإنسان تلك الحسرة والحزن على أبي عبد الله عليه السلام إن لم يمكنه حضور المشهد الحسيني، فعن مسمع بن عبد الملك كردين البصري، قال: «**قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع، أنت من أهل العراق، أَما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا مَن يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوّنا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثّلون بي. قال لي: أفما تذكر ما صُنع به؟ قلت: نعم. قال: فتجزع. قلت: إي والله، وأستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فأمتنع من الطعام حتّى يستبين ذلك في وجهي. قال: رحم الله دمعتك، أَما إنّك من الذين يُعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا آمنا، أَما إنّك سترى عند موتك حضور آبائي لك، ووصيّتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة أفضل، وملك الموت أرقّ عليك، وأشدّ رحمة لك من الأُمّ الشفيقة على ولدها**»(١).

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تدلّ على كون الحزن أو الجزع أو البكاء أو التباكي، جزءاً لا ينفكّ عن هدف ممارسات العزاء الحسيني، وهذا يعني أنّ الشعائر لا تؤتي ثمارها ما لم تنتج هذه النتيجة.

الخطوط العامّة للشعائر الحسينية في ضوء الروايات

ليست الشعائر الحسينية ممارسات عشوائية لا تحدّها حدود أو قيود، بل لها خطوط عامّة يجب أن تُمارس في ضوئها، ولا يمكن ـ في ضوء الروايات ـ عدّ كلّ ممارسة باسم الإمام الحسين عليه السلام من الشعائر الحسينية، ولا بدّ أن تنضوي ممارسة الشعائر تحت هذه الخطوط؛ كي تكون كما أرادها أهل البيت عليهم السلام، وبالتالي إصلاح ممارسة الشعائر الحسينية. ونستطيع تلخيص الخطوط العامّة للشعائر الحسينية فيما يلي:

١. الحفاظ على الخطّ الإلهي

الشعائر الحسينية تُعبّر عن علاقة إلهية وثيقة، وهي بعبارة أُخرى: نوع عبادة يجب

---

(١) المصدر السابق: ص٢٠٤.

الحرص على تأديتها بالشكل الصحيح وبنيّة خالصة، فلا بدّ أن تنطلق من الدافع الإلهي، وتبتعد عن جميع المسمّيات والنوايا التي لا تمتّ إلى الله تعالى بصلة، وهذا ما يُفهم من لسان روايات الشعائر وأدلّتها، فتلك الصرخات لا بدّ أن تخلص لأهل البيت عليهم السلام حتّى تكون مرحومة، والشعائر الحسينية لا بدّ أن يصدق عليها إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام حتّى يشملها حديث «**رحم الله مَن أحيا أمرنا**»[1]. فصحيح أنّ الشعائر الحسينية تهتمّ بإظهار الجزع ونشر مظاهر العزاء، لكنّ ذلك يجب أن يكون حزناً على مصاب الحسين للحسين عليه السلام.

وهكذا يجب أن تحافظ الشعائر على كونها طريقاً إلى الله؛ لأنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام دعوة إلى الله، فلا بدّ أن لا يبتعد إحياء ذكر الحسين عليه السلام عن هذا الطريق، كيف لا وقد قال أبو عبد الله عليه السلام لأخيه أبي الفضل العبّاس: «**ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة، وتدفعهم عنّا العشية، لعلّنا نُصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد كنتُ أُحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار**»[2].

٢. الحفاظ على الخلق الإسلامي

يؤمن الإمامية بأنّ الخُلق الإسلامي الرفيع تجسّد في أهل البيت عليهم السلام، وأنّهم الممثّلون الحقيقيون للإسلام، الذين حرصوا على الحفاظ عليه رغم كلّ الظروف والتحدّيات، ومما لا شكّ ولا ريب فيه أنّ الحكمة والموعظة الحسنة من أبرز خُلقيات الإسلام، وقد صرّح بها القرآن الكريم: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[3]، والشعائر مصداق للدعوة إلى الله؛ لأنها مصداق من مصاديق: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[4]، كما أنّ الإخلال في ممارسة الشعائر

---

(١) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج٨، ص٣٢٤.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج٤، ص٣١٧.
(٣) النحل: آية١٢٥.
(٤) الحج: آية٣٢.

الحسينية، واتّباع الهوى والخرافات، يكون شيناً على أهل البيت عليهم السلام ومُبعداً عنهم، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**حبّبونا إلى الناس ولا تبغّضونا إليهم**»[1]، وعنه عليه السلام أيضاً: «**معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا لنا شيناً، قولوا للناس حُسناً، واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضول وقبيح القول**»[2].

فإنّ الالتزام بالضوابط الشرعية في العزاء الحسيني يعني كمال ممارسته وأوج إصلاحه، كما أنّ الالتزام بالخُلق الحسيني في ممارسة الشعائر يعني استيفاء أهدافها.

٣ـ الحفاظ على إظهار المظلومية

تُشكّل العَبرة وإبراز المظلومية التي حلّت بالإمام الحسين عليه السلام نقطة مركزية في الشعائر الحسينية، ولا يمكن أن يحلّ محلّها شيء أبداً؛ لأنّ أساس الشعائر هو التذكير بالمصيبة التي جرت والمظلومية التي حلّت، فلا معنى لاستبدال البكاء أو إنشاد مجالس الإمام الحسين عليه السلام بأُمور أُخرى حتّى لو كانت عبادية، بل نجد إصرار أهل البيت عليهم السلام الواضح على إحياء الشعائر الحسينية، والتشجيع على إقامتها وبيان ثوابها وعظمتها، فعن أبي هارون المكفوف، قال: «**دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: ... يا أبا هارون، مَن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنّة. ثمّ جعل ينقص واحداً واحداً حتّى بلغ الواحد، فقال: مَن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنّة. ثمّ قال: مَن ذكره فبكى فله الجنّة**»[3].

وينقل المسعودي أنّ «**الكميت أتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي (رضي الله عنهم)، فأذن له ليلاً فأنشده، فلمّا بلغ من الميمية قوله:**

وقتيلٍ بالطّفِّ غُودِر منهم — بين غوغاء أُمّة وطغام

بكى أبو جعفر، ثمّ قال: يا كميت، لو كان عندنا مال لأعطيناك، ولكن لك ما قال

(١) الصدوق، محمد بن علي، صفات الشيعة: ص٢٨.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٤٤٠.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢١٠ـ٢١١.

رسول الله صلى الله عليه وآله لحسّان بن ثابت: لا زلت مؤيّداً بروح القدس ما ذَبَبْتَ عنّا أهلَ البيت»[1].

كما نجد تأكيد إظهار مظلومية الإمام الحسين عليه السلام في سيرة أهل البيت عليهم السلام، والتذكير بها دائماً، فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**بكى علي بن الحسين على أبيه حسين بن علي عليهما السلام عشرين سنة أو أربعين سنة**[2]**، وما وُضع بين يديه طعام إلاّ بكى على الحسين، حتّى قال له مولى له: جُعلت فداك يابن رسول الله، إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني لذلك عبرة»**[3].

٤. الحفاظ على الجانب الفكري

تمثّل الشعائر الحسينية في الوجه الآخر منها ارتباطاً فكرياً بالإمام الحسين عليه السلام وخطّه، والبراءة من خطّ أعدائه، والراضين بفعلهم، والمدافعين عنهم، وهذا يعني أنّ المعزّي والممارس للشعائر الحسينية لا بدّ أن يسير في الخط الفكري والعقدي الذي خطّه سيّد الأحرار عليه السلام، وبالنهاية البراءة ممّن ظلم آل البيت عليهم السلام. وهذا المعنى نجده في زيارات الإمام الحسين عليه السلام وروايات الشعائر.

عن معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «**ما أقول إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام؟ قال: قل: السلام عليك يا أبا عبد الله، صلّى الله عليك يا أبا عبد الله، رحمك الله يا أبا عبد الله، لعن الله مَن قتلك، ولعن الله مَن شرك في دمك، ولعن الله مَن بلغه ذلك فرضي به، أنا إلى الله من ذلك بريء»**[4].

ونجد التذكير بالجانب الفكري للشعائر بوضوح في النصّ الآتي:

«اللهمّ، إنّ كثيراً من الأُمّة ناصبت المستحفظين من الأئمّة، وكفرت بالكلمة،

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٣، ص٢٢٩.

(٢) يظهر أن الترديد من الراوي.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢١٣.

(٤) المصدر السابق: ص٣٧٤

وعكفت على القادة الظلمة، وهجرت الكتاب والسنّة، وعدلت عن الحبلين الذين أمرتَ بطاعتهما والتمسّك بهما، فأماتت الحقّ وجارت عن القصد، ومالأت الأحزاب، وحرّفت الكتاب، وكفرت بالحقّ لمّا جاءها، وتمسّكت بالباطل لمّا اعترضها، وضيّعت حقّك، وأضلّت خلقك، وقتلت أولاد نبيّك وخيرة عبادك، وحملة علمك وورثة حكمتك ووحيك»[1].

٥ـ الابتعاد عن الأهواء والعادات الخاطئة

ومن الأُمور التي تتعرّض لها شعائر الإمام الحسين عليه السلام إدخال بعض العادات الخاطئة والأهواء على أنّها جزء من الشعائر الحسينية، فإنّ إحياء ذكر الإمام لا بدّ أن يكون كالمرآة الصافية التي تعكس قيم وتعاليم عاشوراء، ولا بدّ أن تبقى روح العزاء وحقيقته سارية في جميع مفاصل مراسمه، والابتعاد عن كلّ ما يخلّ به، فعن مصقلة الطحّان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لمّا قُتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبية عليه مأتماً، وبكت وبكين النساء والخدم حتّى جفّت دموعهن وذهبت، فبينا هي كذلك إذ رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل، فدعتها، فقالت لها: مالك أنت من بيننا تسيل دموعك؟ قالت: إنّي لمّا أصابني الجهد شربت شربة سويق. قال: فأمرت بالطعام والأسوقة، فأكلت وشربت وأطعمت وسقت، وقالت: إنّما نُريد بذلك أن نتقوّى على البكاء على الحسين عليه السلام. قال: وأُهدي إلى الكلبية جؤناً[2] لتستعين بها على مأتم الحسين عليه السلام، فلمّا رأت الجؤن، قالت: ما هذه؟ قالوا: هدية أهداها فلان لتستعيني على مأتم الحسين، فقالت: لسنا في عرس، فما نصنع بها؟ ثمّ أمرت بهن فأخرجن من الدار...»[3].

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٨٤.

(٢) «الجؤن: كصرد، جمع الجوني، وهو ضرب من القطا». المازندراني، محمد صالح، شرح أُصول الكافي: ج٣، ص٢٣٥.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٤٦٦.

الأبعاد الإصلاحية للشعائر في الروايات

نبيّن تحت هذا العنوان نماذجَ من الإصلاحات التي بيّنها أهل البيت عليهم السلام بشكل خاصّ، والتي تدخل تحت عنوان إصلاح الشعائر الحسينية، ومن تلك النماذج ما يلي:

١ـ بيان خطأ فصل الشعائر عن أهدافها

إنّ الشعائر الحسينية ليست ممارسات خالية من الأهداف والمعاني، وكما عرفنا فإنّ أحد خطوط الشعائر هو الجانب الفكري والعقدي، وعلى هذا الأساس فإنّ ممارسة الشعائر دون الأخذ بنظر الاعتبار أهدافها وما توحي إليه من معنى، يعني فصلها عن أهدافها، فالبكاء على الإمام الحسين عليه السلام لا ينسجم مع مخالفته.

قال الإربلي في كشف الغمّة: «**ثمّ إنّ القوم استاقوا الحرم كما تُساق الأُسارى، حتّى أتوا الكوفة، فخرج الناس، فجعلوا ينظرون ويبكون وينوحون، وكان علي بن الحسين زين العابدين قد نهكه المرض، فجعل يقول: ألَا إنّ هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا؟! فمَن قتلنا؟!**»[(١)].

وهذا معناه أنّ البكاء أو ممارسة أيّ شعيرة أُخرى لا بدّ أن يكون مع موالاة أهل البيت عليهم السلام واتّباع منهجهم، ولا يكفي مجرّد التعاطف مع مصيبة الإمام.

٢ـ بيان الوجه الأفضل لأداء الشعائر

نلاحظ في جملة من الروايات توضيح أهل البيت عليهم السلام للوجه الأنسب للشعائر الحسينية والأُسلوب الأكمل، فعن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**يا أبا هارون، أنشدني في الحسين عليه السلام. قال: فأنشدته فبكى، فقال: أنشدني كما تنشدون ـ يعني بالرقّة ـ قال: فأنشدته:**

أُمرر على جدثِ الحسين ... فقل لأعظمه الزكية

---

(١) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة: ج٢، ص٢٦٣.

قـال: فبكـى، ثمّ قـال: زدني. قال: فأنشـدته القصيـدة الأُخرى. قال: فبكى، وسـمعت البكاء من خلف الستر...»[1].

وفي الرواية أمران:

الأول: إرشاد الإمام إلى الإنشاد كما ينشدون بالرقّة.

الثاني: وجود حاجز بين النساء رغم أنّهن من بيت الإمام والقارئ مكفوف.

وتظهر النقطة الثانية بوضوح من خلال هذه الرواية: روى أبو الفرج عن علي بن إسماعيل التميمي عن أبيه، قال: «**كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن آذنه للسيّد**[2]**، فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل فسلّم وجلس، فاستنشده فأنشده...»**[3].

وهـذا يعني تأكيد أهـل البيت عليهم السلام عدم الاختلاط بين الجنسين، حتّى لو كان في حضور المعصوم، فكيف في غيابه؟!

وتبيّن الرواية التالية الطريقة التي يُذكر بها الإمام الحسين عليه السلام، فقد أجاب الإمام الصادق عليه السلام عن سؤال الراوي: «**جُعلت فداك، إنّي كثيراً ما أذكر الحسين عليه السلام، فأيّ شيء أقول؟ فقال: قل: صلّى الله عليك يا أبا عبد الله، تعيد ذلك ثلاثاً، فإنّ السلام يصل إليه من قريب ومن بعيد»**[4].

كما أنّ المعصوم يُساهم بنفسه في إعداد الطعام في المأتم الحسيني من أجل تقوية المعزّين على الاستمرار بالعزاء، فعن عمر بن علي بن الحسين، قال: «**لمّا قُتل الحسين ابن علي عليه السلام، لبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهنّ الطعام للمأتم»**[5].

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠٨.

(٢) المقصود السيّد الحميري.

(٣) الإصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني: ص١٧٥.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٧٥.

(٥) البرقي، محمد بن أحمد، المحاسن: ج٢، ص٤٢٠.

٣ـ توظيف الطاقات والاستفادة منها في العزاء الحسيني

يلاحظ المتتبّع لروايات أهل البيت عليهم السلام أنّهم وظّفوا بعض الطاقات ذات العلاقة بإحياء الشعائر الحسينية في ذكر الإمام الحسين عليه السلام وإحياء أمره، وهذا يعني أنّ عزاء الإمام وإحياء أمره ليس مهنة مَن لا مهنة له، بل فضيلة وخدمة لا تقلّ عن الخدمات الأُخرى للإسلام الحنيف، بل لها الصدارة لو أُدّيت بشكلها الصحيح، ونلاحظ ذلك في الروايات التالية:

قال بشير بن حذلم: «**فلمّا قربنا منها** [أي: المدينة] **نزل علي بن الحسين عليه السلام، فحطّ رحله، وضرب فسطاطه وأنزل نساءه، وقال: يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟ فقال: بلى يابن رسول الله إنّي لشاعر. قال عليه السلام: فادخل المدينة وانعَ أبا عبد الله...**»(١).

وتؤكّد الرواية التي بين أيدينا عظمة خدمة الحسين عليه السلام وإحياء ذكره، فعن زيد الشحّام، قال: «**إنّ أبا عبد الله عليه السلام قال لجعفر بن عفان الطائي: بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد. قال: نعم، فأنشده، فبكى ومَن حوله حتّى سالت الدموع على وجهه ولحيته، ثمّ قال: يا جعفر، والله، لقد شهدك ملائكة الله المقرّبون ههنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، ولقد أوجب الله لك يا جعفر في ساعتك الجنّة بأسرها وغفر الله لك، فقال: ألا أزيدك؟ قال: نعم يا سيّدي. قال: ما من أحد قال في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى به إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له**»(٢).

٤ـ استمرار ذكر الإمام الحسين عليه السلام

يظهر من لسان مجموعة من الروايات تأكيد استمرارية ذكر مصيبة الحسين عليه السلام والمواظبة عليها، فعن داوود الرقي، قال: «**كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذا استسقى الماء،**

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٤٧.

(٢) العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٩٣ـ٥٩٤.

فلمّا شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثمّ قال لي: يا داوود، لعن الله قاتل الحسين عليه السلام، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام وأهل بيته، ولعن قاتله، إلّا كتب الله عزّ وجلّ له مائة ألف حسنة، وحطّ عنه مائة ألف سيّئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنّما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله عزّ وجلّ يوم القيامة ثلج الفؤاد»[1].

ونظير هذه الرواية كثير، وقد تقدّم بعضها.

النتيجة

ممّا تقدّم يظهر أنّ إصلاح الشعائر الحسينية في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام ينطلق من معرفة تاريخ الشعائر، وممارسة مراسم العزاء في ضوء أهداف الشعائر الحسينية، وأنّ الشعائر الحسينية لها خطوط عامّة لا يمكن لـمَن يُحيي ذكرى الحسين عليه السلام أن يتجاوزها. وفي النهاية تـمّ بيان نماذج من أوجه إصلاح الشعائر التي مارسها أهل البيت عليهم السلام.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٣٩١.

الإفراط والتفريط في التعامل مع الشعائر الحسينية

زهراء السالم*

مقدّمة

إنّ الإفراط والتفريط من الأُمور التي يُبتلى بها الإنسان في التعامل مع الكثير من الشؤون الحياتية، ولذا تطرّق القرآن الكريم إلى هذه المسألة، وأكّد اجتنابها، واتّخاذ الوسطية في السلوك على كافّة الأصعدة التي يواجهها الإنسان في حياته؛ الأمر الذي يجعلنا نعمّم دائرة هذا الأُسلوب القويم في التعامل مع الكثير من الأُمور، بما في ذلك الشعائر الحسينية التي لها الأهمّية البالغة في منظومة المذهب الشيعي وثقافته؛ ولذا ينبغي التعامل معها بالمنهج الوسطي الاعتدالي الذي بيّنه القرآن الكريم والسنّة الشريفة، والسعي إلى هدايتها نحو سلوك السبيل المطلوب؛ لنيل الأهداف السامية التي دعت لها رسالة النهضة الحسينية.

مفهوم الإفراط والتفريط

جاء في كتب اللغة أنّ الفَرَط هو: ما سبق من عمل وأجر، فالفارِط في العمل: مَن يسبِقُ القومَ إلى الماء مثلاً، والفارط في الأجر: هو جزاء الخير الذي يتقدّم الإنسان، كما جاء في الدعاء للذي فقد طفلاً صغيراً: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطاً**»، أي: أجراً يتقدّمنا حتّى نَرِدَ عليه[1]. أو قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**أنا فرطكم على الحوض**»[2]، أي: متقدّمكم

---

* باحثة إسلامية، من العراق.

(١) أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص٤١٩.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٢٦٩.

إليـه. وكذا قـول الإمام عـلي عليه السلام: «**نحن النجبـاء، وأفراطنا أفـراط الأنبيـاء**»[1]، أي: أولادنا الذين يموتون قبلنا أولاد الأنبياء[2].

ويقـال: «**فَرَطَ إلينـا من فلانٍ خيرٌ أو شرٌّ، أي: عَجِـلَ... والإفراط إِعجال الشيء في الأمر قبل التثبُّتِ، وأَفْرَطَ فلانٌ في أمره، أي: عَجِلَ فيهِ وجاوَزَ القدرَ... وكلّ شيءٍ جَاوَزَ قَدْرَهُ فهو مُفرِط، طولٌ مُفرِط، وقِصَرٌ مُفرِط**»[3].

وقد جاء في القرآن الكريم هذا اللفظ بهذا المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾[4]، «**أي: نخشى أن يتقدّم فينا بعذاب ويعجل علينا**»[5].

وخلاصة الأمر: أنّ الأصل الواحد في المادّة هو الخروج عن الحدّ المعيّن في العرف، ومن مصاديقه: التقدّم، والسبق، والتجاوز، والإسراف، والعجلة في أمرٍ فوق الحدّ اللازم[6].

هـذا إذا كان الفعـل المشـتق مـن المـادّة هو (أَفْـرَطَ)، ومصـدره الإفـراط، أمّا إذا اسـتُعمل الفعل بصيغة (فَرَّطَ)، فيكون المعنى مقابلاً للمعنى الأوّل، فيقال: «**فرَّط في الـشيء وفرَّطـه: ضيَّعه، وقدَّم العجز فيه**»[7]، ويكون مصـدره التفريط الذي هو عبارة عـن إخـراج الشيء عن حدِّه، وهذا يعني التقصير في حقّه، والتضييع لحدوده، وعدم رعايـة ما له من المقام. وتقرب منه مفاهيم: الترك، والتنحية، والكفّ ونحوها، ومنه قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[8]، أي: يا ندامتي على مـا ضيّعـت من ثواب الله، فإنّ التفريط إهمال ما يجب أن يتقدّم فيه حتّى يفوت وقته.

---

(١) المصدر السابق: ص٢٧٠.

(٢) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢٣، ص١٠٦.

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص٤١٩ـ٤٢٠.

(٤) طه: آية٤٥.

(٥) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٧، ص٢٦.

(٦) أُنظر: المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج٩، ص٦١.

(٧) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٧، ص٣٧٠.

(٨) الزمر: آية٥٦.

ومثله التقصير[1]، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾[2]، أي: قصّرتم في أمره[3]، أو قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[4]، «**أي: ما تركنا، وقيل معناه: ما قصرنا**»[5]، إلى غير ذلك من الآيات.

والنتيجة أنّ الفرق بين الإفراط والتفريط هو أنّ الإفراط يستعمل في تجاوز الحدّ من جانب الزيادة والكمال، والتفريط يستعمل في تجاوز الحدّ من جانب النقصان والتقصير[6].

الإفراط والتفريط في النصوص الدينية

لقد رسمت رسالة السماء الخطوط العامّة للتربية الإنسانية، بما في ذلك الابتعاد عن حالة الإفراط والتفريط، بل اهتمّت بهذا الجانب اهتماماً بالغاً؛ وذلك لما في هذين الأمرين من أخطار جمّة تحيط بالبشرية على مستوى الفرد والمجتمع، وكأنّ المسألة من الأهمّية بحيث لا يخلو شأن من شؤون الحياة منها، مادياً كان أو معنوياً.

فحينما نطالع كتاب الله (جلّ وعلا) نجد أنّ آياته زاخرة بألفاظ ومعاني الإفراط والتفريط، وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[7]، فالقرآن يدعو الناس لأن يمارسوا حياتهم ملبِّين كلّ ما تحتاج إليه أبدانهم من أكلٍ وشربٍ في نطاق طبيعتها، ولكن هذه التلبية للجسد لا بدّ أن تكون تحت رقابة العقل الذي لا يرتضي الإفراط والتفريط؛ ولذا يقول تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

---

(١) أُنظر: الطبرسي، محمد بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٨، ص٤٠٩.
(٢) يوسف: آية ٨٠.
(٣) الطبرسي، محمد بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٥، ص٤٤٠.
(٤) الأنعام: آية٣٨.
(٥) الطبرسي، محمد بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٤، ص٤٩.
(٦) أُنظر: الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: ص١٤.
(٧) الأعراف: آية٣١.

ونجد نفس النهي في السنّة الشريفة على لسان نبي الرحمة وأهل بيته عليهم السلام، فعنه صلى الله عليه وآله: «**إيّاكم وفضول المطعم، فإنّه يسمّ القلب بالفضلة، ويبطئ بالجوارح عن الطاعة، ويصمّ الهمم عن سماع الموعظة**»[1]، وعن الصادق عليه السلام: «**إنّ القصد أمر يحبّه الله عزّ وجلّ، وإنّ السرف أمر يبغضه الله، حتّى طرحك النواة، فإنّها تصلح للشيء، وحتى صبّك فضل شرابك**»[2]. هذا وكُتُب الحديث زاخرة بالنهي عن الإفراط في الأكل والشرب.

وجاءت السنّة مساندةً لكتاب الله، فنجد فيها على سبيل المثال ما قاله الإمام الباقر عليه السلام: «**لينفق الرجل بالقصد، وبلغة الكفاف، ويقدّم منه فضلاً لآخرته، فإنّ ذلك أبقى للنعمة، وأقرب إلى المزيد من الله عزّ وجلّ، وأنفع في العافية**»[3]. فمع أنّ الإنفاق من الأمور الإيجابية، فإنّ مراعاة الاعتدال فيه من الأُمور التي أوصت بها الشريعة الإسلامية؛ وذلك مراعاة للنظم العام الذي ينبغي أن يعمّ حياة الإنسان في مسير الكمال.

منشأ الإفراط والتفريط

لقد رسم الخالق (سبحانه) بعلمه المطلق وبحكمته البالغة البرنامج التربوي للإنسان بأحسن صورة ممكنة، بحيث يتلاءم هذا البرنامج مع طبيعته أولاً، ويؤدّي إلى سعادته وفلاحه ثانياً، فمن يريد أن يصل إلى السعادة والفلاح فما عليه إلّا أن يتّبع الدستور الإلهي في كلّ شؤون حياته، وممّا لا شكّ فيه أنّ البرنامج الإلهي الذي رسمته يد السماء خالٍ من الإفراط والتفريط، فما هو المنشأ لهذين الأمرين الخطيرين يا ترى؟

من الأُمور التي ينشأ منها الإفراط والتفريط ما يلي:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص١٩٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٢.

(٣) المصدر السابق.

العدد التاسع عشر ـ السنة الخامسة ـ ١٤٣٨ هـ ـ ٢٠١٧م

١ـ الجهل والغفلة

عندما يفتقر الإنسان إلى العلم اللازم في مسير حياته، سواء على المستوى الفكري أو السلوك التربوي، سوف يقع لا محالة في هفوات الإفراط أو التفريط؛ ولذا عُدّ الجهل من الأُمور الأساسية التي تنشأ منها الشرور؛ وذلك بما ينسجه لصاحبه من خيال بعيد عن الواقع، وعن الهدف المرجو في الحياة.

من هنا نجد الإمام عليعليه السلام يقول: «**لا ترى الجاهل إلّا مفرِطاً أو مفرِّطاً**»(١)؛ لأنّ الاعتدال والوسطية من شؤون العقل، والإنسان العاقل هو الشخص المتعادل في أفكاره وأقواله وسلوكه، بخلاف الإنسان الجاهل.

كما تكون الغفلة أيضاً من الأُمور المؤدّية إلى الإفراط والتفريط في الفكر والقول والسلوك، وهذا ما يُبتلى به الكثير من البشر، حيث يميلون عن الخط المستقيم من حيث لا يشعرون؛ ومن هنا يقول الإمام عليعليه السلام: «**كفى بالغفلة ضلالاً**»(٢)، كما وتعدّ قلّة الغفلة من شيم العقلاء، حيث يقولعليه السلام: «**شيمة العقلاء قلّة الشهوة، وقلّة الغفلة**»(٣).

٢ـ اتّباع الشيطان

ولعلّ هذه النقطة ليست ببعيدة عن سابقتها، فالشيطان كثيراً ما يستغلّ جهل الإنسان وغفلته، ويجد المنفذ للتسلّل والدخول على خط الإغواء، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم على لسان الشيطان نفسه، حيث يقول تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾(٤)؛ من هنا يوصي أمير المؤمنينعليه السلام الناس في إحدى خطبه المباركة بعدم اتّباع الشيطان: «**أوصِيكُم بتقوى الله الذي أعذرَ بما أنذرَ، واحتجّ بما نهجَ،**

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧٠، ص٤٧٩، تحقيق: صبحي الصالح.
(٢) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٣٨٥.
(٣) المصدر السابق: ص٢٩٨.
(٤) الأعراف: آية١٦.

وحذّركُم عـدوّاً نفذ في الصـدُورِ خفيّاً، ونفـثَ فِي الآذانِ نجيّاً، فأضَـلّ وأردى، ووعدَ فمنّى، وزيّن سيّئات الجرائم، وهوّن مُوبِقات العظائم...»[1].

٣ـ اتّباع الهوى

إنّ اتّباع الهوى من الأُمور التي تسـير بالفرد نحو اللاوسـطية؛ لأنّه لا يرتكز على قاعدة عقلية مسـتقيمة، سـوى اندفاعات عمياء تنشـأ من مصالح شخصية متقوقعة في دائـرة ضيّقـة، تحول دون الانفتاح على فهم الحـقّ والحقيقة والاعتدال؛ ولذا يقول تعـالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[2]، وكذا يقول تعـالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْ﴾[3]، والآيـة صريحة في بيـان المـراد، فمَن يتّبع الهوى يتجاوز مسير الحق والعدل والإنصاف[4]؛ ومن هنا يقول الإمام علي عليه السلام: «**أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ**»[5]، والصدود عن الحقّ سـوف يتّبعه الخروج عن النطاق المرسـوم، والوقوع في الفساد الذي يتمثّل في الميل إلى الإفراط أو التفريط، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[6].

كـما يربـط القرآن الكريم مسـألة الإفراط في الدين باتّباع أهـواء الآخرين ممّن لهم منافع شـخصية، فيحـذّر من ذلك بقولـه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[7].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة٨٣، ص١١٢، تحقيق: صبحي الصالح.
(٢) الكهف: آية٢٨.
(٣) النساء: آية١٣٥.
(٤) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٣، ص٣٠٣.
(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٤٢، ص٨٣ـ٨٤، تحقيق: صبحي الصالح.
(٦) المؤمنون: آية٧١.
(٧) المائدة: آية٧٧.

الاعتدال والوسطية

الاعتدال والوسطية بمعنى اختيار وسلوك الطريق الوسط، وعدم التمايل نحو طرفي الإفراط والتفريط، وقد ورد مفهوم الوسطية بألفاظ أُخرى: كالقصد والاقتصاد، أو الوسط، كما عرّف القرآن الكريم الأُمّة الإسلامية بأنّها الأُمّة الوسط ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1]، أي: «**جعلناكم أُمّة في حالة اعتدال، لا يشوبها إفراط ولا تفريط في كلّ جوانب حياتها**»[2]، أُمّة نموذجيّة بما عندها من عقيدة ومنهج.

ولذا؛ رسم القرآن هذه المنهجية المعتدلة في العديد من آياته، حيث نقرأ قوله تعالى الداعي إلى الاعتدال في المشي مثلاً: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾[3]، إذ «**القصد في الشيء: الاعتدال فيه**»[4]، وقوله تعالى الداعي إلى الاعتدال في الإنفاق: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[5]، كما يصف المؤمنين بأنّهم ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[6].

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام هم الروّاد الأوائل في تطبيق ما جاء به القرآن الكريم على أرض الواقع بما أنّهم القرآن الناطق في سلوكهم، فلقد كانت سيرتهم عليهم السلام زاخرة بالاعتدال والوسطية دائماً، حتّى قال الإمام علي عليه السلام معرِّفاً رسول الله صلى الله عليه وآله للأجيال بأنّ «**سيرته القصد**»[7]، وأنّه صلى الله عليه وآله كان يوصي الآخرين بذلك، كما في قوله صلى الله عليه وآله: «**يا أيّها الناس، عليكم بالقصد، عليكم بالقصد، عليكم بالقصد...**»[8].

---

(١) البقرة: آية١٤٣.
(٢) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١، ص٤٠٦.
(٣) لقمان: آية١٩.
(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٦، ص٢١٩.
(٥) الفرقان: آية٦٧.
(٦) الإسراء: آية٢٩.
(٧) نهج البلاغة: الخطبة٩٤، ص١٣٩، تحقيق: صبحي الصالح.
(٨) المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال: ج٣، ص٢٨.

أجل، لقد كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله القصد والاعتدال في كلّ أبعاد حياته، وهذا ما جاءت به رسالته المباركة، حتّى عُرف الإسلام بأنّه دين الوسطية والاعتدال، سواء على المستوى الفردي أو المستوى الاجتماعي، وقد دعا الإسلام إلى الاعتدال في العبادة على الرغم من كونها من أشرف المقولات، وأعظمها منزلة في الدين الإسلامي، حيث تجلّت هذه الدعوة في كلام رسول الرحمة صلى الله عليه وآله حين قال: «**إنّ هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، ولا تكرّهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع، ولا ظهراً أبقى**»[1]، أو ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض**»[2]، وفي غير باب العبادة يقول عليه السلام: «**إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد، وحسن التدبير، وجنّبه سوء التدبير والإسراف**»[3]، إلى غير ذلك من الأقوال في السنّة الشريفة.

وبخلاف ذلك كانت سيرة أعداء الله هي الإفراط أو التفريط في التعامل مع الكثير من شؤون الحياة، وتاريخهم واضح لكلّ متصفّح، وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى هذه الظاهرة في سياسة بني أُمية حين خاطب معاوية أمام الملأ قائلاً: «**ولقد فضلت حتّى أفرطت، واستأثرت حتّى أجحفت، ومنعت حتّى محلت، وجزت حتّى جاوزت ما بذلت لذي حقٍّ من اسم حقّه بنصيب، حتّى أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمل**»[4].

ما هي الشعائر؟

الشعائر: جمع شعيرة، وهي العلامة، والشعار: ما ينادي به القوم في الحرب

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٨٦.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٩٤، ص١٣٩، تحقيق: صبحي الصالح.
(٣) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج١٥، ص٢٦٦.
(٤) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٠٨.

ليعرف بعضهم بعضاً، فالشعار: هو العلامة في الحرب وغيرها؛ إذ إنّ أصل الإشعار هو الإعلام، وشَعَرْتُ به: أي علمته، وأشعرَ البدنةَ: إذا جَعَلَ فيها عَلامةً لتُعرف أنّها هدي[1].

«**وشعائر الله: الأعلام التي نصبها الله تعالى لطاعته، وجعلها مواطن لعبادته، فكلّ معلم لعبادة من دعاء، أو صلاة، أو غيرهما، فهو مشعر لتلك العبادة**»[2]. فماهيّة الشعار والشعيرة: علامة حسّية لمعنى من المعاني الدينية، وهي علامة وضعية تفيد الإعلام، فكلّ ما يُعلِم على معنى من المعاني الدينية، أو يدلّ على شيء له نسبة إلى الله عزّ وجلّ يسمّى شعيرة[3].

خصائص الشعائر الدينية

إنّ الشعائر ـ تبعاً لما قلناه سابقاً ـ عبارة عن علائم وإشارات تشير إلى عبادة الله تعالى وطاعته، أو تذكّر بوجوده وتعاليمه التي أودعها كأمانات تحملها البشرية، وقلنا: إنّه ليس هناك فرق بين أن تكون هذه الشعائر أماكن أو أفعال أو حتّى أشخاص.

إذن؛ الخصوصية الأُولى للشعائر أنّها علامات تشير إلى حقائق رفيعة تربطنا بالسماء وخالقها، لكن لا يعني ذلك أنّها علامات صرفة، فارغة من الحقيقة والمغزى، بل إنّها تتّصف بحقائق أيضاً، وهذا بالطبع لا يتنافى مع إظهارها لحقائق أُخرى لعلّها تكون أعظم وأجلّ من نفس حقائقها التي تحملها.

وأمّا الخصوصية الأُخرى للشعائر، فهي ظهورها وبروزها أمام الأعين، فماهيّتها هي العلانية؛ ولذا ينبغي أن تتجسّد على أرض الواقع بصورة واضحة يعلوها الصفاء والشفافية، ومن هنا نجد التأكيد على أنّ ذكر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ من الشعائر

(١) أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج١، ص٢٥١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٤، ص٤١٣. الزبيدي، مرتضى، تاج العروس: ج٧، ص٣٣.

(٢) الطبرسي، محمد بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١، ص٤٤٣.

(٣) أُنظر: السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٦٨.

التي ينبغي المواظبة عليها والجهر بها، وأنّ ذكرها إخفاتاً سوف يحول دون أن تكون شعاراً، فلا يترتّب عليها أثر في الخارج[1]. إذن؛ يجب أن يكون الظهور والعلانية مساوقين للشعائر؛ لكي يتحقق الهدف المطلوب منها، وهو تذكير الآخرين بتلك الحقائق الرفيعة التي يجب أن تُخلَّد بصورة أو بأُخرى.

ومن خصائص الشعائر الدينية أنّها سمات تُعرِّف هوية قوم ما أو مجموعة معيّنة، وتجعلها تتمايز من غيرها، فهي الهوية في منظومة الثقافة الدينية التي تعلن انتماء فرد أو مجموعة إلى طائفة معيّنة؛ وذلك لما تحمله من صبغة إشارية ورمزية، وهي لذلك من العوامل المهمّة في إيجاد الوحدة والانسجام بين أفراد المذهب الواحد أو الأُمّة الواحدة، كما أنّ من خصائصها أنّها الرمز الذي يعلن للجميع حياة المذهب واستمراريته، فما دامت الشعائر قائمة فإنّ نبض الحياة جارٍ في عروق ذلك المذهب أو تلك الأُمّة.

وعليه؛ ينبغي أن لا تضعف الشعائر أبداً، ولا يُخاف فيها الرياء؛ لأنّها هي العلائم والأوجه والسلوكيات الإسلامية، خصوصاً أنّنا نعلم أنّ بعض العبادات قد لوحظ فيها الجانب الجمعي، فإن امتُثِلت بصورة فردية فلا تؤدّي الهدف المرجو منها، من قبيل صلاة الجمعة والجماعة أو الحجّ؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾[2]، فالتأذين هو: الإعلام برفع الصوت لجمع الناس على عبادة جماعية يحصل فيها التعظيم لشعائر الله تعالى؛ ولذا نجد الإمام الصادق عليه السلام يعلّل تشريع الحجّ بقوله: «**فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا... ولتُعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله، وتُعرف أخباره، ويُذكر ولا يُنسى**»[3]، وكلام صادق العترة عليه السلام واضح في المقام.

---

(١) أُنظر: المطهري، مرتضى، المؤلّفات الكاملة (مجموعة آثار): ج٢٥، ص٢٦٥.

(٢) الحج: آية٢٧ـ٢٨.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١١، ص١٤.

الشعائر الحسينية وشعائر الله

بعـد أن عرّفنـا الشـعائر الدينيـة بأنّهـا كلّ مـا يذكّـر بالله تعـالى، ويكون واسـطة للوصـول إليه (جلّ وعلا)، نقـول: إنّ من الأُمور العظيمة التي تربطنا بالله تعالى هم أهل البيت عليهم السلام الذين اختارهم الله تعالى، وبيّن مقامهم في كتابه المنزل[1]؛ الأمر الذي جعلهم يتصدّرون قائمة شـعائر الله التي تُذكّر بدين الله، كيف لا وهم العدل الآخر للكتاب المبين؛ استناداً لقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ، وعـترتي أهل بيتي، ألا وهما الخليفتان من بعدي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[2].

هـذا إضافـة إلى مـا أفـاض به نبـيّ الرحمة صلى الله عليه وآله مـن أنّ أهـل بيته عليهم السلام من الشـعائر الموصلـة إلى الله (جـلّ وعـلا) بقوله صلى الله عليه وآله: «**مثل أهل بيتي مثل سـفينة نـوح، من ركبها نجـا، ومن تخلّـف عنها غرق**»[3]، وما الإمام الحسـين عليه السلام إلّا الشـخص الخامس لهذه الصفوة المختارة التي كانت وما زالت الوسيلة المهداة للأُمّة للخلاص من الضلال.

وقـد صرّح نفس الأئمة عليهم السلام بأنّهم من شـعائر الله، ومن ذلك مـا قاله الإمام زين العابدين عليه السلام في خطبته في الشام: «**أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى... وارث المشـعرين، وأبو السـبطين الحسن والحسـين**»[4]. ومن الواضح أنّ المقصود ليس وراثة تلك الأماكن المقدّسـة، بل وراثة ما تحتويه تلك الأماكن من شـعائر تُذكّر بالله تعالى وبتعاليمه السماوية.

يضاف إلى ذلك، أنّ محبّة الشيء تستلزم ـ ضرورة ـ محبّة آثاره وآياته وإظهار ذلك، «**ورسـول الله صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى من أهل بيته عليهم السلام هم من أجلى الآيات، وأبين شـعائر الله؛**

---

(١) وذلك من خلال الكثير من الآيات، كآية التطهير في سورة الأحزاب: آية ٣٣، وآية المباهلة في سورة آل عمران: آية ٦١، وغيرهما.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٥٠٠.

(٣) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٢، ص٣٤٣.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٨ـ١٣٩.

لذلك فإنّ حبّهم حبّ له سبحانه»(1)، بل وكلّ ما يرتبط بهم عليهم السلام من أُمور يُعدّ من شعائر الله ومعالمه التي تُذكِّر به وبتعاليمه، ولقد أراد سبحانه أن تعظَّم منزلة هذه الثلّة، وتُرفع بيوتها(2)؛ لتصبح من شعائره الرصينة.

تاريخ الشعائر الحسينية

يعود تاريخ الشعائر الحسينية إلى يوم شهادة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأصحابه في عصر عاشوراء، حيث بدأ نياح بنات الرسالة على حُماتهن الصرعى على رمضاء كربلاء، وعلى فقدهن الستر والخدر بعد حرق الخيام ونهبها وسلبها، فقد مضت ليلة الحادي عشر من المحرّم بين البكاء والحنين، والندب والأنين. يقول الشاعر:

فترى اليتامى صارخين بعولة ... تحثو التراب لفقد خير إمام

وتقمنَ ربّاتُ الخدور حواسراً ... يمسحن عرض ذوائب الأيتام

وترى النساء أرامـلاً وثواكلاً ... تبكين كلّ مهذّب وهمام(3).

وتكرّر المشهد هذا في كثير من المراحل التاريخية التي مرّ بها الركب الزينبي، فقد أُقيمت المآتم من قِبَل بنات الرسالة في الشام، وتُشير الأخبار إلى مشاركة نساء الشام فيها، بما فيهن زوجة يزيد(4)، وكذا ما أُقيم من مأتم على قبور الشهداء في كربلاء حين رجوع السبايا من الشام، حيث وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وجمعاً من بني هاشم، فتلاقوا باللطم والبكاء والنياح على أبي عبد الله الحسين عليه السلام(5)، ومآتم النياح والعويل على الحسين عليه السلام وأهل بيته في المدينة، فعندما ورد نبأ مقتل شهداء كربلاء

---

(1) الطباطبائي، محمد حسين، مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي: ص٣٦٨.

(2) أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى أنّ بيوت أهل البيت عليهم السلام من مصاديق قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، بل أضاف أنّها من أفاضلها. اُنظر: السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور: ج٥، ص٥٠.

(3) اُنظر: ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٩٥.

(4) اُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٥٦.

(5) اُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٤٦.

أُقيمت المآتم هناك من قِبَل الهاشميين كعبد الله بن جعفر[1]، والصحابيات كأُمّ سلمة رضي الله عنها وغيرها، ويعبّر التاريخ بأنّه لم تُسمع واعية مثل واعية بني هاشم آنذاك[2].

وهكذا استمرّت ظاهرة المآتم في التاريخ، واتّسمت بأنّها من الشعائر بإمضاء أهل البيت عليهم السلام، بل تشجيعهم على ذلك، فقد دوّن لنا التاريخ المآتم التي كانت تُقام من قِبَل أئمّة الهدى عليهم السلام على جدِّهم الحسين عليه السلام، إضافة إلى الشعائر الأُخرى، كلبس السواد، وإعلان الحداد، وكان للإمام زين العابدين عليه السلام وللفاطميات الدور الكبير في ذلك، فعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: «... **وما اختضبت منّا امرأة، ولا ادّهنت ولا اكتحلت ولا رجلت، حتّى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عَبرة بعده، وكان جدّي إذا ذكره بكى حتّى تملأ عيناه لحيته...**»[3]، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يصنع الطعام لمأتم الفاطميات[4]؛ كلّ ذلك وغيره يشير إلى تاريخ الشعائر الحسينية ونشوئها منذ ذلك الحين على اختلاف المصاديق وتنوّعها.

مصاديق الشعائر الحسينية

لقد تعدّدت مصاديق الشعائر الحسينية عِبر الزمن؛ وذلك تبعاً لما تقتضيه الفطرة الإنسانية، كالبكاء مثلاً، أو يقتضيه العُرف ويمضيه العقل والشرع، كاللطم على سبيل المثال، ونستعرض هنا بعض مصاديق الشعائر الحسينية المباركة.

البكاء على الحسين عليه السلام

البكاء من حالات النفس الإنسانية التي تظهر حين التفاعل مع أمرٍ ما، فتجري دموعه، سواء لحزنٍ أو لشوقٍ أو لفرحٍ أو ما شابه ذلك، وقد أيّد القرآن الكريم هذه

(١) أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨٩.
(٢) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٢٣.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٦٧ـ١٦٨.
(٤) أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣، ص٢٣٨.

الحالة الفطرية عند الإنسان، فوصف بعض الأنبياء بذلك، كالنبي يعقوب عليه السلام حين بكى لفراق ابنه: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾(١)، كما وصف المؤمنين بالبكاء في محراب العبادة: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾(٢)، وكيف أنّهم يذرفون الدموع عند سماع الحقّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾(٣)، وحين لا يجدون ما ينفقون في سبيل الله تعالى: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾(٤)، إلى غير ذلك من الآيات في هذا الخصوص.

وكذا بالنسبة لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، فلقد ذكر لنا التاريخ بعض المواقف المؤيِّدة للبكاء على الميّت، بل الداعية له، كما جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله حين بكى على عمّه حمزة رضي الله عنه، ودعا للبكاء عليه بقوله: «**لكن حمزة لا بواكي له اليوم**»(٥)، كما ينقل التاريخ عن سيّدتنا فاطمة عليها السلام حين سمعت بمقتل جعفر بن أبي طالب، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تبكي وتقول: «**وا عمّاه!**»، فقال رسول الرحمة صلى الله عليه وآله: «**على مثل جعفر فلتبكِ البواكي**»(٦).

وكذا في عاشوراء، فقد ذكرنا أنّه قد ارتفعت أصوات البكاء، وجرت دموع الفاطميات ومَن معهنّ في خيام الحسين عليه السلام منذ أوّل لحظات استشهاد تلك الكوكبة الطاهرة، وتجدّدت حرقة القلوب التي ترجمتها الدموع من قبل الركب الزينبي، حين مرّوا به على جثامين الشهداء وهي مضرّجة بالدماء.

كما بكى أهل الكوفة بمرأى المعصوم عليه السلام، وذلك حينما شاهدوا أُسارى آل

---

(١) يوسف: آية٩٢.
(٢) الإسراء: آية١٠٩.
(٣) المائدة: آية٨٣.
(٤) التوبة: آية٩٢.
(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢٠، ص٩٩.
(٦) المصدر السابق: ج٢٢، ص٢٧٦.

محمد صلى الله عليه وآله، وحينما سمعوا خطبة الحوراء عليها السلام، وغيرها من الفاطميات، وعمّ النياح في الوسط الكوفي من هول الفاجعة التي نزلت بهم، وما رأوه ممّا جرى على أهل البيت عليهم السلام(١)، واستمرّت هذه الحالة مدّة إقامة أُسارى آل الرسول صلى الله عليه وآله هناك، وإن كان ذلك البكاء قد زاد من آلام الإمام زين العابدين عليه السلام والسيّدة زينب عليها السلام؛ لما لاقوه من الغدر والخيانة.

وبكى الناس في مجلس يزيد في الشام، وذلك عند سماع خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام(٢)، وغير ذلك من المواقف التي مرّ بها الركب الزينبي من الوقوف في كربلاء، والرجوع إلى المدينة، واستمرّ حال النياحة والبكاء حتّى ثلاث سنين، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**نيح على الحسين بن علي سنة في كلّ يوم وليلة، وثلاث سنين من اليوم الذي أُصيب فيه، وكان المسور بن مخرمة وجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يأتون مستترين متقنّعين فيستمعون ويبكون**»(٣).

ويكفينا شاهداً في المقام ما قاله الإمام الرضا عليه السلام لابن شبيب: «**يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابكِ للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه ذُبح كما يُذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله**»(٤).

الشعر الحسيني

كان وما زال الشعر من الفنون المهمّة في حياة الإنسان؛ وذلك لما يتضمّنه من ألفاظٍ تحمل في طياتها معاني عظيمة، تثير العواطف في النفوس، وما يحتويه من أوزان وقوافي تؤجّج المشاعر والأحاسيس من فرح وسرور، أو حزن وأسى، أو غير ذلك

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص٣٢١.
(٢) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٩.
(٣) المصدر السابق: ج٧٩، ص١٠٢.
(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٩٢.

من الانفعالات التي تصدر من النفس الإنسانية؛ ولذا يُعدّ الشعر من أهمّ وسائل الإعلام والتبليغ، وخاصّة على المستوى الشعائري، فقد ذكرنا فيما سبق أنّ الأراجيز التي كانت تُنشد في الحروب هي من أهمّ الشعائر والعلامات لكلّ فئة تريد أن تُعلن وجودها وطريقها وهدفها.

وقد أمضى النبي صلى الله عليه وآله ظاهرة الشعر، حيث استأذنه حسّان بن ثابت لينشد شعراً في فتح خيبر، فأذن له الرسول صلى الله عليه وآله(١)، كما أذن له في واقعة الغدير(٢)، إضافة إلى ما أفاده صلى الله عليه وآله حينما سُئل عن الشعراء فأجاب: «**إنّ المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنّما ينضحونهم بالنبل**»(٣).

وكان للشعر في واقعة كربلاء الوقع الكبير في النفوس، سواء على مستوى الأراجيز التي نُسبت إلى أصحاب الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، أو لـمَن أنشد في كربلاء وواقعتها فيما بعد، وهذا ما حثّ عليه أهل البيت عليهم السلام؛ إحياءً للشعائر الحسينية، وتخليداً لثورة كربلاء ومضامينها وقيمها، وإعلاناً لمظلومية سيّد الشهداء عليه السلام وكوكبته الطاهرة، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «**مَن أنشد في الحسين بيتاً من الشعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنّة، ومَن أنشد في الحسين بيتاً فبكى، وأبكى تسعة فله ولهم الجنّة، فلم يزل حتّى قال: مَن أنشد في الحسين بيتاً فبكى، وأظنّه قال: أو تباكى(٤)، فله الجنّة**»(٥)، أو ما جاء عنه عليه السلام حين سأل أحد أصحابه: «**بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد؟ قال: نعم. فأنشده، فبكى ومَن حوله حتّى سالت الدموع على وجهه ولحيته**»(٦).

وكذا ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام حين أنشده دعبل الخزاعي قصيدته التائية

---

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج١، ص٦٤.

(٢) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٦٧٠.

(٣) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٧، ص٣٦٠.

(٤) يظهر أن الترديد من الرواي.

(٥) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٩٦.

(٦) المصدر السابق: ج١٤، ص٥٩٤.

التي حظيت باستقبال الإمام عليه السلام واستدرّت دموعه المباركة وهو يستمع لقوله:

أفاطم لو خلت الحسين مجدّلاً	وقد مات عطشاناً بشطّ فرات
إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده	وأجريت دمع العين في الوجنات[1].

فأخذ عليه السلام يرصّع تلك القصيدة ببيتين من وحيه الكريم، ودفع لدعبل مقداراً من المال شكراً وتقديراً له[2].

لبس السواد

إنّ لبس الأسود كان وما زال أمراً عرفياً في المجتمعات حين فقدِ عزيزٍ ما، وهو أمر يؤيّده جميع العقلاء، ويعملون به على مرّ التاريخ؛ وذلك إعلاناً للحزن والحداد، وإظهاراً للفجيعة والنكبة، خاصّة أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يُظهرون حزنهم وأساهم في أيام شهر محرّم، ويغلب عليهم الشجن والاكتئاب، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «**كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام**»[3].

وقد اعتاد أبناء الطائفة الشيعية أن يرتدوا السواد في شهري محرّم وصفر، أو يرفعوا الأعلام السوداء، أو يكسوا بيوتهم وطرقاتهم باللّون الأسود؛ إعلاناً للفاجعة التي أُصيب بها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وهو أمر أيّده الشارع المقدّس، حيث كان بمرأى من المعصومين عليهم السلام، فقد ورد في الأخبار المروية: «**لـمّا قُتِل**

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٥٧.

(٢) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٢٩٥. وكانت أبيات الإمام عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة	توقد في الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً	يفرّج عنّا الهمّ والكربات

(٣) الصدوق، محمد بن محمد، الأمالي: ص١٩١.

الحسين بن علي عليه السلام لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حرٍّ ولا برد، وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهن الطعام للمأتم»[1]؛ ومن هنا عُدّ لبس السواد على الإمام الحسين عليه السلام من الشعائر الحسينية التي تحيي ثورة كربلاء، وتثير في النفوس الحزن على مظلومية السبط عليه السلام وأهل بيته، كما وتوحِّد أبناء الطائفة، وتُعلِن للعالم أنّ نبض الحسين عليه السلام ما زال يخفق في قلوب شيعته ومحبِّيه.

اللّطم

اللّطم من علائم إظهار الحزن على الفقيد، وهو أمر يعود إلى العرف والعادات والتقاليد لدى الشعوب؛ إذ من الناس مَن يعتبره طريقة من طرق العزاء التي يمكن للفرد أن يعبِّر بها عن حزنه وجزعه في المصاب، وقد اتّخذ بعض أتباع المذهب الشيعي هذه الظاهرة وسيلة للتعبير عن حزنهم على سيّد الشهداء عليه السلام؛ رجاءً للأجر والثواب المترقّب من الحبِّ والولاء لأهل البيت عليهم السلام.

وقد عُدّ اللطم من الشعائر الحسينية استناداً إلى إمضائه من قِبَل أهل البيت عليهم السلام أوّلاً، وإجماع علماء الشيعة وفقهائهم ثانياً، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليهما السلام، وعلى مثله تُلطم الخدود**»[2].

هذه وغيرها من مصاديق الشعائر الحسينية، كمجالس العزاء وما فيها من الأُمور المحبّذة عند أهل البيت عليهم السلام، وفيها إحياء لأمرهم عليهم السلام كما يعبِّر الإمام الصادق عليه السلام[3]، أو زيارة الإمام الحسين عليه السلام وما ورد فيها من فضل وأجر[4]، إلى غير ذلك من الشعائر الحسينية المقدّسة التي ارتأينا عدم ذكرها خوفاً من الإطناب في هذا المقال.

---

(١) أُنظر: الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣، ص٢٣٨.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٨، ص٣٢٥.

(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٨٢.

(٤) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٢٥. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٩٢. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٢، وغير ذلك.

آثار الشعائر الحسينية

تتّسم الشعائر بأنّها علامات تشير إلى حقائق سامية، وأنّها ذات ماهيّة علنية تبيّن هوية الفرد والمجتمع، وتُعلن وجوده وديمومته، ولها الأثر البالغ في حياة الإنسان وسلوكه وأهدافه، وهذا ما سنتعرّض له في هذه السطور؛ لبيان أهمّ الآثار التربوية للشعائر الحسينية، ومنها:

١ـ ترسيخ التقوى في القلوب، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1]، فمَن يعظّم شعائر الله بكلِّ مصاديقها فإنّ ذلك من علامات تقوى القلب؛ لأنّ النيّة الخالصة وقصد القربة من الأُمور الأساسية المحرّكة والدافعة نحو أداء الشعائر، ولا تتحقّق هذه الفضيلة الدينية القويمة إلّا من أصحاب القلوب المتّقية الورعة[2]، ولا شكّ في أنّ الشعائر كلّما ازداد فيها الإخلاص أعطت ثمارها بصورة أفضل في تربية النفس الإنسانية على الورع والتقوى، فلا يخفى على أحد ما تتركه الشعائر من زيارة وبكاء من أثر في سكون الروح وطمأنينتها؛ الأمر الذي يعطيها السلامة في اختيار المسير الحقّ ومقارعة الشيطان ووساوسه.

٢ـ إحياء روح المبارزة، والوقوف ضدّ الظلم والطغيان، والشعور بحسّ الدعوة للعدالة، فالإمام الحسين عليه السلام هو الرمز البارز لمقارعة الظلم والفساد، والعَلم الظاهر للصمود والإباء، فإنّ في إحياء شعائر ثورته المباركة سوف تحيا روح الحميّة الإسلامية[3]، وسوف تجري دماء الجهاد والشهادة في شرايين المظلومين، ليرجِّحوا الموت في عزّة وإباء على الحياة الدنيّة مع الطغاة، وهذا ما رسمه سيّد الأحرار بدمائه الزكية على لافتات التاريخ البشري.

---

(١) الحجّ: آية ٣٢.
(٢) أُنظر: جوادي آملي، عبد الله، تفسير تسنيم: ج٨، ص٣٨.
(٣) أُنظر: السبحاني، علي أكبر، رسائل ومقالات: ج٢، ص٣٨٣.

٣ـ إحياء روح المسؤولية تجاه الدين وقضايا المسلمين، فلقد كانت ثورة أبي الأحرار عليه السلام صرخة لإيقاظ المسلمين من سباتٍ عمّ الأُمّة في تلك الحقبة الزمنية، حتّى وصف الإمام عليه السلام تلك المأساة بقوله: «**فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت**»(١)، ويجب أن تبقى هذه الصرخة مدويّة في أُذن التاريخ دائماً، حتّى تستمرّ تلك اليقظة التي سجّلها السبط عليه السلام بدمائه وبتضحياته في ضمير الأُمّة الإسلامية ووجدانها، فإنّ سباتنا يجعل الإسلام في معرض الانحراف الذي يتربّصه العدو، فعلينا إذن أن نجدّ في إحياء الشعائر الحسينية لتتحقق آثارها، بما في ذلك إيجاد روح اليقظة أو استمرارها، حتّى يبقى الدين الإسلامي عزيزاً لا يرتضي الذلّ، ومُصاناً لا يقبل التحريف.

٤ـ إحياء جميع القيم الأخلاقية، فإنّ نهضة عاشوراء لم تكن لتقتصر على البُعد الديني والسياسي فحسب، بل كانت تجسيداً لكلّ القيم الأخلاقية التي نادت بها الفطرة الإنسانية السليمة؛ الأمر الذي جعلها مدرسة للأجيال على كافّة الأصعدة التربوية، فكانت بقائدها الحسين عليه السلام، وبعناصرها أجمع، النموذج الكامل، والأُسوة الحسنة في الأخلاق الإنسانية الراقية، والمبادئ السامية، من تضحية وفداء، وصبر وثبات، وصدق وأمانة، وكرم وإحسان، وعفوٍ وصفح، وتواضع وطيبة، وعفّة وحجاب، وكلّ ما يسع مفهوم المبادئ من مصاديق يمكن الوقوف عليها في كلّ محطّة من محطّات كربلاء، وهذه الأُمور إنّما تحيا وتُرى آثارها في إحياء الشعائر الحسينية وديمومتها، ولذا نرى التأكيد من قِبَل أئمّتنا الأطهار عليهم السلام على إحياء هذه الشعائر، والوعد بالأجر والثواب لكلّ مَن قام بها؛ لما لها من تأثير كبير في بناء النفس الإنسانية وتزكيتها.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٦.

النتائج المترتبة على الإفراط والتفريط في الشعائر

١ـ تأصيل الشعائر وتغييب الأهداف

ذكرنا سابقاً أنّ الشعائر علامات تشير إلى حقائق عظيمة، وتلك الحقائق هي التي تتّسم بالأصالة، وما الشعائر بالنسبة لتلك الحقائق إلّا وسيلة كباقي الوسائل التي تكون في خدمة الحقائق الكبرى، ففلسفة وجود الشعائر هي الإرجاع إلى تلك الحقائق المتسامية؛ لذا ينبغي الالتفات إلى عدم اكتساب هذه الوسائل صبغة الأصالة، بحيث تصبح لها موضوعية أكثر وأكبر من الحقيقة المشار إليها، وهي القضية الحسينية بكلِّ ما تحمله من أبعاد رسالية عظيمة، وهذا خطر نواجهه هذه الأيام.

والعكس من ذلك خطير أيضاً؛ إذ إنّ التفريط في التعامل مع الشعائر الحسينية، والنظر إليها بصفتها أُموراً سطحية، وأنّها مجرّد طقوس تقليدية قديمة، سوف يحول دون نيل الكثير من أهداف الشعائر الحسينية، ويؤدّي إلى فتور حرارة الدماء التي سالت في كربلاء، ونسيان قيم عاشوراء العظيمة، مع أنّ أهمّ وظيفة للشعائر هي إحياء الحقائق التي ينبغي الإشارة إليها، والعزف على وترها؛ حتّى لا تُنسى، وإنّما تبقى حيّة يقظة على مرّ التاريخ.

٢ـ فقدان المنهجية في الشعائر وتشتّت الرؤى

من الأهداف التي لوحظت في إقامة الشعائر، إيجاد الوحدة والانسجام الاجتماعي بين المسلمين عامّة، وبين أبناء المذهب خاصّة، أمّا إذا كانت الشعائر عديمة البصيرة في منهجيّتها، فاقدة للمدى البعيد من الغايات والأهداف المتوخّاة، فإنّها سوف تذهب بالمجتمع نحو التشتّت والتفرقة، وستصبح مناقضة لنفسها؛ إذ إنّ أحد أهداف إقامة الشعائر هو وحدة أبناء الأُمّة وأتباع المذهب وانسجامهم، الأمر الذي أكّده أئمّتنا الأطهار عليهم السلام، كما في قول الإمام الصادق عليه السلام لخيثمة: «**أبلغ موالينا**

السلام، وأوصهم بتقوى الله والعمل الصالح، وأن يعود صحيحُهم مريضَهم، وليعد غنيّهم على فقيرهم، وليحضر حيّهم جنازة ميّتهم، وأن يتألّفوا في البيوت، ويتذاكروا علم الدين، ففي ذلك حياة أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا»[1]. فقول الإمام عليه السلام هذا مدعاة للانسجام والتآلف بين شيعتهم ومحبِّيهم.

عندما يتسلّل الإفراط إلى منهجية الشعائر ورسومها أوّلاً، ولا تركن إلى دعائم من الشريعة الإسلامية ثانياً، فسوف يحدث الجذب والشدّ، والتعاطي السلبي بين أبناء الأُمّة الواحدة؛ ممّا يؤدّي إلى تشتت القول واختلاف الرؤى، وهذا ما يحول دون انسجام أبناء المذهب الذين هم بأمسّ الحاجة إلى ذلك؛ لما يهدّدهم من هجمات عدوانية من نفس أتباع دينهم، فضلاً عن الأديان الأُخرى.

وعكس هذا غير صحيح أيضاً، فالتفريط في منهجيّة الشعائر، والاقتصار على الأساليب التقليديّة الموروثة، سوف يجمّد حركة الشعائر، ويحبسها في دائرة مغلقة، في حين أنّ الشعائر لها ارتباط وثيق بالعرف[2] والثقافة ومقتضيات الزمن وتطوراته، الأمر الذي يدفعنا بشجاعة لنوسّع دائرة نشر وترويج الفكر الحسيني على كثير من الأصعدة، وبأساليب جديدة ممنهجة وموافقة للشرع والعقل، كاستخدام الرسوم، وإقامة المعارض والمهرجانات على كافّة الأصعدة الإعلامية، من تمثيل أو إنشاد للأشعار أو كتابة مقالات علمية أو غير ذلك، وهذا بدوره سوف يبثّ روح الحركة والنشاط في الوسط العلمي والثقافي للمجتمع، ويدفعه للعمل بإخلاص مترقباً رضا حجّة الله عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ومتطلّعاً لظهوره.

٣ـ هُلاميّة بعض الممارسات الشعائرية واستحسان العوام

لقد سجّل التاريخ ما قام به العوام من الإفراط في التعامل مع التعاليم الدينية،

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٨، ص٢١٩.

(٢) أُنظر: السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٧٠.

العدد التاسع عشر ـ السنة الخامسة ـ ١٤٣٨ هـ ـ ٢٠١٧م

ومـا أنتـج من أسـاطير خطـيرة أدّت إلى فقدان المحتـوى والمغزى الـذي تحمله تلك التعاليـم، ولم ينشـأ ذلك إلّا للميل الشـديد عنـد بعض النـاس إلى صناعة الخرافات والأسـاطير تبعـاً لأهوائهـم أو منافعهم؛ ولذا نجد القـرآن الكريم يؤكّـد كثيراً هذه الحقيقـة، حيث يقول تعـالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[1].

وليـس لأهـل الكتـاب خصوصيـة في المقـام، فالإفـراط في التعامل مـع التعاليم الدينية، وصناعة الشعائر واستحسانها ظاهرة مرّت بها أكثر الأديان والمذاهب، حتّى فاقـت الحدّ المتصـوّر، كصناعة الأوثان وعبادتهـا، أو الغلو في الرسـل وإيصالهم إلى حـدّ التأليه، ومن ذلك ما قاله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2]، فقـد وصـل الأمـر بقومه أن يعتقـدوا أنّه وأُمّه إلهـان، أو يعظّموهمـا تعظيم الآلهة، فأُطلق اسـم الآلهة عليهما، كما أُطلق اسـم الربّ على الرهبان والأحبار لـمّا أفرط النصارى في تعظيمهم[3]، يقول تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4].

ولم يُستثنَ مجتمعنا من هذه الظاهرة المشؤومة، فنحن نواجه أحياناً نوعاً من أنواع الممارسـات التي أُسّسـت من دون جذور تاريخية أو قواعد أُصولية، بغض النظر عن الوجهة الشرعية؛ الأمر الذي يجعلنا نقف أمام هذه الممارسات الهلامية الخيالية، وهي عبارة عن طقوس ارتأتها السـليقة العامّية، فوجدت رسميّتها في الوسط الاجتماعي، وسدّت باب الإشكال والشبهة عليها.

والعكس خطير أيضاً، فالتفريط في التعامل مع الشعائر وعدم الدفاع عن أصالتها

(١) النساء: آية١٧١.

(٢) المائدة: آية١١٦.

(٣) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٣، ص٤١٤.

(٤) التوبة: آية٣١.

ومشروعيتها، وعدم الوقوف أمام الاندفاع الإفراطي للعوام، سوف يجعلنا أمام ظاهرة البدع والانحرافات التي يصعب التغيير أو الإصلاح فيها، بل يستحيل في بعض الأحيان، فوظيفة الجميع ممّن له العلم الكافي والقدرة والحنكة والذكاء أن يتصدّى لهذه الأباطيل التي هي مصاديق للمنكر الذي أمرنا الله تعالى أن نواجهه بكلِّ ما استطعنا، خاصّة أنّنا أبناء الأُمّة المقتصدة والوسطى والخير، بدليل قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[(١)]، وكذا ما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولَّى عليكم شراركم، ثمّ تدعون فلا يُستجاب لكم**»[(٢)]، ولا ننسى أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأهداف العظيمة التي قام من أجلها سيّد الشهداء عليه السلام قائلاً: «**إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**»[(٣)].

٤ـ محورية الشعائر وتهميش الدين

من المهمّ جدّاً أن تُراعى مسألة المحورية في الدين؛ إذ عندما يقوم الدين على محورية غير أصيلة، وإنّما هي مجرّد وسيلة، سوف نواجه آنذاك ظاهرة التديّن القشري، فتصبح الوسيلة هي الغاية، وهذا أمر خطير في حدِّ ذاته.

فإن غلبت الشعائر على الوسط الاجتماعي بصور إفراطية، فسوف يتحوّل الدين إلى مجرّد شعائر ومناسك، وسوف يُسعى للحفاظ عليها، وكأنّها هي الدين نفسه، ولا يُرجّح آنذاك أيّ مرجِّح عليها؛ لأنّها أصبحت هي المحور، وهي الخطوط الحمراء في الدين، بل أصبحت هي الميزان الذي يُقاس به الإيمان والكفر.

---

(١) آل عمران: آية ١١٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٩٤، ص١٣٩، تحقيق صبحي الصالح.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

نحـن لا نريـد أن نقلّل من شـأن الشـعائر وأهمّيتها، بـل ما نريد أن ننبّـه عليه هو مراعاة الأهمّ والمهم، فالدين ورسالته وما يحمله من قيم وأهداف ورؤى هو الأهمّ، وهو المحور، وهو العرش الذي يمكن النقش عليه، والشـعائر هي إحدى الوسـائل التي ينبغي أن تكون في خدمة الدين وتثبيت أركانه.

وبالعكـس مـن ذلك، فإنّ التفريط في الشـعائر، وعدم الاهتمام بهـا، والنظر إليها بصفتها أُموراً مرجوحة وفرعية، سوف يجعلنا أمام محذورين خطيرين:

الأوّل: ما يتردّد على ألسنة البعض هذه الأيام من أنّ الحسين عليه السلام لا يريد بكاءً ولا لطـماً ولا أُمـوراً من هذا القبيل، بل مـا يريده عليه السلام هو قلب صـافٍ وطاهر، وهذا أمر في غايـة الخطـورة، يجعل الإنسـان المؤمن الواعي يتذكّر مـا كان يبتغيه المرجئة من أنّ الإيـمان يجب أن يكون في القلب، ولا حاجة إلى العمل[1]، وهو الأمر الذي حذّر منه أئمّتنـا الأطهار عليهم السلام، فقـد ورد عن صادق العترة عليه السلام: «**بـادِرُوا أولادَكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المُرجِئة**»[2]؛ وذلك لما تحمله هذه الطائفة من عقائد خطيرة، فالإيمان بالحسـين عليه السلام وبرسـالته إنّـما ينتفع به الإنسـان إذا تجلّى في عمله وسـلوكه، وليس في فكره واعتقاده فقط، وهذا الأمر يتمّ من خلال وسائل عديدة، بما فيها تعظيم شعائر الحسين عليه السلام، وتخليد ذكراه ورسالته، والسير معه ومع مبادئه وقِيَمه طوال الحياة.

الثـاني: هو أنّ التفريط بالشـعائر وعدم إعطائها حقّها سـوف يجعـل الدين راكداً غـير جارٍ في التاريـخ، وضيّقاً غير مترامي الأطراف في المجتمعات، في حين أنّ الدين يجب أن يكـون ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[3]، والشـعائر الحسـينية لها الدور الكبير في تثبيت شجرة الإسلام، وفي انتشار

---

(١) يمكن الرجوع في خصوص المرجئة وعقائدهم إلى كتاب: الملل والنحل، جعفر السبحاني: ج١، ص٨٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٤٧.

(٣) إبراهيم: آية ٢٤ـ٢٥.

أغصانه وعلوّها؛ وذلك لما للشعائر من دورٍ فاعلٍ على المستوى الإعلامي والتبليغي، وتحديد الهويّة الثقافية والرسالية.

وعليه؛ ينبغي الالتفات إلى الطريق الوسط في التعامل مع الشعائر الحسينية، لا الإفراط في الشعائر وتهميش الدين ونسيانه، ولا التفريط فيها وحرمان الدين من هذه الوسيلة المهمّة في تثبيت دعائمه ونشر تعاليمه وأهدافه.

٥ـ الوقوع في الحرمة عند إقامة بعض الممارسات الشعائرية

لقد أكّدت النصوص الدينية على الشعائر الحسينية وإحيائها كثيراً، وهذا ما سلّطنا عليه الضوء في كثير من محطّات هذا المقال، من قبيل: البكاء، اللطم، الإطعام، لبس السواد، وغير ذلك من المصاديق التابعة للشعائر الحسينية، لكن ينبغي لنا الحذر لئلّا تكون هذه الأُمور مصداقاً للحرمة من حيث لا نشعر، وذلك بالإفراط في التعامل معها، فمن باب المثال ما يقوم به أصحاب الهيئات والحسينيات من بذل الطعام في أيام عاشوراء، فإنّه أمرٌ محبّذ وراجح، لكنّه ربما يصبح مصداقاً للتبذير المنهي عنه في الشرع المقدّس إذا تعدّى الحدود المرسومة له، وحينها سيتنافى مع أهداف الشعائر التي يُعدّ أهمّ شيء فيها هو التقرّب إلى الله تعالى وإعلاء كلمته. أو ما نراه من سدّ بعض الطرقات لمرور المواكب، الذي يؤدّي إلى الاختناق في حركة المرور؛ فيتّخذ بعض الأفراد موقفاً سلبيّاً من هذه الظاهرة المقدّسة، في حين أنّ الشعائر يجب أن تكون مؤلِّفة للقلوب، ومغناطيساً لجذب الأرواح؛ فالطرق حقّ عامّ لكلّ أفراد المجتمع، فلا ينبغي أن تكون الشعائر مصداقاً للنهي والحرمة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1].

هذه وغيرها من الأُمور التي يمكن أخذها بنظر الاعتبار، كأصوات الطبول ومكبِّرات الصوت المرتفعة التي تسبّب إزعاج الآخرين، ويُثير ضجرهم واستياءهم،

(١) الأحزاب: آية٥٨.

العدد التاسع عشر ـ السنة الخامسة ـ ١٤٣٨ هـ ـ ٢٠١٧م

فنسمع منهم هذا التساؤل: هل يرضى الحسين عليه السلام بهذا؟! أو الإكثار من استعمال السواد، فهناك أُمّهات ينذرن لأطفالهن لبس السواد شهرين متتالين؛ الأمر الذي يجعل الطفل يتضجّر من هذا الأمر، فيحصل العكس للهدف المرجو من ذلك النذر، ألا وهو إيجاد الحبّ والولاء في قلب الطفل للإمام الحسين عليه السلام. والحديث طويل في هذا الخصوص.

طرق إصلاح وتهذيب الشعائر الحسينية

١ـ تنقيح نصوص النهضة الحسينية

كانت النصوص التاريخية ـ وما زالت ـ في معرض التحريف، فتسلُّل الأساطير والخرافات والأكاذيب التي تحوكها الذهنية الشعبية أمرٌ قد سُلِّم به في التاريخ الإسلامي، بما في ذلك تاريخ النهضة الحسينية، «**فإنّه لأمرٌ حتمي القول بحصول تحريفات متعدّدة على مرّ الزمان في هذه الواقعة العظيمة، وممّا لا ريب فيه بأنّ هناك مسؤولية كبيرة تقع على كاهل الجميع، ألا وهي النضال ضدّ هذه التحريفات**»(١)، وخاصّة العلماء والمحقّقين الذين ينبغي عليهم النهوض بجدٍّ أمام هذه الروايات الوهمية التي وردت عن حادثة كربلاء، سواء التي ذُكرت من قِبَل جهات معادية ومغرضة تهدف إلى قلب حوادث كربلاء، أو الروايات المشينة لصورة عائلة الوحي والرسالة، والتي تُذكر لا لشيء سوى إثارة العواطف واستدرار الدموع، وإلّا فهي خالية من المحتوى العلمي والهدف التربوي، فإنّه: «**لا يمكن خدمة الناس بواسطة واقعة تاريخية محرّفة**»(٢).

ولنعلم أنّ السكوت أمام التحريفات الواردة في الروايات التاريخية حول كربلاء وقضيتها سوف يفتح الباب لبروز البدع في الدين؛ لأنّ نهضة عاشوراء لها

(١) المطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج١، ص٧٢.

(٢) المصدر السابق: ص٧٩.

ارتباط وثيق بالدين، فما كانت إلّا لأجل تثبيت دعائم الدين ونشر حقائقه؛ ولذا يجب الوقوف أمام البدع والتحريفات، وهذا ما أكّده رسول الله صلى الله عليه وآله، وبيّن مسؤولية العلماء تجاهه بقوله صلى الله عليه وآله: «**إذا ظهرت البدع في أُمّتي فليُظهر العالِمُ علمه**»[1].

٢ـ تطوير أساليب إحياء الشعائر

لقد اعتاد أبناء المذهب الشيعي تأسياً بأئمّتهم الأطهار عليهم السلام أوّلاً، وبأسلافهم ثانياً، إقامة مجالس العزاء الحسيني، وهذا أمرٌ محبّذ في حدّ ذاته، وله آثاره الخاصّة، لكنّه ليس السبيل الوحيد لإحياء الشعائر الحسينية؛ إذ يمكن أن تُبث ثقافة عاشوراء والرسالة الثورية لكربلاء من خلال السبل الإعلامية الأُخرى، من قبيل: ستائر السينما والمسرح، وشاشات التلفاز، والشبكات الاجتماعية، والمواقع الإلكترونية في الشبكة العنكبوتية، والمجلّات والصحف، وما شابه ذلك. ولعلّ لهذه السبل الوقع الأكبر في قلوب الأطفال والشباب من الوسط الاجتماعي.

إنّ سبل وطرق إحياء الشعائر أُمور تعود إلى المجتمع والثقافة التي يتمتّع بها، وهذا ما يجعلنا مبسوطي الأيدي في اختيار السبيل أو الميدان المناسب لإقامة الشعائر، لكن بشرطها وشروطها البتة.

كما يمكن دعم الشعائر التقليدية وترشيدها وإثراؤها؛ لكسب أفضل نتائج منها، كما نراه في مسيرة زيارة الأربعين المليونية، حيث تنتشر مراكز التعليم والتثقيف، كتقديم الأجوبة الفقهية والعقائدية، إضافة إلى إقامة صلاة الجماعة للزائرين، والاهتمام بشؤونهم الصحّية بنشر المراكز الطبية المتنقّلة، أو الاستضافة اللائقة؛ الأمر الذي يشجّع الزائرين على إحياء هذه الشعيرة المباركة دون إعاقات مادّية، أو هدر للروح المعنوية، وكلّما ازداد هذا الدعم المادّي والمعنوي تحت منهجية صحيحة،

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٥٤.

ونوايا مخلصة، منح المسيرة الشعائرية روحاً إسلامية حقّة، وشعوراً حسينياً ممهّداً لقيام دولة العدل الإلهي.

٣ـ التبليغ الناجح للشعائر

وهذا الدور يقوم به أصحاب الإعلام الإسلامي، من مذياع، أو تلفاز، أو منبر، أو ما شابه ذلك، فتوعية المجتمع على اتّخاذ الوسطية في التعامل مع الشعائر، أو تذكيرهم بذلك، أمر مهم للغاية، وله التأثير الكبير في تهذيب الشعائر وتوجيهها نحو المسير الصحيح، والهدف المرجو منها.

والتبليغ الممنهج والدعوة إلى الخير من الأُمور التي أوصى بها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[1]، وكذا التذكير بالقول وبكلّ ما ينفع الناس: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، وأيّ شيء أفضل من الشعائر الحسينية نفعاً للمؤمنين في دنياهم وآخرتهم؟!

هذه وغيرها من الأُمور التي ينبغي مراعاتها في الشعائر الحسينية، والتي تجعلها تصبّ في تحقيق الأهداف الدينية السامية؛ ليمكن حصد الثمار منها بصورة أفضل.

---

(١) النحل: آية١٢٥.
(٢) الذاريات: آية٥٥.

قراءةٌ في شهادة البطل عابس الشاكري ودعوى الجنون الموهوم

شاكر الغزّي*

مَن هو عابس؟

هو: «عابس بن أبي شبيب الشاكري»[1]. قال السمعاني في أنسابه: «الشاكري: بفتح الشين المعجمة، والكاف المضمومة بعد الألف، هكذا رأيت ضمَّ الكاف في كتاب (الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم مقيّداً مضبوطاً، ثمّ الراء. هذه النسبة إلى (شاكُ) وهو بطن من هَمْدان»[2].

وعلّق محقِّق الكتاب على قول المصنّف (مضبوطاً) بقوله: «تعقّب ابن الأثير في (اللباب) اعتماد المصنِّف هذا الضبط، فقال: الصحيح كسر الكاف من شاكر، ومَن ضمّه فقد أخطأ، ولعلّ الناسخ قد أخطأ في ضبطه في (الجرح والتعديل)، أو نسخه مَن لا علم له بالنسب. وكذلك ضبطها بالكسر السيوطي في (اللبّ)، فليُعتمد»[3].

وفي إرشاد المفيد أنّه: «عابس بن شبيب الشاكري»[4]، ويؤكّده ما ورد في زيارة الناحية المقدّسة المنسوبة للإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف[5]، وكذا في الزيارة الرجبيّة للإمام

* كاتب وأديب، من العراق.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي: ص١٠٣، الرقم ١٠١٩.
(٢) السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب: ج٣، ص٣٨٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٠٦.
(٥) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص٧٩.

الحسين عليه السلام: «**السلام على عابس بن شبيب الشاكري**»[1]. «**ولعلَ الصحيح: أنّه ابن أبي شبيب، كما عليه جملة من المؤرِّخين**»[2].

وقال عنه الشيخ محمّد مهدي شمس الدين بأنّه: «**من رجال الشيعة، كان رئيساً، شجاعاً، خطيباً، ناسكاً متهجّداً، وكان من أعظم الثوّار إخلاصاً وحماساً، كان واعياً، لـمَّحَ في كلامه مع مسلم بن عقيل إلى أنّه ليس واثقاً من الناس، ولكنّه مع ذلك مصمِّم على الثورة**»[3].

وقال الشيخ ذبيح الله المحلّاتي: «**كان رجلاً عابداً متهجّداً، يحيي الليل كلّه بالعبادة، وكان في ولائه لحيدرة الكرار من الطراز الأوّل**»[4].

وأطرى عليه الكاتب المصري عبّاس محمود العقاد في كتابه (الحسين أبو الشهداء) قائلاً: «**فلمّا برز عابس بن أبي شبيب الشاكري بعد ذلك وتحدّاهم للمبارزة، تحاموه لشجاعته، ووقفوا بعيداً منه، فقال لهم عمر: ارموه بالحجارة، فرموه من كلِّ جانبٍ، فاستمات وألقى بدرعه ومغفره، وحمل على مَن يليه، فهزمهم وثبت لجموعهم حتّى مات**»[5].

وجاء في (إبصار العين): «**قال أبو جعفر الطبري: قدم مسلم بن عقيل إلى الكوفة، فاجتمع عليه الشيعة في دار المختار، فقرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام، فجعلوا يبكون، فقام عابس بن أبي شبيب، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّي لا أُخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرُّك منهم، ولكن والله أُخبرك بما أنا موطِّن نفسي عليه، والله، لأُجيبنّكم إذا دعوتم، ولأقاتلنّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم حتّى ألقى الله، لا أُريد بذلك إلّا ما عند الله... وقال الطبري أيضاً: إنّ مسلماً لما بايعه الناس،**

(١) المصدر السابق: ص٣٤٥.
(٢) بحر العلوم، محمد تقي، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٣٦ (الهامش).
(٣) شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٩٥.
(٤) المحلّاتي، ذبيح الله، فرسان الهيجاء: ج١: ص٢٣٩ـ٢٤٠.
(٥) العقاد، عباس محمود، أبو الشهداء الحسين بن علي: ص٩٣.

ثـمّ تحـوّل من دار المختـار إلى دار هاني بن عروة، كتب إلى الإمام الحسـين عليه السلام كتاباً يقول فيـه: أمّـا بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهلَه، وقـد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً... وأرسل الكتاب مع عابس، فصحبه شوذب مولاه»[1].

قصّة شهادته

قال أبو مخنف: «وجاء عابس بن أبي شـبيب الشـاكري، ومعه شـوذب مولى شاكر، فقـال [لـه]: يا شـوذب، ما في نفسـك أنْ تصنع؟ قال: مـا أصنع! أُقاتل معـك دون ابن بنـت رسـول الله (صـلّى الله عليه [وآله] وسـلّم) حتّى أُقتـل. قال: ذلك الظـنّ بك! أمّا لا[2]، فتقدّم بين يدي أبي عبد الله حتّى يحتسـبك كما أحتسـب غيرك من أصحابه، وحتّى أحتسبك أنا، فإنّه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى به منّي بك، لسرّني أنْ يتقدّم بين يديّ حتّـى أحتسـبه، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أنْ نطلب الأجر بـكلِّ ما قدرنا عليه، فإنّه لا عمل بعد اليوم وإنّما هو الحساب.

فتقدّم [شوذب] فسلّم على الحسين عليه السلام ثمّ مضى فقاتل حتّى قُتل [رحمة الله عليه].

ثمّ قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبد الله، أمَا والله، ما أمسى على وجه الأرض قريبٌ ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبُّ إليَّ منك، ولو قدرت على أنْ أدفع عنك الضيم والقتل بشيءٍ أعزُّ عليَّ من نفسي ودمي لعملته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أُشهد الله أنّي على هديك وهدي أبيك. ثمّ مشى بالسيف مصلتاً نحوهم وبه ضربة على جبينه».

قـال أبـو مخنف: «حدّثني غُير بن وَعلة الهمْداني[3] عـن ربيع بن تميم الهمداني، وكان ممّن شـهد ذلك اليوم، قال: لـمّا رأيته مقبلاً عرفته، فقلت: أيُّها الناس، هذا أسد الأُسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجنَّ إليه أحد منكم. فأخذ ينادي: ألا رجل لرجل؟ فقال عمر

(١) السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين: ص١٢٧.

(٢) «أي: أمّا إنْ كنت تأبى الانصراف، وتقول: إنّك لا تنصرف». أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطّف: ص٢٣٦.

(٣) في أغلب المصادر: نُمير بن وعلة الهمداني.

ابن سعد: ارضخوه بالحجارة. فرُمي بالحجارة من كلّ جانبٍ، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثمّ شدّ على الناس، فو الله، لرأيته يكرد[1] أكثر من مائتين من الناس، ثمّ إنّهم تعطّفوا عليه من كلِّ جانبٍ، فقُتل [رحمة الله عليه]»[2].

هذه هي تفاصيل قصَّة شهادة البطل عابس الشاكري بتمامها كما وردت في مقتل أبي مخنف الذي يُعدّ أقدم مصدر مطبوع عن واقعة عاشوراء، ومنه أخذت معظم المصادر اللاحقة.

وقد ذكر السماوي في كتابه (إبصار العين) قصّة استشهاده نقلاً عن الطبري عن أبي مخنف، كما مرّت سابقاً باختلاف يسير[3].

وذات الكلام مع اختصارٍ قليلٍ ذكره السيّد عبد الرزاق المقرّم في كتابه (مقتل الحسين عليه السلام) نقلاً عن تاريخ الطبري أيضاً[4].

أمّا الشيخ المفيد في إرشاده، فكان شديد الاختصار حيث يقول: «**وتقدّم عابس بن شبيب الشاكري، فسلّم على الحسين عليه السلام وودّعه، وقاتل حتّى قُتل رحمه الله**»[5].

وأورد ابن نما الحلّي قصّة شهادته على نحوٍ لا يخلو من الغرابة! فجعله مولىً لبني شاكر وكنّاه بأبي شوذب، يقول: «**وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري مولى بني شاكر، فقال له الحسين: يا أبا شوذب، ما في نفسك؟ قال: أُقاتل معك، فدنا من الحسين، وقال: لو قدرت أن أدفع عنك بشيءٍ هو أعزُّ من نفسي لفعلت، ثمّ تقدّم فلم يقدم عليه أحد، فقال زياد بن الربيع بن أبي تميم الحارثي: هذا ابن شبيب الشاكري القويّ، لا يخرجنّ إليه أحد، ارموه بالحجارة، فرموه حتّى قُتل**»[6].

---

(١) يطرد.

(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطف: ص٢٣٦ـ٢٣٧.

(٣) أُنظر: السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين: ص١٢٧ـ١٢٩.

(٤) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٦٢.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٠٦.

(٦) ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٤٩.

ومن الجدير بالذكر والإشارة أنّ السيّد ابن طاووس لم يُشرْ إلى مصرع الشهيد عابس الشاكري، ولم يذكر تفاصيل حملته وشهادته في كتابه (اللهوف على قتلى الطفوف)، وكذلك لم يذكره الشيخ الطبرسي في كتابه (إعلام الورى).

هذا أَسَدُ الأُسُود!

لفتَ نظري وأنا أطالع كتاب (إبصار العين) للشيخ السماوي أنّه ضبط كلمة الربيع بن تميم الهمْداني هكذا: «**أيُّها الناس، هذا أَسد الأُسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجنّ إليه أحد منكم**»[1]، أي: بصيغة المضاف (أَسَدُ) والمضاف إليه (الأُسُود)، وليس (هذا الأسد الأسْود) بصيغة الاسم المعرَّف بـ(أل) وصفته اللونيّة المعرّفة أيضاً، وبسكون سين (الأسْود) كما ضبطها الشيخ اليوسفي الغروي محقّق مقتل أبي مخنف[2].

وقد دفعني ضبطه للبحث والتقصّي عن هذا التعبير، فوجدته كذلك في أغلب المصادر والمقاتل، وخصوصاً القديمة منها؛ ممّا يرجِّح أنّ خللاً في النسخ أحال العبارة إلى (الأَسَد الأسْود)!

بل لاحظت أنّ بعض المحقِّقين، وإن أوردوا عبارة (الأَسَد الأسْود) في الأصل، إلّا أنّهم يعلِّقون مُصحِّحين ذلك قصداً أو من غير قصد، فمثلاً في كتاب (شهادة الحسين برواية الطبري) جاء في المتن: «**أيُّها الناس، هذا الأسد الأسود**»، لكنّ مُلخِّص الكتاب علَّق في النقطة الثالثة من موارد الاعتبار بعد ذكر خبر شهادة عابس، قائلاً: «**تخوّف جيش العدوّ من الشاكري؛ لأنّه كان أشجع الناس، وقال الهمداني من جيش العدو: أيُّها الناس، هذا أسد الأُسود لا يخرجنّ إليه أحد منكم. ويظهر أنّ هذا التخوّف كان مستولياً على قائد الجيش أيضاً؛ حيث قال: ارضخوه بالحجارة**»[3].

وممَّن وصفوا عابس الشاكري بـ(أَسَد الأُسُود) في مصنّفاتهم من الأعلام:

---

(١) السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين: ص١٢٨.

(٢) اُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطف: ص٢٣٧.

(٣) الجلالي، محمد حسين، شهادة الحسين عليه السلام برواية الطبري: ص٢٥٤ـ٢٥٥.

- الخوارزمي في مقتله: ج٢، ص٢٥.
- الشيخ عبّاس القمّي في (نفس المهموم): ص٢٥٥.
- الشيخ محمد كاشف الغطاء في مقتله: ص٤٨.
- المولى رضي القزويني في مقتله (تظلُّم الزهراءعليها السلام): ص٢٣٤.
- الخطيب محمد رفيع الكرمرودي في مقتله (ذريعة النجاة): ص١٩٩.
- الشيخ عبد الزهراء الكعبي في مقتله: ص٥٣.
- الشيخ محمد رضا الطبسي في مقتله: ص٣٦١.
- السيّد محمد كاظم القزويني في مقتله (فاجعة الطف): ص٤٣.
- الشيخان عزّت الله المولائي ومحمد جعفر الطبسي في الجزء الرابع من كتاب (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة): ج٤، ص٣٢٨.
- السيّد عبد المجيد الشيرازي في (ذخيرة الدارين): ص٤٤٢.
- الشيخ باقر شريف القرشي في (حياة الإمام الحسينعليه السلام): ج٣، ص٢٣٤.
- الشيخ جعفر مرتضى العاملي في كتاب (الصحيح من سيرة الإمام الحسين بن عليٍّعليهما السلام): ج١٣، ص١٢٨.
- الدكتور لبيب بيضون في (موسوعة كربلاء): ج٢، ص٩٥.

بل لاحظت أنّ هذا الفهم هو المترسِّخ في أذهان المؤرِّخين والمحدِّثين، حتّى أنّهم استعاضوا عنه بتعابير أدبية مماثلة، فالفاضل الدربندي مثلاً ـ الذي أولع بإيراد قصص عاشوراء بأُسلوب أدبيّ مُزوّق، مبالغةً في التشويق والتأثير والإبكاء ـ استعاض عن هذا الفهم بعبارة: (أسد الله)، يقول في كتابه (إكسير العبادات في أسرار الشهادات): «**قال شعبة بن تميم: قلت لابن سعد: هذا أسد الله عابس بن ليث الشاكري، فنادِ في أصحابك أن لا يخرج إليه أحد. قال: فو الله، لقد رأيت الناس يجفلون من بين يديه كما يجفل الغنم من الذئب، وهو يفرس فيهم مثل الأسد**»[1].

(١) الدربندي، آغا بن عابد، إكسير العبادات في أسرار الشهادات: ص٢٩٦.

وهذا التشبيه المجازي (أَسَد الأُسُود) ممّا شاع استعماله في لغة العرب من تراكيب أدبية وقوالب شعرية، يقول أبو تمّام راثياً:

فيا أسَدَ المنونِ فرسْتَ منهُ　　غداةَ فرسْتَهُ أسدَ الأُسودِ[1].

ويقول السيّد جعفر الحلّي نادباً الإمام علياً عليه السلام:

أبا حسنٍ ومثلكَ مَن يُنادى　　وليسَ سواكَ يا أسدَ الأُسودِ[2].

هل كان عابسُ أَسود؟

أكبر الظنّ أنّ جملة: (هذا أسد الأُسود) تعرَّضت للتصحيف خلال الإملاء والنسخ، أو أثناء الرواية، لتصبح: (هذا الأسد الأَسْود)، فتكرّسَ في أذهان الناس سواد بشرة الشهيد عابس الشاكري، ولعلّ اقتران سيرته في المقاتل بشوذب بن عبد الله، ووصفه بأنّه مولى شاكر، يُوهم بكون الأخير عبداً أو غلاماً أسود، وربّما انجرّ ذلك الوهم ليشمل عابساً أيضاً؛ لتقاربهما واشتراكهما في المتخيّل السردي، ولعلّ هذا التخيُّل مبني أصلاً على قُربه في الزمن الشفاهي من ذكر شهادة جون مولى أبي ذرّ الغفاري، الذي قال للإمام الحسين عليه السلام حين استأذنه للخروج: «**يابن رسول الله، والله إنّ ريحي لَنتِن، وإنّ حسبي لَلئيم، ولوني لأسوَد، فتَنفَّسْ عليَّ بالجنّة فتطيبَ ريحي، ويَشرُفَ حسبي، ويَبيض وجهي، لا والله، لا أُفارقُكم حتّى يختلطَ هذا الدم الأسود مع دمائكم. فلمّا أذن له الحسين عليه السلام، برز وهو يرتجز ويقول:**

كيف تَرى الفُجّارُ ضَربَ الأَسْودِ　　بالمشرفيِّ القاطعِ المُهنَّدِ؟!

وحين قُتل جاءه الإمام الحسين عليه السلام ووقف عليه قائلاً: اللهمّ بَيِّض وجهَه، وطَيِّب ريحَه، وعرِّف بينه وبين آل محمّد»[3].

---

(١) النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب: ج٥، ص٢٠٧.

(٢) الشاكري، حسين، عليٌّ في الكتاب والسنّة: ج٥، ص٢٦.

(٣) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف في قتلى الطفوف: ص٦٥. السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين: ص١٧٦.

لذا؛ أرجّح أنّ هذا السرد المتقارب المتتالي المقترن بالتصحيف الذي أشرنا إليه، مع تكراره دون تنبيه، وَلّد في الأذهان وهماً منشؤه التخيّل لا التدبّر.

وقد تساءلتُ مع نفسي: هل عبارة (الأسد الأسْود) من عبائر الكلام العربي؟ وهل شاع مثل هكذا وصف في أدبيات اللّغة العربيّة؟

وبعد بحثٍ مُضنٍ في إضمامة الشعر العربي بوصفه أعلى بنايات كلامهم، لم أجد سوى بيت واحد فقط لأبي الأسود الدؤلي في مقطوعة له من ثمانية أبيات، ضمن القسم المستدرك على ديوانه، قالها يُهدِّد طلحة والزبير، وهذا البيت هو:

وإنّ عليّاً لكم مُصحرٌ　　　ألا إنَّـه الأسَـد الأسـودُ[1].

وإن كنتُ مستغرباً من وصف عابس بالأسد الأسود، فإنّ وصف الإمام علي عليه السلام بذلك أغرب!

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا البيت لم يرد ضمن أصل الديوان، الذي هو مخطوطة من صنعة أبي سعيد السكّري، حقّقها الشيخ محمد حسن آل ياسين، بل ضمن القسم الأوّل ممّا استدركه المحقّق على الديوان وأسماه: الشعر الثابت النسبة، وعنى بذلك: ما ورد معزوّاً لأبي الأسود في المصادر والمراجع ولم ينسب لغيره[2]، وقد نقلها عن شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي، ولا بدّ أن نشير كذلك إلى أنّ ابن أبي الحديد أورد هذا البيت مرّتين في شرحه[3] وباختلاف يسير في المرّة الثانية.

ولنا أن نتساءل: لماذا انفرد ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ) برواية هذا البيت، ولم يذكره السكّري (ت٢٩٠هـ) صانع الديوان؟ ولا رواه أبو عبيدة البصري (ت٢١٣هـ)، أو الأصمعي (ت٢١٧هـ)، أو المدائني (ت٢٢٥هـ)، أو ابن جنّي (ت٣٩٢هـ)، ممَّن ترجموا لأبي الأسود ورووا أشعاره؟!

---

(١) السكّري، أبو سعيد الحسن، ديوان أبي الأسود الدؤلي: ص٣٣٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ٩ج، ص٢٠٢. و ج١٣، ص١٥٣.

أمَّـا في أدب العـرب المنثور، فلم أعثر ـ بحسـب تتبُّعي ـ إلّا على موضعين وردت فيهما هذه العبارة:

الأوّل: ما ذكره أبو حيان التوحيدي في كتابه (البصائر والذخائر): قال الأصمعي: «**سـمعتُ أعرابياً يقول: أعوذ بالله من الأسـد الأَسـود، والذنب الأعقد، ومن الشيطان والسلطان، ومن عمل ينكِّس برأس المسلم، ويُغري به لئام الناس**»(١).

ويبدو جلياً هنا أنّ مَورد هذه العبارة ممّا يُستعاذ منه! لذا فهي لا تليق بمقام الإمام علي عليه السلام، ولا تناسـب مقتضى حال المتكلّـم (الربيع بن تميم الهمْـداني) في كلمته التي حذّر فيها من بأس عابس وسطوته.

الثـاني: مـا ذكره الجاحظ في كتـاب (الحيوان) تحت عنوان: (ما قيل في السـبع من الأمثـال): «**وهـو المـضروب به المثل في النجدة والبسـالة، وفي شـدّة الإقـدام والصولة، فيقـال: (ما هو إلّا الأسـد على براثنه)، و(هو أشـدُّ من الأسـد)، و(هو أجـرأ من الليث العادي)، و(فلان أسدُ البلاد)، و(هو الأسد الأسود)**»(٢).

غـيرَ أنّ محقّـق الكتـاب (عبد السـلام محمَّد هـارون)(٣) له تعليقة نـادرة على قول الجاحظ: (وهو الأسـد الأسـود)، فقد أشـار في هامش الصفحـة (٢٢٨)، إلى كونها (الأسور) في إحدى نسخ التحقيق، وأضاف: ولعلّه (وهو أسد الأُسود).

وهـذا الترجيـح منه يسـتبطن كونه لم يألف عبارة (الأسـد الأسـود) رغم تحقيقه لأكثر من مائة كتاب في الشعر والأدب وعلوم النحو العربي ومعاجم اللّغة.

وقد يُقال: بأنّ ذلك مجاز معروف. والحقيقة: أنّ ذلك غير صحيح؛ لأنّ المجاز إنّما

---

(١) التوحيدي، أبو حيّان، البصائر والذخائر: ج٣، ص٤٩.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، كتاب الحيوان: ج١، ص٢٢٨.

(٣) وهو من أشهر محقّقي التراث العربي في القرن العشرين، اشتُهر بتحقيق كتب الجاحظ، والمعاجم اللُّغوية، والكتب النحوية، وكتب الأدب، والمختارات الشعرية. نال ـ لتحقيقه كتاب (الحيوان) ـ جائزة مجمع اللُّغة العربية لسنة (١٩٥٠م).

يـصرف اللفـظ عن معناه الظاهر إلى معنىً مرجـوحٍ بقرينة، ولا قرينة هنا ـ مع علمنا بأنّ المجاز ينحصر في التشبيه بالأسد ـ ترجّح وصف عليٍّ عليه السلام بالأسود مجازاً.

كما أنّ وصف البطل عابس بـ(الأسـد الأسـود) يصحُّ مجازاً لـو ثبت ـ بما لا يقبل الشـكّ ـ كـون بشرتـه سـوداء، وهذا مـا لا يمكن الجزم بـه، لا أن يكون هـذا اللفظ المجازي نفسه دليلاً على لونه، ولعلّ ذلك أقرب إلى الدّور الباطل منطقياً.

وأغلب الظنّ أنّ الربيع بن تميم الهَمْداني قال واصفاً عابس: «**هذا أسد الأُسود**». إمَّا بدافع قبليّ، فكلاهما همْداني، وإمّا قالها محذِّراً لبعض الجنود الشاميين ممّن لا يعرفون عابساً وجرأة بأسه؛ كي لا يبرزوا إليه فرادى فيُقتلوا، لذلك أتمّها بقوله: «**لا يخرجنّ إليـه أحـد منكم**». وفي بعـض الروايات أنّ عابسـاً أخـذ ينادي: «**ألا رجـل لرجل؟**» فأحجموا عنه؛ لأنّهم عرفوه أشجع الناس، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره؛ إغراءً لهم بالتقدُّم ليتمكّن من قتلهم، ولـمّا لم يفعلوا شدَّ عليهم فانهزموا أمامه.

وإمّـا أنّه قالها مخاطباً عمر بن سـعد، كما في بعض النسـخ، ليتّخـذ التدابير اللازمة بصفتـه القائـد العام للجيش، ويرجِّح هذا الفهم أنّ عمر بن سـعد أصدر أمراً بتغيير خطّة القتال بقوله: «**ارضخوه بالحجارة**»، فرُمي بها، ولـمَّا تنازع عدّة رجال في رأسـه قال لهم ابن سعد: «**هذا لم يقتله واحد**».

وعلى كلِّ تلك الاحتمالات، فالكلمة لا تخرج عن كونها تعبيراً عن شجاعة عابس وشـدّة بأسه ومِراسه، فلا معنى إذن لوصفه بالأسـود، فلم يرد في أدبيات اللّغة ـ كما مرّ بنا ـ أنّ الأسـد الأسود هو أشجع أنواع الأُسود! ولا المقام يسمح بالكلام العبثي ليكون مجرّد وصف لبشرته.

ومن هذه العبارة المصحّفة نسج الناس تصوّراً أسود عن عابس الأبيض، وأخذوا يطلون أحد الممثّلين باللون الأسود في مسرح الشبيه؛ ليجسِّد شخصيّته العظيمة، وقد

تسرَّب ذلك إلى الأفلام المنتجة التي يُفترض أن تُراعى فيها المعايير الفنّية والتاريخية.

وإنّي أستبعد أن يكون الشهيد عابس أسود البشرة؛ لأنّه من قوم عُرِفوا بحسن وجوههم وزرقة عيونهم.

قال عليٌّ عليه السلام في وصف الهمْدانيين يوم صفِّين:

كالهندواني لم تُفللْ مضاربُهُ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجَّابِ[1].

وقال في هجائهم كعبُ بن جُعيل، شاعر معاوية وأهل الشام، الذي يمدحهم ويردّ عنهم ويرثي موتاهم، وكان ممَّن شهد صفِّين مع معاوية:

وهمدان زُرقٌ تبتغي مَن تحالف[2].

أي: زرق العيون، والعرب يتهاجون بذلك، ويعدّونه من اللؤم.

ولا بُدّ من التنويه إلى أنّ سواد البشرة لا يقدح بمكانة الشهيد العظيم عابس، ولسنا ممّن يفاضل بين الناس حسب ألوانهم، ولكنّنا نناقش ذلك بحثاً عن الحقيقة التاريخية لا أكثر.

هل تعرَّى عابس في ساحة المعركة؟

كلُّ المصادر التي بين أيدينا تُشير إلى أنّه ألقى درعه ومغفره فقط!

والدِّرْع: قميص من الحديد يُلبس وقايةً من السلاح، وجمعه: دروع وأَدرُع، وأدراع[3].

أمّا المِغْفَرُ فهو: زَرَدٌ يُنسج من الحديد على قَدر الرأس، يُلبس تحت القَلنسوة، وجمعه: مَغافِر[4].

(١) البري، محمد بن أبي بكر، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله: ص٢٦.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج٤، ص١٤.
(٣) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٣، ص٢٠.
(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٢، ص٧٧١.

وكأنّ حسّان بن ثابت قصده في قوله:

يلقى الرماحَ الشاجراتِ بنحْرِهِ ... ويقيمُ هامَتَهُ مقامَ المِغْفرِ

ما إنْ يُريدُ إذا الرماحُ شجَرْنَهُ ... درعاً سوى سربالِ طيبِ العُنصرِ[1].

إذن؛ من أين تحصّل في الأذهان هذا التصوّر، وهو: أنّ عابساً مزّق ملابسه وبرز عارياً إلى جيش بن سعد؟!

والجواب: قد ينشأ ذلك من رغبة بعض أهل المنابر وقُرّاء التعزية في إثارة مشاعر الناس، وإضفاء نكهة درامية شجيّة على قصّة شهادة عابس؛ لغرض الإبكاء وتحصيل الثواب، فيتصوّرون أنّه خلع ملابسه أو مزّقها ليتعرّى؛ وذلك من فرط سكرته بحبِّ الحسين عليه السلام!

ولكنّنا سنُحسن الظنّ ونقول: إنّ بعض الكتابات التي تناولت سيرة عابس الشاكري عبّرت عن إلقائه لدرعه ومغفره بالقول: فألقى ملابس الحرب، ومن هذه العبارة ـ التي قد تكون وردت في كتاب لم نطّلع عليه ـ نشأ ذلك التوهّم الذي لا أساس له.

وممّا لا شكّ فيه أنّ عابس كان رجلاً واعياً ذا نُسك وتهجُّدٍ، وسياسيّاً محنّكاً من رؤساء بني شاكر، ولا تُنال الرئاسة إلّا بالعقل والحكمة وحُسن التدبير، كما كان من المتحمّسين لثورة الحسين عليه السلام والمخلصين لها، وأنّه من قوم يجيدون الغارة، وقد بعثه مسلم بن عقيل بكتاب البيعة إلى الحسين عليه السلام[2].

لذا؛ فالأرجح أنّ إلقاء الدرع والمغفر كان تخطيطاً استراتيجياً مضادّاً، بعد الإجراء الذي اتّخذه جيش العدو؛ إذ أطلق أحدهم تحذيراً من المبارزة الفردية مع عابس، أو عموم المبارزة، داعياً لاتّخاذ خطّة قتال بديلة، وحين أحجم أفراد جيش

---

(١) القمّي، عباس، الكُنى والألقاب: ج١، ص٢٤٣.

(٢) ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٢١.

عمر بن سعد عن مقاتلته، وهو ينادي: «**ألا رجل؟**» ارتأى بخبرته العسكرية أن يجذبهم ويستدرجهم إلى ساحة المعركة من خلال إيهامهم بأنّه صار مكشوفاً ضعيفاً، فألقى درعه ومغفره، وقد نجح هذا التكتيك كما نستشفّ من المصادر، فشدَّ على المتجمهرين لقتله وهو يطرد أكثر من مائتين!

ولم يقتلوه بسبب انكشافه بعد إلقاء الدرع والمغفر، أو استسلامه للموت بإلقاء سيفه، كما يتوهّم البعض، بل كان مستميتاً مستبسلاً، فما قدروا عليه حتّى رضخوه بالحجارة فمات!

ولا شكّ ـ أيضاً ـ في أنّ عابساً سمع من الحسين عليه السلام حكمته البديعة: «**لا تتكلّف ما لا تطيق، ولا تتعرّض لما لا تُدرك**»[1].

حبّ الحسين أجنّني!

لعلّ هذه العبارة من أشهر العبارات التي دوّت كثيراً في فضاء التعزية الحسينية، حتّى صارت شعاراً لدى البعض، فأُطلق لقب (مجنون الحسين) على الشهيد البطل عابس الشاكري، ثمّ أصبحت مفردة الجنون وما يتعلّق بها وما يترتّب عليها من دواعي التباهي والتفاخر والتسابق في محبّة الحسين عليه السلام عند أولئك، وكأنّ محبّته لا تُنال بعقلٍ أو منطق أبداً.

ووردت هذه المفردة في عشرات المراثي الإنشادية التي صوّرت البطل عابساً عارياً، ممزّقاً ثيابه، وقد خرج للمبارزة بلا سيفٍ، وهو يصرخ بأعلى صوته: (حبّ الحسين أجنّني)، طالباً قبول العذر وإقلال الملامة.

وبعد البحث والتحرّي يمكن القول: بأنّ هذه العبارة لم ترد في المصادر التاريخيّة، والمقاتل المعتبرة، ولا في كتب المتأخّرين التي ذكرت وقائع عاشوراء، وتفاصيل شهادة عابس الشاكري رحمه الله، وسنكتفي بإيراد بعض العناوين منها:

---

(١) الأمين، السيّد محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٦٢١.

١ـ المصادر القديمة

- وقعة الطف لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي الكوفي (ت١٥٧هـ)، تحقيق: الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي.
- أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٤٧هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي.
- تاريخ الأُمم والملوك للطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد للشيخ المفيد (ت٤١٣هـ).
- مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد السماوي.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي.
- مثير الأحزان لابن نما الحلّي (ت٦٤٥هـ).
- البداية والنهاية لابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٢ـ الكتب المتأخّرة

- ذريعة النجاة (التاريخ الكامل لواقعة كربلاء) للخطيب محمد رفيع الكرمرودي التبريزي (ت١٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد حسين الرحيميان.
- نفس المهموم للشيخ عبّاس القمّي (ت١٣٥٩هـ).
- لواعج الأشجان في مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ).
- مقتل الحسين عليه السلام للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ)، تحقيق: هادي الهلالي.
- مقتل الإمام الحسين عليه السلام لآية الله السيّد محمد تقي بحر العلوم (ت١٣٩٣هـ)، تحقيق: السيّد حسين بحر العلوم.

- مقتل الإمام الحسين عليه السلام ومسير السبايا للخطيب عبد الزهراء الكعبي (ت١٣٩٤هـ)، تقديم: الشيخ محمود الشريفي. وطبعة أُخرى بعنوان: الحسين قتيل العبرة، مقتل الإمام الحسين عليه السلام الذي أُذيع من دار الإذاعة العراقية في يوم عاشوراء عام (١٣٧٩هـ)، تمهيد وتقديم: السيّد حسن الشيرازي.
- فرسان الهيجاء في تراجم أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام للشيخ ذبيح الله المحلّاتي (ت١٤٠٥هـ)، تحقيق وتعريب: محمد شعاع فاخر.
- مقتل الإمام الحسين عليه السلام لآية الله الشيخ محمد رضا الطبسي (ت١٤٠٥هـ)، حقّقه وعلّق عليه: الشيخ محمد أمين الأميني.
- فاجعة الطف للسيّد محمد كاظم القزويني (ت١٤١٥هـ).
- عبرات المصطفين في مقتل الحسين عليه السلام، المأخوذ من أقدم المصادر التاريخية الإسلامية، للشيخ محمد باقر المحمودي (ت١٤٢٧هـ).
- حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي (ت١٤٣٣هـ).
- الصحيح من سيرة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام للسيّد جعفر العاملي.
- مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة للشيخين عزّت الله المولائي وجعفر الطبسي.
- موسوعة عاشوراء لجواد محدِّثي.
- مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيّد عادل العلوي.
- مقتل سيّد الشهداء عليه السلام للشيخ محمود الشريفي.

منشأ عبارة: (حبّ الحسين أجنّني)

وردت عبارة (حبُّ الحسين أجنّني) في كتاب (مع الحسين عليه السلام في نهضته)، مُرسلةً ضمن كلام عقّب به (الشيخ أسد حيدر) على رواية الربيع بن تميم الهمْداني التي

مرَّت بنا سابقاً، دون أن يُشير إلى مصدر هذه العبارة.

فقـال مُعقِّباً: «وكان موقف عابس موقفاً مشـهوداً، وهو رجل واحد يقف أمام جمع غفـير، فلا يجسر أحد على الدنـوِّ منه، وحـين رأى إحجامهم عن الدنوِّ إليـه احتقرهم، واسـتهان بهـم، فرمـى المغفـر، وألقى الـدرع؛ فقيل له: أَجننـت يا عابـس؟! قال: حبُّ الحسين أجنَّني»[1].

ويزعم آخرون أنّهم نقلوا هذه المقولة عن كتاب (روضة الشهداء)، وأصله باللُّغة الفارسيّة، ومؤلفـه: كمال الدين الحسـين بن عـلي الواعظ الكاشـفي (ت٩١٠هـ)، وإليك نصّه:

«... يُنقل عن الدينوري في مقتله عن الربيع بن تميم أنَّه قال: لـمّا شاهدت عابساً في الميدان، خشيت على عينيّ من الخروج من محجريهما ممّا رأيت من براعته. فقلت: أتاكم رجل عنيف في الحرب كالأسد، لا ريب أنّه سيغلب مَن يقاتله. فصرخ عابس فيهم: مَن يبارزني؟ ألا رجلٌ لرجل!

حدثتْ بلبلة في الجيش، حيث كان أغلبهم يخشى على نفسه من قتال عابس، هنا صرخ بهم عمر بن سعد: بما أنّ لا أحد منكم يجرأ على مبارزته، احملوا عليه حملةً واقتلوه.

عندما سمعه عابس، خلع مغفره ودرعه وحسر رأسه وشدَّ عليهم يقاتلهم قتال الأبطال.

يقول الربيع: قسماً بربِّ السموات والأرضين، رأيته يواجه ببسالة أكثر من مائتي محارب، يدحر ويضرب ويُسقط ويقتل! وكانت بيني وبينه معرفة، فصحت به: يا عابس، حاسر الرأس ودون درع! لا مفرّ من الهلاك والغرق. فأجابه عابس بما مضمونه:

هل يُقلق المطر مَن يرتدي طاقيته   وهل يخاف النزف مَن يغرق في بحر الفراق؟!

وبعد قتال شـديد، أُثخن عابس وغلامه شـوذب، إلى أن فارقـت روحاهما دار الملام

---

(١) حيدر، أسد، مع الحسين عليه السلام في نهضته: ص٢٠٨.

إلى دار السلام»[1].

وكما يتّضح أنّه لا ذكر هنا لحبِّ الحسين عليه السلام ولا للجنون! نعم، قد يُفهم من بيت الشعر معنى العشق والاشتياق، ولكنه يظلّ لسان حالٍ، وقد نوّه الكاشفي أنّ ردّ عابس كان بما مضمونه كذا، وذكر بيت الشعر، ولم يذكر أنّه قال ذلك حرفياً.

ولعلّ مَن نقلوا عن الكتاب أخفقوا في الترجمة، أو تأوّلوها، أو أعجبهم لسان الحال، فاجتهدوا في نسبته لعابس رحمه الله.

حبّ الحسين جنونٌ أم تعقّل؟

هكذا ببساطة، سنطرح هذا السؤال: أيّهما أفضل: أنْ نحبّ الحسين بتعقُّل، أم نُحبّه بجنون؟ وببساطة أيضاً نسأل: هل يُريدنا الحسين مجانين أم عقلاء؟

ورغم أنّ هذين السؤالين بسيطان جدّاً، والجواب عنهما بسيط جدّاً كذلك، ولكنهما يُخفيان وراءهما ألماً عميقاً وحزناً أعمق على الحالة المأساوية التي وصل إليها بعضٌ في تعاطيه مع الحسين العظيم عليه السلام ومبادئ نهضته السامية.

لعلّ من أخطر ما اقترفناه بحقّ الحسين عليه السلام، وبحقّ أنفسنا، هو الحاجز الكبير الذي بنيناه بيننا وبين الحسين عليه السلام، والذي أخذ يستطيل ويعرض ويعلو حتّى حجبنا عن رؤية نور الحسين عليه السلام الساطع، وفهم معاني حركته الإصلاحية الكبرى، وهذا كلّه بسبب بعض الممارسات الخاطئة التي لا تنسجم مع أهداف نهضته المباركة، والتي أضفينا عليها اسم الشعائر الحسينية.

وإذا زعمنا أنّ إمكانياتنا البشرية ـ بعد أن عطّلناها قسراً ـ قاصرةٌ عن فهم حقيقة الحسين عليه السلام، وإدراك الدلالات والعِبَر لثورته العظيمة، فلا أقلّ من البحث والتقصّي عن وقائعها التاريخية، وإزالة اللبس الذي يعتريها؛ ممّا يخدش بقدسية الحسين عليه السلام، ويشوّه أهداف ثورته النبيلة.

---

(١) الكاشفي، حسين، روضة الشهداء، ترجمة: محمد شعاع فاخر: ص٥٩٥ـ٥٩٧.

وباختصار، إنّ تلك الممارسات الشعائرية لا تخرج عن كونها ممارسات تعبّدية أو تقرّبية، لذا فصحّة العقل شرط من شروط صحّتها؛ إذ اشترط الفقهاء كون العقل من شروط الصحّة والتكليف في العبادات، كما اشترطوه في كثير من المعاملات، وأعفوا المجنونَ من التكاليف، كما قرنوه بالصبي والمملوك والسفيه في كثيرٍ من مواضع الفقه! ولم يُنفذوا تصرّفه في ماله أو في ذمّته، ونوّهوا إلى ضرورة مراجعة الحاكم الشرعي ليُنصّب قيّماً عليه! وأكّدوا منعَ المجانين من دخول المساجد!

وروي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال مخاطباً عمر في قصّة امرأة مجنونةٍ قد زنت: «**أما علمتَ أنّ القلم رُفِع عن ثلاثة: عن الصبي حتّى يحتلم، وعن المجنون حتّى يفيق، وعن النائم حتّى يستيقظ**»[1].

وقد جعل الله العقل كرامة لبني آدم، ورِفعة لقدرهم، ونهى عن الاعتداء عليه بالسُّكْر أو بالتعطيل أو رفض حجّيته، وأنكر ما استنكره العقل كالتطيّر والتشاؤم.

وباختصارٍ مماثل: فإنّ كلّ ممارسة تحتاج إلى مستند شرعي لتكون عبادة محضة، والإتيان بها على أتمّ وجه يحتاج إلى وعي وإخلاص مَحْضين.

ولا أسوق هذا الكلام اعتباطاً ها هنا، ولا أسعى من ورائه للطعن في الشعائر الحسينية الواعية، ولكن أورده بقدر تعلّقه بموضوع بحثنا، إذ تفشّت عندنا عشرات المظاهر الغريبة والدخيلة على عاداتنا وعباداتنا من ثقافات أُخرى، وصارت تُمارس تحت عنوان: الجنون في حبّ الحسين!

ولن يختلف اثنان على أنّ حبّ الحسين من فعل العارفين العقلاء، وأنّه من أسنى نعم الله على عبده؛ إذ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن أراد الله به الخير قذف في قلبه حبّ الحسين...**»[2]. كما لن يختلفا على أنّ نسبة الجنون إلى محبّة الحسين عليه السلام، أو نسبة ذلك إلى الشهيد عابس رحمه الله، فيهما إساءة للمقام الأقدس لأبي عبد الله الحسين عليه السلام

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٩٣ـ٩٤.

(٢) ابن قولويه، محمد بن جعفر، كامل الزيارات: ص٢٦٩.

ولصحابته الأفذاذ؛ ذلك أنّ الجنون من الصفات السلبية التي على الإنسان أن يحمد الله كثيراً على عدم ابتلائه بها، وقد روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ على جماعةٍ فقال: «**على ما اجتمعتم؟ قالوا: يا رسول الله، هذا مجنون يُصرع، فاجتمعنا عليه. فقال: ليس هذا بمجنون ولكنّه المبتلى، ثمّ قال: ألا أُخبركم بالمجنون حقّ المجنون؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إنّ المجنون حقَّ المجنون المتبختر في مشيته، الناظر في عطفيه، المحرِّك جنبيه بمنكبيه، يتمنّى على الله جنّته وهو يعصيه، الذي لا يُؤمَن شرّه، ولا يُرجى خيره، فذلك المجنون، وهذا المبتلى**»[1].

وقد يتحجّج البعض بأنّ الجنون في الحبّ ضربٌ من التصوّف! ويُردّ عليه: بأنّ مواقف علمائنا وفقهائنا من الصوفية وممارساتهم ممّا لا يحتاج إلى تطويلٍ في الكلام.

وخلاصة القول: إنّ عبارة (حبّ الحسين أجنّني) لها مصداقان لا ثالث لهما: مصداق تاريخي، ومصداق واقعي.

المصداق التاريخي، بمعنى: هل وردت هذه العبارة في المصادر التاريخية المعتبرة أم لا؟

والجواب، كما بيّناه سابقاً: كلا.

المصداق الواقعي، بمعنى: لو افترضنا جدلاً صدور هذه العبارة عن الشهيد عابس، هل ترتّب على أثرها فعلٌ جنوني واقعي، أم أنها مجازٌ كلامي لا أكثر؟

والجواب حسب الظاهر: نعم، ترتّب عليها بعضُ أفعال الجنون الواقعي، فقد ألقى عابس درعه ومغفره على نحوٍ أقلّ، ودرعه ومغفره وسيفه ومزّق ملابسه على نحوٍ أوغل في المبالغة.

فإنْ قيل: نعم، إلقاء السيف وتمزيق الملابس في ساحة حرب ضارية فعلٌ جنوني، يُستبعد صدوره من فارسٍ نبيلٍ شجاعٍ، وعارفٍ ناسكٍ واعٍ، مثل عابس الشاكري، ولكنّ إلقاء الدرع والمغفر ـ على تقدير عدم حاجة بعض المحاربين الأبطال لهما ـ ليس

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٢٣٢ـ٢٣٣.

من أفعال الجنون في شيء، وقد وردت أخبار في كتب التراث تُعرب عن تذمّر الفارس العربي من درعه، ولا سيما عند احتدام المعارك، ورغبته في التحرّر منه والتجرّد من كلّ ما يثقله عن التقدّم والاقتحام، مع أنّ درع الفارس العربي عبارة عن غطاء بسيط يقي الصدر فقط، ولم يكن يلبسه خوفاً أو تهرّباً من الموت، بل كان تدرّعه حافزاً على الصبر في المواقع، والثبات في المقاتلة(١).

فالجواب: إن كان هذا صحيحاً، فلماذا تعجّب عمر بن سعد، أو أصحاب عابس، أو جُند العدوّ، من فعله هذا، ونعتوه بالجنون؟!

ثمّ إذا كان ذلك صحيحاً، انتفت الحاجة إلى السؤال المفترض: (أجننتَ يا عابس؟)، وبالتالي ينتفي جوابه تبعاً له، فلا اعتبارَ وقتها لكون الجواب واقعياً أم مجازياً.

مفاهيم يجب أن تُصحّح

هناك مفاهيم عن واقعة الطف يجب أنْ تُصحّح، منها: أنّ محبَّة الحسين عليه السلام وخدمته تحتاجان إلى وعيٍ وإخلاصٍ شديدين، بل عموم أحواله عليه السلام، ومنها زيارته، لذا ورد في الأخبار: «**مَن زار الحسين عارفاً بحقِّه...**»(٢).

وقد روي عن سلمان الفارسي أنّه قال: «**نومٌ على علمٍ خيرٌ من صلاةٍ على جهلٍ**»(٣).

وعن عليِّ بن الحسين عليه السلام: «**...لا كرم إلّا بتقوى، ولا عمل إلّا بالنية، ولا عبادة إلّا بالتفقّه، ألا وإنّ أبغض الناس إلى الله مَن يقتدي بسنّة إمامٍ ولا يقتدي بأعماله**»(٤).

(١) أُنظر: الحوفي، أحمد محمد، الحياة العربيّة في الشعر الجاهلي: ص٢٥١. صادق، وجدان، فنّ الوصف في شعر الفرزدق: ص١٦.

(٢) الشجري، محمد بن علي، فضل زيارة الحسين عليه السلام: ص٦٥.

(٣) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج١٠، ص١٤٠.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص١٢٧.

وتـدلّ هذه وأشـباهها من المرويّـات على ضرورة أنْ تصـدر عباداتنا وأعمالنا عن وعيٍّ ومعرفةٍ، لا عن جهل وتقليد أعمى.

ومنهـا: أنّنا مأمورون بأنْ نُقدّم تراث آل محمَّد ونُصدّر مفاهيم نهضة الحسـين عليه السلام بصـورة لائقة ومقنعة وجاذبة؛ فقد اشـتُهر عن الإمام الصـادق عليه السلام قوله: «... **كونوا لنـا زيناً ولا تكونوا علينا شـيناً، قولوا للناس حُسـناً، واحفظوا ألسـنتكم، وكفّوها عن الفضـول وقبيح القول**»[1]، واشـتُهر عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «**رحـم الله عبداً أحيا أمرنا. فقيل له: وكيف يُحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا، ويعلّمها الناس؛ فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا**»[2].

ومنها: الاستبسال في القتال والذبِّ عن المبادئ والعقيدة، ويكون ذلك من خلال التخطيط الاستراتيجي الواعي والتكتيك العسكري العالي، لا من خلال الانكشاف أمام أسلحة العدوّ والبروز للموت بحجّة الشهادة؛ لأنّ الشهادة ثوابٌ يُستوفى نتيجة الاستبسال في الذبّ عن الحقّ، وليست غاية بحدِّ ذاتها.

نتائج البحث

١ ـ اسـمه ـ على الأرجح ـ عابس بن أبي شـبيب الشـاكري، خلافاً لما هو شـائع عندنا في التعزيات والتشابيه.

٢ ـ لم يثبت كون البطل عابس أسود البشرة، ومنشأ هذا الوهم عبارةٌ مُصحَّفة.

٣ ـ وُصِفَ عابس بـ(أسد الأُسُود) لشجاعته.

٤ ـ لـمّا رأى إحجام الأعداء عن قتاله بعد أن عرفوه، ألقى ملابس حربه، (الدرع والمغفر) فقط، اسـتدراجاً لهم إلى القتال، ولم يُلْقِ سيفه، ولا مزّق ملابسه ولا ألقاها.

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٤٨٤.

(٢) الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج٢٤، ص٤٩٦.

٥ ـ لم يثبت أنّه قال: (حبُّ الحسين أجنَّني).

٦ ـ كان عابس رجلاً واعياً وسياسياً ثورياً، ولم يكن مجنوناً ولا صوفياً مولوياً.

٧ ـ استبسل في قتال أعداء الحسين عليه السلام بشجاعةٍ فذّة، ولم يُسلِّم نفسه لقمةً سائغةً للموت.

٨ ـ لم يقتله رجل واحد، ولا طعنه سِنان واحد! بل عدّة محاربين، كلُّهم كوفئوا على ذلك.

٩ ـ الشهادة التي تعني الجنّة في المرادف الذهني، هي نتيجةُ الدفاع عن الحقّ المقدّس وليست غايةً بحدّ ذاتها.

دور الزيارة الأربعينية في الإصلاح

الشيخ محمد رضا الساعدي*

مقدّمة

كانت وما زالت الثورة الحسينية ثورة الإصلاح الأكبر، ليس عند أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فحسب، بل عند أحرار العالم أجمع، فمع مرور ما يقارب أربعة عشر قرناً ما زالت شعلتها الوقّادة تلتهب في قلوب المؤمنين خاصّة والأحرار عامّة، وما زالت التضحية التي رسمها الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه في عاشوراء، تُنير درب الثوّار وتشحذ الهمم في كلّ بقاع الأرض، فكان الجود بالنفس سمة النصر الحسيني، وأصبح هذا الدم الطاهر مادّة السّقاء لشجرة التحرّر والفداء والتضحية من أجل العدل والإصلاح والنهوض والإباء.

ومن عظمة هذه الثورة، أنّها أوجدت مظاهر وشعائر أضافت إصلاحاً وتوعيةً إلى الإصلاح الذي أوجدته أصل الثورة، وهذا ما لا نجده في غيرها.

وكان عنصر الخلود والتجدّد والمعاصرة ممّا امتازت به ثورة الحسين عليه السلام، كما ورد في الرواية عن جدّه العظيم محمد صلى الله عليه وآله: «**إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً**»[1].

وبعد أن انحرفت الأُمّة عن مسارها الصحيح أراد الحسين عليه السلام بدمه ومهجته أن يوقظها ممّا هي عليه، فصَدَع بمقولته المشهورة: «**وأنّي لَمْ أخرج أشراً ولا بطراً، ولا**

---

* باحث إسلامي، من العراق.

(١) النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٣١٨.

مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي ﷺ، أُريدُ أن آمُر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمَن قبلني بقبول الحقّ فالله أَولى بالحقّ، ومَن ردّ عليّ هذا، أصبر حتّى يقضي الله بَيْنِي وبين القوم بالحقّ، وهو خير الحاكمين»[1].

وهذا الإصلاح الذي استهدفه الإمام الحسين عليه السلام هو الإصلاح العام الشامل لكلّ النواحي، سواء كانت دينية، أو فكرية، أو أيديولوجية، أو تربوية، أو سياسية. فهو لم يستهدف الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الممارسات الفردية فحسب، بل استهدف الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الجماعي أيضاً، فكما أنّ هناك منكراً فردياً ومعروفاً فردياً، كذلك هناك منكر جماعي ومعروف جماعي، قد تمارسه جماعة سياسية فيكون منكراً سياسياً، أو جماعة اقتصادية فيكون منكراً اقتصادياً، أو جماعة تربوية، أو فكرية، أو إعلامية... وغير ذلك.

ونستطيع القول: إنّ العملية الإصلاحية التي كان الحسين عليه السلام يستهدفها ليست إصلاح الأوضاع في زمانه فحسب، بل الإصلاح في كلّ الأزمنة، ولعلّ الإصلاح في كلّ الأزمنة كان هدفه الأساسي؛ لمعرفته عليه السلام أنّ أهل زمانه غير قابلين للإصلاح، وقد أشار إلى هذا المعنى في خطبته: **«ويلكم، ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي، وإنّما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمَن أطاعني كان من المرشَدين، ومَن عصاني كان من المهلَكين، وكلّكم عاصٍ لأمري غير مستمع قولي، فقد مُلئت بطونكم من الحرام، وطُبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟! ألا تسمعون؟!»**[2].

إنّ هناك مظاهر عديدة وصوراً متنوّعة للإصلاح في شعائر الحسين عليه السلام، منها: مظهر الخطابة الحسينية، والشعر الحسيني، والزيارة الحسينية وغيرها، ونموذجنا في هذا المقال هو زيارة الأربعين المليونية العالمية المباركة، حيث أصبحت تلك الزيارة

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) المصدر السابق: ج٤٥، ص٨.

مظهراً عالمياً، ورسالة كبرى في الإصلاح بكلّ نواحيه، وهنا نقف بصورة مختصرة على مفردة الإصلاح فحسب، تاركين فوائد الزيارة الأُخرى؛ دفعاً للإطالة والخروج عن هدف البحث، مستعرضين ذلك في عدّة محاور:

المحور الأول: الإصلاح المعنوي والروحي

من أهم ما يُسهم في الإصلاح الفردي والاجتماعي هو بناء شخصية المؤمن بناءً روحياً ومعنوياً؛ ليكون مؤهّلاً للقيام بوظيفته الشرعية تجاه ربّه ونفسه ومجتمعه، وهناك آليات عديدة لبناء الشخصية الإسلامية عموماً، ولعلّ أهمّ تلك الآليات هو اتخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها، والتزوّد بالعلم والمعرفة وغيرها، وبناء هكذا شخصية يجعل الإنسان قوياً وصبوراً أمام المصاعب والشدائد، ويُوجِد عنده نفساً عزيزة تأبى الذلّ والمسكنة، فيصبح شجاعاً وصادقاً وأميناً، وغير ذلك من الصفات الحميدة.

ومن الآليات المهمّة أيضاً هو انتهاج السلوك العبادي، واتخاذه وسيلة للتقرّب إلى الله، وبناء الملَكات والفضائل النفسانية، وكسر الشهوات ومحو الرذائل، فالصلاة ـ مثلاً ـ لها آثار معنوية كبيرة كما صرّحت الآيات والروايات، فهي حصانة للإنسان من الوقوع في الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1]، وهي وسيلة يتقرّب بها العبد إلى الساحة الإلهية، ويبتعد بها عن الخطط الشيطانية، كما جاء في الحديث: «**الصلاة قربان كلّ تقي**»[2]، وهي سبيل للعروج إلى الربّ، فقد ورد: «**الصلاة ميزان أُمّتي**»[3]، إلى غير ذلك من الآثار.

وهكذا الصوم، والحج، والجهاد، وأداء الحقوق الشرعية، وغيرها، كلّ له آثاره في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتربيتها تربية إسلامية.

---

(١) العنكبوت: آية٤٥.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٢٦٥.
(٣) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج٣، ص٣١.

وزيـارة الأربعـين ـ وبالخصـوص مشـياً ـ تمثّـل ممارسـة عبادية متنوعـة وطويلة الأمد ـ زماناً ومسـافة ـ وتشـابه إلى حدّ ما موسـم الحج، من حيـث التنوّع العبادي، والجهد المعنوي، والتعبوي، فتُمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة، والصلاة ـ خصوصاً صلاة الجماعة ـ والتسـبيح، والوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء، والمشي ـ بناء على كونه عبادة كما هو الصحيح ـ وغيرها.

وهـذه الممارسـات العبادية المتنوعـة، خصوصاً عنـد تكرارها، تخلق جـوّاً روحياً عاليـاً من خلال مـا يحصده المؤمن من الأجر والثواب، لا سـيّما وأنّه يتحمّل متاعب المـشي، والحـرّ والبرد، وتـورّم الأقـدام، وغير ذلك مـن المصاعب، كـما كان يتحمّل الجوع والخوف في زمن الطغاة. وهذا يخلق شخصية دينية صلبة الإيمان تكون مؤهّلة لممارسة دورها الشرعي.

بعض روايات المشي وثوابه

وردت روايات مستفيضة، بل متواترة وصحيحة، في المشي وأهمّيته العبادية، منها:

١ ـ عن أبي الصامت، قال سـمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**مَن أتى قبر الحسـين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكلّ خُطوةٍ ألف حسنةٍ، ومحا عنه ألف سيئةٍ، ورفع له ألف درجةٍ...**»[1].

٢ ـ عـن عـلي بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**يا عليّ، زُر الحسـين ولا تدعـه. قـال: قلـت: ما لـمَن أتاه من الثـواب؟ قال: مَن أتاه ماشـياً كتب الله له بكلّ خُطوةٍ حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة، فإذا أتاه وكّل الله به ملكين يكتبان ما خرج مـن فيـه من خير، ولا يكتبان ما يخرج مـن فيه من شرٍّ ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودّعوه وقالـوا: يـا وليّ الله، مغفوراً لك أنت من حزب الله، وحزب رسـوله، وحزب أهل بيت رسوله، والله، لا ترى النار بعينك أبداً ولا تراك، ولا تطعمك أبداً**»[2].

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٣٢.

(٢) المصدر السابق.

٣ـ عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام، فله إذا خرج من أهله بأوّل خُطوةٍ مغفرة ذنوبه، ثمّ لم يزل يُقدّس بكلّ خُطوةٍ حتّى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله تعالى، فقال: عبدي، سلني أُعطك، ادعني أُجبك، اُطلب منّي أُعطك، سلني حاجةً أقضها»[1].

وغير ذلك من الروايات، وهي واضحة في دور المشي لزيارة الحسين عليه السلام في البناء المعنوي وتحصيل الأجر الرافع للدرجات، وهو ممّا يحتاج إليه كلّ مؤمن لتحقيق سعادة الدارين.

المحور الثاني: الإصلاح الاقتصادي

إنّ القوّة الاقتصادية وتأمين الوضع المالي واحدة من أهمّ مقوّمات نجاح الأُمم والحركات بعد الموارد البشرية، وكذلك معرفة كيفية إدارة المال، وعدم الإسراف والتبذير، وحُسن الاقتصاد بالصرف يُشكّل دعامة اقتصادية أُخرى.

فالمال له أهمية كبيرة في بناء الفرد والمجتمع، ودور مهم في خلق حياة سعيدة وأُسرة صالحة وحياة آمنة، فيما إذا أحسن الإنسان التصرّف به، وإلّا فيمكن أن يكون وبالاً على صاحبه، فهو سلاح ذو حدّين.

والقرآن في اللحظة التي يُبيّن فيها أنّ المال زينة في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[2]، يُبينّ كذلك أنّه فتنة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌ﴾[3]، فهو زينة فيما لو صانه الإنسان ووضعه في موضعه، واتخذه وسيلة للآخرة، وكفى به نفسه وعياله ومجتمعه وأُمّته الإسلامية، وقضى حوائجهم، وهو فتنة وعذاب إذا ما ضيّعه وبذّره، وجعله وسيلة للدنيا، والشهوة والحرام، وانتهاك الأعراض، وقتل

(١) المصدر السابق.
(٢) الكهف: آية٤٦.
(٣) الأنفال: آية٢٨.

النفوس. وقد بيّنت الروايات هذه الحقيقة، ومدحت المال مع الدّين، وذمّت المال إذا كان وسيلة للعصيان، ووازنت بين النظرتين(١).

ومن الممارسات الإيجابية في مجال المال والاقتصاد هو ما تقوم به جموع المؤمنين من توظيف القدرة المالية في إحياء هذه المناسبة، من خلال الصرف المالي على المواكب وإطعام ملايين الزائرين، وهو عمل يكشف عن قدرة اقتصادية كامنة في الأُمّة الحسينية، فلا ميزانية مالية، ولا دعم دولة ولا حزب، وإنّما هو تمويل من جمهور الحسين عليه السلام لزوّاره، وهذا التمويل الهائل ما هو إلّا ممارسة وتدريب اقتصادي على الصرف المالي المنضبط الذي يمارسه الحسينيون؛ لتحقيق الإصلاح الاقتصادي في الحياة الفردية والاجتماعية، ولم تكن هذه الممارسة والاستعداد للصرف، بل الصرف الفعلي، لولا هذه الزيارة المباركة، خصوصاً وأنّ بعض المؤمنين يقاسم زوّار الحسين عليه السلام قوت عياله ومؤونته السنوية، بل بعضهم يبيع بيته أو سيارته ويشتري ما هو أقلّ من قيمتها إذا لم يكفِ ما جمعه للموسم.

فهكذا عمل يصدر من هكذا جمهور حسيني يمكن أن يؤهّله لتكوين مجتمع ملتزم وواعٍ، ويقوده إلى برّ الأمان، ويبني له اقتصاداً رصيناً يتكفّل بسدّ حاجة الأُمّة.

المحور الثالث: الإصلاح التعبوي

من المفاهيم المهمّة في عالم الدعوة واستقطاب الجماهير والأنصار هو مفهوم التعبئة، وهو عبارة عن قوّة شعبية كامنة أو ظاهرة، لها حضورها في كلّ نواحي الحياة؛ لخدمة الوطن أو المواطن، وهي على أنواع: فقد تكون تعبئة عسكرية، أو إعلامية، أو اجتماعية، وغير ذلك، ومن أهم أنواعها هي التعبئة الاجتماعية، وهي: «**تحريك واستنفار المجتمع بكلّ قطاعاته للمشاركة الإيجابية؛ لتحقيق الأهداف المطلوبة. لا بدّ أن**

---

(١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٥٧ وما بعدها، حيث وازن بين إشكالية كون المال فتنة وكونه زينة.

تشـمل التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع، من المسؤولين الرسميين والسياسيين، قادة الرأي، القادة المحلّيين، وجموع المواطنين»[1].

وهـذا ما يحصل فعلاً في زيارة الأربعين، فإنّ هنـاك تعبئة جماهيرية عامّة؛ لتحقيق هدف ديني مهم في حياة الفرد والمجتمع.

إنّ من أهم ما تحتاج إليه كلّ دعوة، سماوية كانت أم أرضية، هو وجود قوّة معنوية أو مادّية، أو شخصية قيادية تمتلك (كاريزما) عالية، تستطيع أن تخلق جمهوراً وأتباعاً من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تُقدّم الولاء والخدمة مجّاناً وبلا مقابل.

والملاحـظ أنّ أيّ جهـد في زيـارة الأربعين لا يُبـذل في التعبئة الجماهيريـة، بل إنّ الجمهور مُقبل على الزيارة بلا نظير، وكثير منهم يُنفق أموالاً وجهداً مضاعفاً في تلك الأيّام، ويبتهج بهذا الصرف والجهد.

وهـذا العمل التطوّعي العظيم لا تجد له نظيراً في كلّ العالم، وهو مفخرة يتميّز بها أتباع آل البيت عليهم السلام، وثمرة من ثمرات النهضة الحسينية الخالدة، فدور زيارة الأربعين في تعبئـة المؤمنين لأيّ طارئ واضحـة وفعّالة، من خلال الحرارة التي أوجدها مقتل الحسين عليه السلام في قلوبهم.

المحور الرابع: الإصلاح الاجتماعي

مـن أبرز مـا يُميّز المجتمع الناجح والصالح هو قوّة الترابط الاجتماعي بين أفراده وعملهـم مجتمعين؛ لإنجاز مهامهم المناطة بهم، ممّا يُسـاعد على البناء السـليم لجميع مفاصـل الحياة الفردية والاجتماعية، ويسـاعد على أن ينال كلّ فـرد فرصته فيها؛ لذا نجـد الروايات قـد اهتمت كثيراً بالترابـط الاجتماعي بين أفـراد المجتمع، ومن هذه الروايات:

---

(١) الرشيد كشك، مقال بعنوان: (مفهوم التعبئة الاجتماعية)، نشر على الشبكة العنكبوتية: *http:// aldamazin.ahlamontada.net/t2-topic#top*

عن مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**عليكم بالصلاة في المساجد، وحُسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنّه لا بدّ لكم من الناس، إنّ أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض**»[1].

وعن حبيب الخثعمي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، واحضروا مع قومكم مساجدكم، وأحبّوا للناس ما تحبّون لأنفسكم، أَما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جارُه حقَّه ولا يعرفُ حقَّ جاره**»[2].

وعن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**... صِلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدّى الأمانة، وحسُن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، فيسرّني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور...**»[3].

إلى غيرها من الروايات وآداب التعاشر والتواصل الاجتماعي[4].

وبالمقابل فإنّ من أبرز ما يدمّر المجتمع هو كثرة النزاعات والخلافات والتحزّبات، وتحوّله إلى شيع يتلاعب بها الظلمة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[5]، وهذه سنّة قائمة يتّخذها الظالمون لإضعاف المجتمع.

كما أنّ التنازع سبباً واضحاً لهدر الطاقات وضياع الفرص، والتراجع الفردي والاجتماعي على كلّ المستويات؛ لذا يحرص علماء الاجتماع في البلدان على خلق جوٍّ

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٣٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص٢٣٦.

(٤) أُنظر: آداب العشرة في الوسائل أو غيرها من الموسوعات الحديثية.

(٥) القصص: آية ٤.

اجتماعي بين أفراد مجتمعاتهم، بعيداً عن الخلافات والصراعات والشتات، والحرص على خلق روح التعاون والمحبّة، وتقوية الروابط الاجتماعية والأُسرية.

والذي يلاحظ الزيارة الأربعينية يرى قوّة الترابط بين أفراد الزائرين، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء، أغنياء وفقراء، رؤساء ومرؤوسين، فلا تميّز بين غنيّ أو فقير، ولا بين مشهور أو مغمور، وغيرهم، فالكلّ سواسية، بل في بعض الأحيان تنقلب الموازين، فترى الكبير يخدم الصغير، أو المشهور يخدم المغمور، أو الرئيس يخدم المرؤوس، وهكذا، فيتجلّى الترابط الاجتماعي بأروع الصور، وبأجمل ما يكون؛ وكلّ ذلك نابع من الزيارة الأربعينية المباركة.

وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين أفراد المدن والدول فحسب، بل بين الشعوب أيضاً، فهناك جماهير من عشرات الدول تلتقي فيما بينها، فتكون زيارة الأربعين سبباً في خلق أواصر ووشائج قوية بين الشعوب.

إضافة إلى ذلك، هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان بسبب حروب أو غيرها، نراها تضمحلّ وتذوب بسبب هذا الملتقى العام في زيارة الأربعين، فزيارة الأربعين تجعل الترابط الاجتماعي ليس بين أبناء بلد ما فحسب، بل بين الشعوب والبلدان الأُخرى؛ ممّا يُعزّز خلق نسيج اجتماعي كبير، يربط دولاً وشعوباً فيما بينها، على الرغم من اختلافها باللغة، أو اللون، أو الثقافة، أو غيرها؛ لخلق مجتمع صالح ومصلح.

وتمتاز زيارة الأربعين بكونها عاملاً مساعداً على إلغاء الطبقية، والقطرية، والعرقية، والقومية والعنصرية، وأنّها تعمّق الوجود التعارفي الذي عُبِّر عنه في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1]، وكذلك هي فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين

(١) الحجرات: آية٢٦.

أُمّـة الإيـمان، ومجال للحوار على أُسـس دينيـة تمهّد لظهور الإمـام الحجة عليه السلام وعالمية دعوته.

المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي

إنّ تحصين الأُمة فكرياً وعلمياً يُعدّ من الواجبات التي تقع على عاتق المؤسّسـات الدينية، ولعلّ تسويق المعلومة إلى الجمهور يُعدّ من أهم المشاكل التي تواجه المُبلّغ؛ لذا يجب علينا استـثمار المواسم التي يسهل فيها تسـويق المعلومات إلى الجمهور، والمتابع لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام يرى أنّهم يدأبون على استثمار المواسم العبادية لإيصال صوتهم إلى الجماهير، كما في مواسم الحج والعمرة، وصلاة العيد، والجمعة والجماعة، والمجالـس والمآتم الحسـينية، فكانت لهـم خطب وكلمات ومواقف في تلك المواسـم سـجلّها التاريخ، ونقلتها الأحاديث، فشـعائر الحسـين عليه السلام عمومـاً وزيارة الأربعين خصوصـاً من أهم الوسـائل لتسـويق المعلومات الدينية إلى الجمهـور في هذه الأيّام.

إنّ خلـق مجتمع مُتعلّم على سـبيل النجاة يُعـدّ من أبرز ركائز البنـاء الديني للفرد والمجتمـع، بل هو قوام للدين والدنيا، كما ورد عن أمير المؤمنين: «**قوام الدين والدنيا بأربعـة: عالم مسـتعمل علمـه، وجاهل لا يسـتنكف أن يتعلّم...**»[1]. ومـن جملة البناء الدينـي المهـم للمؤمـن هو بنـاؤه على كافـة الصُّعد، عقيـدةً وفقهاً وأخلاقـاً؛ وذلك من خلال اسـتثمار ذلك الموسـم لتبليغ تلك العلـوم للناس، وتعريفهـم بتفاصيلها، وتحصينهم فكرياً ضدّ الدجّالين والمدّعين والمشـوّهين؛ فيكون موسـم الزيارة موسم تبليغ وترويج وتطبيق للدين والتديّن، ويقع هذا التبليغ على عاتق الجميع، خصوصاً أهـل التخصّـص الدينـي، من خـلال إلقـاء المحـاضرات والإرشـادات والنشرات والكتب وغيرها.

---

(١) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٣، ص٥٤٠.

العدد التاسع عشر ـ السنة الخامسة ـ ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

المحور السادس: الإصلاح الأمني

تشكّل الحصانة الأمنية للشعوب والدول ركيزة أساسية في البناء السليم لها ودفع المخاطر عنها؛ لذلك تقاس قوّة الدول وقدرتها على مقاومة المخاطر بقوّة نظامها الأمني العام.

إنّ التحصين الأمني يُعدّ اليوم من أهم مقوّمات النجاح لأيّ حركةٍ تُريد الإصلاح والتغيير، وهذا التحصين الأمني لا ينفع كثيراً إذا لم يخرج من النظرية إلى التطبيق، فلا يُكتفى بمعرفة البناء الأمني والمباني الأمنية من دون أن تحوّل تلك المعرفة إلى تطبيق عملي على أرض الواقع.

وقد أسّس آل البيت عليهم السلام نظاماً أمنياً كبيراً ـ يستحقّ دراسات مستقلّة ـ في كيفية التعامل مع الصديق والعدو، ولعلّ من أهم مصادره روايات التقيّة[١]، وروايات كشف الأسرار والإذاعة[٢]، فهي تؤسّس لنظام أمني محكم في التعامل العام وكيفية تحصين الأُمّة المؤمنة.

وزيارة الأربعين هي بناء وتدريب أمني معمّق لعموم المكلّفين، وبالأخص لأصحاب المسؤولية في المواكب والزيارة، فهم يعملون على عدم السماح بالاختراق لأيّ شخصٍ غريبٍ أو غير معروفٍ، سواء داخل الموكب أم أثناء المسير، أم ممَّن يوزّع الطعام أو غير ذلك من الخدمات، حتّى مَن يُشتبه به، فإنّه يبقى تحت المراقبة والاختبار، حتّى يُرفع اللبس عنه، ويتبيّن أمره، ويُلاحظ ذلك بشكل كبير، خصوصاً ممّن لهم تجربة كأصحاب المواكب والخدمات والزائرين، فإنّهم يلاحظون حركات وتصرّفات وسكنات الزائر وتوجّهاته، وحتى كلامه ومواقفه، ويسهرون إلى الصباح للحفاظ على أمنه وممتلكاته وحرمته، ويحرصون على أمن الزائرات المؤمنات؛ لذا تجد

---

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٢٠٣.

(٢) المصدر السابق: ص٢٤٧ .

أنّ المرأة تعيش أيّام الزيارة حالة من الأمن والطمأنينة، فلا تخاف على نفسها، ولا على مالها، ولا على حياتها، ما دامت سائرة في هذا الطريق المبارك. وهذا كلّه بفضل النظام الأمني المتقن الذي توجده زيارة الأربعين، وهو يفوق كلّ الأنظمة الأمنية في العالم حتّى في الدول العظمى.

إذن؛ هذا البناء العملي الأمني يُعطينا دروساً عمليةً تنفعنا كثيراً في مجالات الحياة والإصلاح.

المحور السابع: الإصلاح الأخلاقي

من أهم المبادئ التي ركّز عليها التشريع، هو خلق ملكات أخلاقية وصفات نفسانية في الفرد والمجتمع، وقد دأب المشرّع على التنظير لذلك بعشرات الآيات ومئات الروايات من جهة، ومن جهة أُخرى أرسل الأنبياء والرسل لحثّ الناس على العمل بمكارم الأخلاق.

وزيارة الأربعين تُعتبر من الدروس الأخلاقية العملية، التي تُكوّن في أنفسنا الملكات الأخلاقية من جهة، وتكشف عن تجسيد تلك الملكات وانعكاسها على أفعالنا وتعاملنا مع الآخرين من جهة أُخرى، ففي زيارة الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام عدّة معطيات أخلاقية نذكرها إجمالاً:

١ـ الصبر: فإنّه قيمة أخلاقية عالية أكّدتها الآيات والروايات، وإليك جملة منها:

أمّا الآيات فكما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[١].

أمّا الروايات، فمنها:

ما عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «... **الصبر يُعقب خيراً،**

---

(١) البقرة: آية١٥٥ـ ١٥٧.

فاصبروا ووطّنُوا أنفسكم على الصبر تُوجروا»(١).

وعن حمزة بن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**الجنّة محفوفة بالمكاره والصبر، فمَن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنّة، وجهنّم محفوفة باللذات والشهوات، فمَن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار**»(٢).

وعن أبي سيّار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**إذا دخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبرّ مُطلٌّ عليه، ويتنحى الصبر ناحيةً، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبرّ: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه**»(٣).

فتبيّن أنّ الصبر له قيمة معنوية عالية، وأثرٌ بالغ في الدنيا، وأجرٌ عظيم في الآخرة، والمشي لزيارة الأربعين وتحمّل الصعاب وعناء السفر لهو من المصاديق الواضحة للصبر، خصوصاً المشي من أماكن بعيدة، مع كثرة الزحام والابتلاءات.

إذن؛ زيارة الأربعين تعطينا دروساً عملية في الصبر وتحمّل الأذى والجوع والألم وغير ذلك؛ ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى.

٢ـ التواضع: وهو سمة من سمات وفضائل المؤمن، إذ يقع في قبال رذيلة التكبّر، وقد وقع التواضع موضوعاً للمدح في العديد من الآيات والروايات.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٥).

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٨٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق: ص٩٠.
(٤) الفرقان: آية٦٣.
(٥) الحجر: آية٨٨.

ومن الروايات نذكر ما جاء في مستدرك الوسائل عن مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «التواضع أصل كلّ شرفٍ، وخيرٍ، ونفيسٍ، ومرتبةٍ رفيعةٍ، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيّات العواقب، والتواضع ما يكون لله، وفي الله، وما سواه مكر، ومَن تواضع لله شرّفه الله على كثيرٍ من عباده، ولأهل التواضعِ سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة، وأهل الأرض من العارفين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾، وقال أيضاً: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ الآية. وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته، وليس لله عزّ وجلّ عبادة يقبلها ويرضاها إلّا وبابها التواضع، ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلّا المقرّبون من عباده، المتّصلون بوحدانيّته، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾، وقد أمر الله عزّ وجلّ أعزّ خلقه وسيّد بريّته محمداً صلى الله عليه وآله بالتواضع، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء، وإنّهن لا ينبتن إلّا منها وفيها، ولا يسلم الشوق التام الحقيقي إلّا للمتواضع في ذات الله تبارك وتعالى»[1].

ويطبّق الإنسان ـ أثناء المشي إلى كربلاء ـ تمارين في التواضع والبساطة، فيبيت على فراش غير لائق، أو يأكل الشيء القليل، أو يمشي في الطرق الوعرة، أو يخدم غيره من الزوار، أو يبتدأ بالسلام على مَن يلاقيه، وهذه كلّها من علامات التواضع، ففي (مشكاة الأنوار) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على مَن لقيت، وتردّ على مَن سلّم عليك، وأن ترضى بالدّون من المجلس، ولا تُحبّ المدحة والتزكية»[2].

كما أنّ ما يقدّمه أصحاب المواكب هو من أعظم صور التواضع، فيقومون بفرش

---

(١) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج١١، ص٢٩٨.

(٢) الطبرسي، علي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ص٢٠٠.

الفراش للزوّار، وإطعامهم، والسهر على خدمتهم، وتوفير كلّ ما يحتاجون إليه تواضعاً لله وخدمة لعنوان: (زائر الحسين).

٣ـ الإيثار: فإنّ من الكمالات التي تكشف عن رقي الإنسان اتّصافه بالإيثار، وقد جاءت الآيات والروايات مادحة لهذه الصفة.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٢].

ومن الروايات، ما عن علي بن سويد السائي، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: قلت له: **«أوصني. فقال: آمرك بتقوى الله. ثمّ سكت، فشكوت إليه قلّة ذات يدي، وقلت: والله، لقد عريت حتّى بلغ من عريتي أنّ أبا فلان نزع ثوبين كانا عليه وكسانيهما. فقال: صم وتصدّق. قلت: أتصدّق ممّا وصلني به إخواني وإن كان قليلاً؟ قال: تصدّق بما رزقك الله ولو آثرت على نفسك»**[٣].

وعن أبان بن تغلب، قال: **«كنت أطوف مع أبي عبد الله عليه السلام، فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجة، فأشار إليّ، فكرهت أن أدع أبا عبد الله عليه السلام وأذهب إليه، فبينا أنا أطوف إذ أشار إليّ أيضاً، فرآه أبو عبد الله عليه السلام، فقال: يا أبان، إيّاك يُريد هذا؟ قلت: نعم. قال: فمَن هو؟ قلت: رجل من أصحابنا. قال: هو على مثل ما أنت عليه. قلت: نعم. قال: فاذهب إليه. قلت: فأقطع الطواف. قال: نعم. قلت: وإن كان طواف الفريضة. قال: نعم. قال: فذهبت معه، ثمّ دخلت عليه بعدُ، فسألته، فقلت: أخبرني عن حقّ المؤمن على المؤمن. فقال: يا أبان، دعه لا تردّه. قلت: بلى جُعلت فداك! فلم أزل أُردّد عليه فقال: يا أبان، تقاسمه شطر مالك. ثمّ نظر إليّ فرأى ما دخلني، فقال:**

(١) الحشر: آية٩.

(٢) البقرة: آية٢٠٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص١٨.

يا أبان، أَما تعلم أنّ الله عزّ وجلّ قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟ قلت بلى جُعلت فداك. فقال أمّا إذا أنت قاسمته فلم تُؤثره بعدُ، إنّما أنت وهو سواء، إنّما تُؤثره إذا أنت أعطيته من النّصف الآخر»[1].

وفي زيارة الأربعين نجد مصاديق الإيثار واضحة، فإنّ تقديم الآخرين على النفس من أعظم ما يقوم به السائر إلى الحسين عليه السلام، والخادم في موكبه، فيقدّم مصلحة الزائر على مصلحة نفسه، وراحة الزائر على راحة نفسه، ويُنفق من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله، وهكذا يتعلّم من الزيارة درساً عظيماً في الإيثار.

٤ـ التضحية: إنّ السائر إلى زيارة الحسين عليه السلام يقدّم الجهد الجهيد والتضحية بماله ووقته وراحته؛ لأجل إحياء هذه الشعيرة، وفي ذلك تطبيع للنفس على التضحية من أجل المبادئ والقيم السامية، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك في دعائه لهم: «**... اغفر لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم؛ رغبةً في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا... وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غُربتهم عن أوطانهِم، وما آثرُونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم...**»[2].

٥ ـ العفّة: وهي من الصفات التي ركّزت عليها الشريعة في البطن والفرج، بل وصفت العفّة بأنّها من أفضل العبادات، وجاءت النصوص مبيّنة لذلك:

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾[4].

---

(١) المصدر السابق: ج٢، ص١٧١.

(٢) المصدر السابق: ج٤، ص٥٨٢.

(٣) المؤمنون: آية٥.

(٤) الأحزاب: آية٣٥.

ومن الروايات ما عن المُفضّل، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**إيّاك والسّفلة، فإنّما شيعة عليّ مَن عفّ بطنه وفرجه، واشتدّ جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أُولئك فأُولئك شيعة جعفر**»[1].

إذا كانت الزيارة تشمل الرجال والنساء، فهنا تبرز العفّة في التعامل مع الجنس الآخر من خلال غضّ البصر، وحفظ اللسان واليد عن التعدّي، والالتزام بالحجاب الشرعي، والتعامل مع الآخر بأنّه من المحارم كما ورد في صحيح صفوان الجمال، قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قد عرفتني بعملي تأتيني المرأة أعرفها بإسلامها، وحبّها إيّاكم، وولايتها لكم، ليس لها محرم. قال: إذا جاءت المرأة المسلمة فاحملها، فإنّ المؤمن محرم المؤمنة، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾**»[2]؛ لذا ذهب الفقهاء إلى عدم اشتراط المحرم في الحج والزيارة ما دامت المرأة مأمونة على نفسها[3].

٦ـ الشجاعة: إنّ الزيارة تُعلّم الإنسان الشجاعة في اتخاذ الموقف، والصبر على الخوف، وقوّة الإقدام، خصوصاً مع المنع منها كما كان يحصل أيّام النظام السابق، فإنّ فيها توطيناً للنفس على المواجهة والتحدّي للموت والقتل، والسجن والتعذيب، وما هذه إلّا صور رائعة من صور الشجاعة والإقدام في سبيل المبادئ والقيم الدينية؛ لذا وردت الروايات في الحث على الزيارة حتّى في مثل هكذا محن وشدائد، منها:

١ـ أجرُ مَن حُبس في طريق الحسين عليه السلام: في الوسائل عن هشام بن سالم، قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام: «**فما لمَن حُبس في إتيانه؟ قال: له بكلّ يومٍ يُحبس ويغتمّ فرحة يوم القيامة**»[4].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٣٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٤٣٩.

(٣) وقد بيّنتُ ذلك في بحث مستقل. اُنظر: مشتاق طالب، مشي النساء إلى كربلاء (قراءة في الأدلّة والنصوص الشرعية)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٥، ص٢٤٩.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، الوسائل: ج١٤، ص٤٤٢.

٢ـ أجرُ مَن ضُرب بطريق الحسين عليه السلام: في مستدرك الوسائل في حديث طويل لهشام عن الصادق عليه السلام: «**قلت: فإن ضُرب بعد الحبس في إتيانه. قال: له بكلّ ضربةٍ حوراء، وبكلّ وجعٍ يدخل عليه ألف ألف حسنة، ويُمحى بها عنه ألف ألف سيئة**»(١).

٣ـ أجر مَن مات في طريق الحسين عليه السلام: في بحار الأنوار: «**... فإن هلك في سفره نزلت الملائكة فغسّلته، وفُتح له باب إلى الجنّة يدخل عليه روحها حتّى يُنشر، وإن سلم فُتح الباب الذي ينزل منه رزقه، فجُعل له بكلّ درهمٍ أنفقه عشرة آلاف درهمٍ، وذُخر ذلك له، فإذا حشر قيل له: لك بكلّ درهمٍ عشرة آلاف درهم، وإنّ الله تبارك وتعالى نظر لك، وذخرها لك عنده**»(٢).

٤ـ أجر مَن قُتل في طريق الحسين عليه السلام: «**حدّثنا هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديثٍ له طويل، قال: أتاه رجل، فقال له: يابن رسول الله، هل يُزار والدك؟ قال: فقال: نعم. إلى أن قال: قلت: فما لـمَنْ قُتل عنده جار عليه سُلطان فقتله. قال: أوّل قطرةٍ من دمه يُغفر له بها كلّ خطيئة، وتُغسل طينته التي منها خُلق الملائكة، حتّى تخلُص كما خلصت للأنبياء المخلَصين، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر، ويُغسل قلبه، ويُشرح صدره، ويُملأُ إيماناً، فيلقى الله وهو مُخلَصٌ من كلّ ما تُخالطه الأبدان والقلوب**»(٣).

وهذه بمثابة مراكز تدريب ميدانية على الشجاعة والإقدام، وعدم التهيّب من الأعداء والطغاة، فتكون من أهم وسائل الإعداد الجهادي لأنصار الإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

٧ـ الموالاة والبراءة: من المفاهيم العقائدية التي أكّدها آل البيت عليهم السلام في نفوس أتباعهم، هو مفهوم الولاء لأولياء الله، والبراءة من أعدائهم، وهذان المفهومان لهما تأثير على المستوى العقدي، فلا إيمان حقيقي إلّا بهما، وعلى المستوى العملي لا قبول ـ

(١) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٢٧٩.
(٢) المصدر السابق: ج٤٥، ص١٧٢.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٢٣.

بل لا صحّة للعمل ـ إلّا بهما، وهذا ما أشار له الكثير من الآيات والروايات.

فمن الآيات، قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً...﴾[2].

ومن الروايات:

عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**من أوثق عُرى الإيمان أن تُحبّ في الله، وتُبغض في الله، وتُعطي في الله، وتمنع في الله**»[3].

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**كلّ مَن لم يُحبّ على الدين، ولم يُبغض على الدين، فلا دين له**»[4].

وعن أبي محمد العسكري، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رسول صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبد الله، أحبب في الله، وأبغض في الله، ووالِ في الله، وعادِ في الله، فإنّه لا تنال ولاية الله إلّا بذلك، ولا يجد رجلٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتّى يكون كذلك، وقد صارت مواخاة الناس يومكم هذا أكثرها على الدنيا، عليها يتوادّون وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً. فقال الرجل: يا رسول الله، كيف لي أن أعلم أنّي قد واليت وعاديت في الله، ومَن وليّ الله عزّ وجلّ حتّى أُواليه، ومَن عدوّه حتّى أُعاديه؟ فأشار له رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام، فقال: ألا ترى هذا؟ قال: بلى. قال: وليّ هذا وليّ الله، فواله، وعدوّ هذا عدوّ الله فعادِه، والِ وليّ هذا، ولو أنّه قاتل أبيك وولدك، وعادِ**

(١) المجادلة: آية٢٢.

(٢) آل عمران: آية٢٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٢٥.

(٤) المصدر السابق: ص١٢٧.

عدوّه، ولو أنّه أبوك أو ولدك»[1].

وزيارة الأربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لآل البيت عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم، خصوصاً إذا اكتنفتها الشعارات الدالة على ذلك، ممّا يعزّز العنصرين المهمّين في عقيدة الإنسان الحقّة، وعمله المقبول، وهذا التولّي والتبرّي يفعله زوّار الحسين عليه السلام من خلال إحياء الشعائر التي يمارسونها في شعيرة الأربعين؛ استجابة لأمر آل البيت عليهم السلام، وغيظاً لأعدائهم، وقد أشارت الروايات لذلك، منها: ما تقدّم قبل قليل، من قول الإمام الصادق عليه السلام: «... **اغفر لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي الحسين الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم؛ رغبة في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا...»** [2].

وفي هذه الصور الولائية البرائية عدّة أُمور:

أـ إيصال رسالة إلى العالم أجمع بأنّنا سائرون على هذا النهج الذي رسمه آل البيت عليهم السلام، خصوصاً الإمام الحسين عليه السلام، في رفض الظلم، والدفاع عن عقيدة الأُمّة وإصلاحها، ولو كلّف ذلك حياتنا.

ب ـ إيصال رسالة بأنّنا رافضون للنهج التكفيري والأُموي، المستبيح للنفوس والأعراض والأموال؛ لأغراض سلطوية ودنيوية، وأنّ هذا النهج لا بدّ أن يُحارب؛ كي لا يتكرّر في التاريخ.

ج ـ إيصال رسالة للعالم بأنّ مذهب آل البيت عليهم السلام هو مذهب الاعتدال والإنسانية والإصلاح، وأنّ معيار موالاة أهل طاعة الله وبغض أهل معصية الله وسيلةٌ لإصلاح العباد والبلاد، وردعٌ للظالمين، وتقويةٌ للمؤمنين، وأنّ الناس لا تقاس على أساس العِرق، أو اللون، أو القرابة، وإنّما على أساس الإيمان والتقوى والولاء لله وأوليائه،

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٦، ص٢٣٦.

(٢) المصدر السابق: ج٤، ص٥٨٢.

والبراءة من الشيطان وأتباعه من الجنّ والإنس.

٨ ـ **التدرّب على التعايش السلمي مع الآخر**: من أهم الإشكاليات التي تواجه الأُمم والديانات هو التدرب على التعايش السلمي مع الآخرين، وكيفية التعامل معهم وعدم إلغائهم فكرياً، أو معنوياً، أو حتّى مادياً، وهذا ما تسعى لتحقيقه المنظّمات الدولية المعنيّة بذلك، وكذلك منظّمات المجتمع المدني، وتجعل برامج لذلك، وتعمل على الحدّ من وقوع الصراعات ونشوء حركات وتوجّهات تدعوا للقتل والتقاتل، كالحركات النازية، أو الشعوبية، أو الوهابية، أو ما تمخّض عنها كـ(داعش، والقاعدة، والنصرة، وأخواتهن).

وهذا ما جاء به الدين الحنيف من رسم علاقتك مع الآخر، وإن اختلف معك في المذهب، أو العرق، أو الدين، وذلك على أُسس لا تكفير فيها، ولا قتل، إلّا إذا ابتدأ هو الحرب، أو تعدّى على مقدّساتك ومعتقداتك، بل إنّ الإسلام رسم لنا نمطاً في التعاطي مع الأعداء[1].

وأبرز نموذج لذلك هو عهد مالك الأشتر، فقد حدّد أمير المؤمنين مجمل علاقتك بالناس من خلال العهد المبارك، الذي هو برنامج أساسي للعلاقات الداخلية والخارجية، والذي جاء فيه: «**وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق مَن ولّاك...**»[2].

والزيارة بهذه السعة المليونية تُعتبر موسماً للانفتاح على حضارات ولغات

(١) أُنظر: بحث (نمط التعاطي مع الأعداء)، مجلّة المنهج: العدد٢.

(٢) نهج البلاغة: ج٣، ص٨٤.

وثقافات العالم؛ وذلك يجعلنا نكتسب خبرة عالية في التعامل مع الآخر حتّى مع اختلافنا معه في اللون، أو القومية، أو الثقافة، أو البلد، أو المذهب، أو الدين.

٩ـ إلغاء الطبقية والتعالي والتكبّر: تُعدّ الطبقية بين أفراد المجتمع مرضاً ينسف المجتمعات؛ ممّا يُنتج التعالي والتكبّر واستعباد الآخر بسبب السلطة أو المال أو الجاه، فيحتاج الإنسان إلى ما يكسر جموح النفس، ويضعف هذه الصفات، ولعلّ أهمّ عامل لذلك هو التعاطي العملي والتعايش الميداني مع أفراد المجتمع، وموسم الأربعين إنّما هو درس عملي لإلغاء التكبّر والتعالي، خصوصاً ما يمارسه أصحاب المواكب من إلغاء الذات والتواضع، وتقديم الخدمات بتفانٍ لكلّ الناس، فترى الكبير يخدم الصغير، والغني يخدم الفقير، كما أشرنا إلى ذلك في نقطتي التواضع والإيثار.

١٠ـ الشعور بالمسؤولية: إنّ من أبرز مقوّمات صناعة الإنسان هو تحمّل المسؤوليات، وكلّما كانت المسؤوليات أكبر كانت الصناعة أقوى؛ لأنّ الابتلاء مدرسة لصناعة العظماء.

إنّ أمامنا مسؤولية عظمى نُسأل عنها يوم القيامة، وهي نعيم آل البيت عليهم السلام الذي يجب علينا أداء حقّه، وإبراز الصورة الحقيقية لما هم عليه من أخلاق وقيم ومعارف، ففي رواية المحاسن عن أبي خالد الكابلي قال: «**دخلتُ على أبي جعفر عليه السلام، فدعا بالغداء، فأكلتُ معه طعاماً ما أكلتُ قط طعاماً أنظف منه، ولا أطيب منه، فلمّا فرغنا من الطعام قال: يا أبا خالد، كيف رأيت طعامنا؟ قلت: جعلتُ فداك! ما رأيتُ أنظف منه قط، ولا أطيب، ولكنّي ذكرتُ الآية التي في كتاب الله ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، فقال أبو جعفر عليه السلام: لا، إنّما تُسألون عمّا أنتم عليه من الحقّ**»(١).

وفي المحاسن أيضاً، عن أبي حمزة قال: «**كُنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة، فدعا بطعامٍ ما لنا عهد بمثله لذاذةً وطِيباً، حتّى تملّينا، وأُتينا بتمرٍ يُنظر فيه إلى وجوهنا من صفائه**

---

(١) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج٢، ص٤٠٠.

وحُسنه، فقال رجلٌ: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، عن هذا النعيم الذي نُعّمتم عند ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال أبو عبد الله عليه السلام: الله أكرم وأجلّ من أن يُطعمكم طعاماً فيُسوّغكموه، ثمّ يسألكم عنه، ولكنّه أنعم عليكم بمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله»[1].

فهذه الزيارة تدعونا إلى تحمّل المسؤولية الدينية في إيصال رسالة عامّة لكلّ العالم، بأنّنا مجتمع يمتلك صفات ومقوّمات حضارية، واجتماعية، وتربوية، وإدارية عالية.

إذن؛ فهي فرصة لبيان الإسلام المحمّدي العلوي الناصع، من خلال عكس الصورة الحقيقية للمذهب، لا كما ينقل البعض عن تخلّف الإسلام والمسلمين من خلال عكس صور لأُناس يدّعون انتحالهم للإسلام، مع أنّه بريء منهم، كبعض الحركات السلفية والوهابية، وبعض الدول المتخلّفة دينيّاً وقيميّاً، والمتحللة أخلاقياً وتربوياً.

المحور الثامن: الإصلاح العسكري

إنّ المؤسّسة العسكرية لا تقاس بقوّة تسليحها فقط، وإنّما الأهم فيها هو وجود الموارد البشرية، خصوصاً الموارد البشرية من الشباب الذين لهم استعداد عالٍ للتضحية والفداء والإباء.

وزيارة الأربعين عامل مهم في بناء الشاب المهدوي العسكري المقاوم والمضحّي، ولعلّ تجربة الحشد الشعبي من أكبر الشواهد على ذلك، فإنّ عامل بناء هذه الشخصيات الشابة والمضحّية التي تتحدّى الصعاب، وتواجه أشرس الأعداء مع قلّة العدّة والعدد، هو حضور شخصية الحسين عليه السلام بين ظهرانيها، وتبرز هذه الشخصية في مواسم، منها: موسم الزيارة، فتكون الشخصية الحسينية صانعة لشخصية مقاومة ومجاهدة.

---

(١) المصدر السابق.

فما سطّره الأبطال في ساحات القتال من تضحيات لم يكن وليد اللحظة، بل هو صناعة حسينية لمستقبل مهدوي؛ لذا كانت شعاراتهم في المعركة هي شعارات الحسين، والعباس، والأكبر، و... وتحرّكاتهم وتطلّعاتهم تطلّعات مهدوية ثائرة تمهّد لعصر الظهور، فالتضحية بالنفس والمال والراحة لأجل الغير ولأجل المبدأ والدين والمقدّسات، إنّما هي دروس تعلّمناها من مدرسة الحسين عليه السلام وشعائره، وارتبطت بالموعود، ومستقبل العالم الذي يقوده الإمام المهدي عليه السلام.

فهناك جيش عالمي قد تمّ إعداده سابقاً، وخاض التجارب في عدّة دول، ونجح نجاحات باهرة، قد يكون هو نواة لجيش المهدي المنتظر عليه السلام، وزيارة الأربعين تُعدّ رافداً مهمّاً لهذا الجيش القادم الذي يقوده صاحب الأمر نحو تحقيق العدل والقسط والسلام.

المحور التاسع: الإصلاح الإعلامي

من المعروف لدى القوى السياسية أو غيرها استعراض جماهيرها من خلال مظاهرات، أو تجمّعات، أو احتفالات، أو مناورات، أو غيرها؛ وذلك لإيصال رسالة إلى الآخر بأنّ لنا جماهير، وأنّنا أقوياء، وذلك من باب ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[1].

والمؤمنون لا بدّ لهم من ذلك التجمّع أيضاً، وأنّ ما يحصل من تجمّع مليوني ليس له نظير، بشكلٍ عفوي، وبتنظيم ذاتي، وتمويل شخصي، هو من أعظم صور الاستعراض الإعلامي للجمهور المؤمن، فالشعيرة الأربعينية ليست عبادة فردية فحسب، بل أصبحت عبادة ذات طابع جماعي كشعائر الحجّ، وصلاة الجمعة، وهذا يمنحها أهمّية كبرى، وثراءً معنوياً، وصدىً إعلامياً، يُوصل رسالة واضحة للجميع بأنّنا حسينيون، وممهّدون، ومؤمنون، وأقوياء، ومُنظّمون، ومُتكافلون،

(١) الأنفال: آية ٦٠.

ومُصلحون... وذلك إذا عكسنا بالخصوص الصورة التي أراد لنا آل البيت عليهم السلام أن نعكسها للإنسانية، وبيّنا أنّ الدين الإسلامي هو الخاتم، وأنّ المهدي هو المُخلّص، وأنّه لا نجاة إلّا به؛ وبذلك يمكن أن نحقّق جملة من المنجزات، وهي كالآتي:

١ـ تحقيق منجز عددي، أي: أنّ جماهيرنا مليونية، تزداد كلّ عام، بحيث لا يسع المكان الجمهور.

٢ـ تحقيق منجز نوعي، أي: أنّ جماهيرنا مؤمنة وقوية ومخلصة ومطيعة لله تعالى ولرسوله وآله عليهم السلام.

٣ـ تحقيق منجز دولي، أي: أنّ زيارتنا دولية، وليست إقليمية أو قطرية؛ إذ يأتيها الناس من كلّ فجٍّ عميق.

٤ـ تحقيق منجز حضاري، أي: أنّنا مُنظّمون، مُنسجمون، لا يتعدّى بعضنا على بعض.

٥ـ تحقيق منجز تعارفي، بين لغات مختلفة، وثقافات متعددة، وقوميات متنوّعة؛ لتبادل الخبرات، والاطلاع على الهموم والمشاكل، ومعالجة الأوضاع، والشعور بالآخر.

المحور العاشر: المحور التكافلي

من العناصر المهمّة في الشخصية المهِّدة للظهور وجود روح التكافل والإيثار في تلك الشخصية، ومن أهم سبل تحقيق هذا البناء هو التدرّب على التكافل، ومساعدة الآخرين، وإيثار راحة الآخرين على راحة النفس، حتّى مع التعب والخصاصة، والمشي في زيارة الأربعين هو موسم تكافلي عظيم؛ حيث إنّ الخدمات تُقدّم مجاناً بلا منّة ولا ضجر، بل بفرحة وبهجة، ولعلّ التكافل الذي يقدّمه أصحاب المواكب من أعظم صور التكافل والخدمة، وهذا واضح بالوجدان لكلّ مَن مشى للزيارة، فإنّه يلاحظ روح الإيثار والمساعدة بين الزائرين، وعطف الكبير على الصغير، وتوقير

الصغير للكبير، ومساعدة الرجل للمرأة والعكس، وهكذا.

وللتكافل والإيثار صور، منها: التكافل والإيثار بالطعام، ولو بقيت جائعاً، التكافل والإيثار بالمبيت، ولو بقيت سهراناً، التكافل والإيثار بالفراش والغطاء، التكافل والإيثار من خلال إعطاء مكانك لغيرك والبقاء واقفاً، التكافل والإيثار بتقديم راحة الآخرين على راحة النفس.

وغيرها من الصور والمشاهد الرائعة التي تتجلّى في زيارة الأربعين.

المحور الحادي عشر: البناء السياسي

زيارة الحسين عليه السلام موسم مهم لاستذكار مبادئ ثورته، ومنها: المبدأ السياسي، وهو البراءة من الظالمين، والثورة عليهم، وخلق إرادة سياسية صادقة لدى المؤمن للتغيير، والخروج على الظالمين، والاستعداد لذلك تحت قيادة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ كي يُعزّ الأولياء ويذلّ الأعداء، ويملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، كما أنّها رفضٌ للاتجاه السياسي المستبد، والملبّس بلبوس الدين، ودعوى النيابة عن المسلمين، وكذلك رفضٌ للسياسة الداعية إلى الخضوع والتذلل للقوى العالمية المستبدة، تحت ذريعة سياسة الأمر الواقع ومداهنة الأعداء، مما يُضيّع معالم الدين والعباد والبلاد.

فاستذكار شعارات الحسين في الثورة يُعتبر حافزاً كبيراً للاستعداد والتمهيد السياسي للإمام الحجّة، من خلال نشر الأفكار الدالة على أنّ الإمام هو المُخلّص السياسي من ظلم الدول الجائرة، كما في خطابه عليه السلام: «**أيّها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سُلطاناً جائراً، مُستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مُخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ، كان حقّاً على الله أن يُدخله مدخله**»[1].

وبذلك توجد إرادة سياسية لدى الأُمّة المؤمنة، تحفّز المؤمن على الالتحاق

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٢٨.

بالشـخصية المنقذة، والـبراءة من الأُمّة الظالمـة والقاتلة، والراضية بذلـك، كما ورد في الزيـارة: «**لعـن الله أُمّة قتلتـك، ولعن الله أُمّة ظلمتك، ولعـن الله أُمّة خذلتك، ولعن الله أُمّة خدعتك**»[1].

خصوصـاً إذا كانـت الزيـارة مقترنة ببعـض النصـوص التي تُشـير إلى نصرة آل البيـت عليهم السلام، وخاتمهـم الإمـام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، كـما ورد في الزيـارة القائلـة: «**اللهمّ، أنت مننـت عليّ بزيارة مولاي وولايتـه ومعرفته، فاجعلني ممّن تنـصره وتنتصر به، ومُنّ عليّ بنـصري لدينك في الدنيا والآخرة**»[2]، وبالأخص الاسـتعداد للنصرة الوارد في زيارة عاشوراء: «**فأسأل الله الذي أكرم مقامك أن يُكرمني بك، ويرزقني طلب ثارك مع إمامٍ منصورٍ من آل محمد**»[3].

فزيـارة الأربعين كفيلة بهكذا بناء سـياسي للمجتمع المهـدوي، الذي يأبى الظلم والضيـم، ويثور على الظالمين والمعتدين، ولا يداهن المنحرفين والمسـتبدّين وإن علوا وتغطرسوا.

المحور الثاني عشر: الإصلاح التمريني والتدريبي

الإنسـان بطبعـه يميـل إلى الدعة والراحة، وعـدم الدخول في الصعـاب، فإذا مرَّ بصعوبـات، فقد تـؤدّي به إلى الضعـف، أو الانهيار، أو ترك المبـادئ، أو التخلّي عن بعضها؛ لذا يحتاج إلى دورة تدريبية للتخلّص من ذلك.

وموسـم الزيـارة مع طـول المسـافات وكثـرة الصعوبات وشـدّة الابتـلاءات ـ خصوصاً مع البرد القارس، أو الحر الشـديد، أو الخوف من الظالم كما في عهد النظام المقبـور ـ هـو مركز تدريبي عام وشـامل لتحمّل أنـواع الصعاب والمحـن، والثبات

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٣.
(٢) المصدر السابق: ص٤٥.
(٣) المصدر السابق.

على المبدأ الذي رسمه آل البيت عليهم السلام، فالزيارة تمثّل مركزاً لتدريب المؤمن؛ استعداداً وإعداداً للإصلاح، والتوجه لعصر الظهور، فيدخل ذلك في الإعداد للمهدي، والنهوض معه في ثورته العالمية، فلا يتفاجأ إذا ما ابتُلي بصعوبة أو شدّة، بل يواجهها بعزم حسيني، فهذه الصعوبات والزلازل والمحن التي يمرّ بها المؤمن، ما هي إلّا تقوية لنفسه، وتمرينٌ له على مواجهة العدو، فالزيارة الأربعينية ورشة عمل مكثّفة لصناعة شخصية قوية ومدرَّبة.

النتيجة

إنّ زيارة الأربعين فيها عظيم البركات على كلّ المستويات المادية والمعنوية، ومن أعظم البركات أهمّيةً لهذه الزيارة المليونية هو الإعداد العملي للإصلاح على كلّ مستوياته، ومحاربة الفساد والمفسدين تطبيقاً لمقولة الإمام الحسين عليه السلام «**إنّما خرجت لطلب الإصلاح...**»، فحريّ بنا أن نجعل تلك الزيارة مناراً لنا في الإصلاح تنظيراً وتطبيقاً.

هذا ما أردنا ذكره من محاور، وهناك محاور أُخرى قد تظهر للمتتبع، لم نذكرها دفعاً للإطالة.

دور الشعائر الحسينية في تحفيز الذكاء العاطفي

صدّيقة محمد أصغر الموسوي*

مقدّمة

شغلت العواطف الحسينية مساحة واسعة من الوجدان الشيعي، فقد كانت ـ ولا تزال ـ تجاوباً امتزج فيه التأثّر العاطفي بالوقع الأليم، مع النهل العقائدي والأخلاقي والسلوكي من دروس النهضة الحسينية التي تمثّلت أهدافها الغائيّة في إحياء معالم الدين، وإصلاح الأُمّة من الانحرافات التي مُنيت بها بعد فترة وجيزة من رحلة الرسول صلى الله عليه وآله. ومنذ حادثة الطف إلى اليوم الحاضر سجّلت الجماهير حضوراً مميّزاً رغم كلّ المحاولات القمعية التي قام بها حكّام الجور من أجل الحيلولة دون إقامة هذه الشعائر، وكان هذا الحضور السبب الأهم في إفشال هذه المخطّطات، هذا الحضور البارز لذكرى لا يُعرف لها مثيل في تاريخ الإسلام، استقطبت عواطف الجمهور، وفعّلت في نفوسهم الحالة العاطفية والحركية.

وإذا كانت كربلاء رمزاً للصراع بين الحقّ والباطل، فالانتماء إلى الرمز يعني الانتماء إلى جبهة الحقّ، والشعائر رمز للتعبير عن هذا الانتماء، فكان لا بدّ من وضع هذا التعبير تحت مجهر التمحيص، فأيّ عاطفة أو أيّ عَبرة هي المنشودة التي من المفترض لها أن تمثّل دور حلقة الوصل لهذا الانتماء للمنهج المحمدي الحسيني؟ وفي أيّ ظروف ستتحقق شاقولية المثالية في الشعائر الحسينية حتّى تتمكّن من تعديل

---

* باحثة إسلامية، من إيران.

الواقع العقائدي والأخلاقي والسلوكي للموالي في ظلّ الضغوطات المتزايدة التي تدفعه إلى الانحراف عن الخطّ الحسيني، وتخرجه شيئاً فشيئاً من صفوف السائرين على نهجه؟

مفاهيم تمهيدية

١ـ الشعائر الحسينية

لا شكّ في أنّ المراسم الحسينية من أهمّ التطبيقات المستحدثة لمفهوم الشعائر، حيث أُطلق عليها في الأزمنة المتأخِّرة هذا اللفظ، وهو إطلاق أدبي أو لغوي لا علاقة له أبداً بالإطلاق الديني لمفهوم الشعائر، ولا معنى حينئذٍ لتجشّم عناء البحوث اللُّغوية والاصطلاحية لتحديد المراد من مفهوم (الشعائر الحسينية)، كما لا يبقى أيّ معنى أيضاً لاستعراض نصوص (الشعائر) عند البحث في مشروعية المراسم الحسينية، وإنّما يتحتّم علينا التماس أدلّة أُخرى عامّة أو خاصّة غير أدلّة الشعائر، كأدلّة وجوب إعلاء كلمة الله تعالى، ووجوب إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، وأدلّة البكاء، وغير ذلك[١].

٢ـ العقل

«أصل العقل في اللغة بمعنى المنع والحجر والنهي والحبس؛ كعقل البعير بالعقال لمنعه من الحركة»[٢]، و**«سُمّي العقلُ عقلاً لأنّه يَعْقِل صاحبَه عن التورّط في المهالك، أي: يحبسه»**[٣]. وفي الاصطلاح عرّفه الحكماء: **«جوهر مجرّد عن مادته وصفاته، وبعيد عن**

(١) أُنظر: التميمي، قيصر، نظريّة المحقّق النّراقي في اختصاص مفهوم الشعائر بمعالم الحجّ ومناسكه، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد١٢، ص١٣.
(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ص٥٦٥.
(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص٤٥٩.

الوجود الطبيعي والظواهر المحسوسة، وعمله الإدراك والتعقّل»(١). وللعقل مراتب، ذكرت الكتب الفلسفية أربعة منها: العقل الهيولاني، العقل بالملكة، العقل الفعلي، العقل المستفاد(٢).

٣.العاطفة

عرّفتها كتب اللّغة: «**جمع عاطفات وعواطِفُ: ميلٌ وشفقةٌ وحُنُوٌّ ورِقَّةٌ... جامد العاطفة: قاسٍ، لا يتأثّر بسهولة**»(٣).

وعرّفها علم النفس بأنها: «**استعداد نَفسيّ ينزعُ بصاحبه إلى الشُّعور بانفعالات**

(١) محمد تقي فاضل، مفهوم العقل بين الفلسفة والدين، قراءة نقدية مقارنة، مجلّة نصوص معاصرة: العدد ٥، ص٩٦.

(٢) «١ـ العقل الهيولاني: وهو الجوهر الذي بلغ درجة الكمال في الشؤون والكمالات الحيوانية، والقوى الحيوانية فعليّة فيه، لكنّه لم يصبح فعلياً بالنسبة للكمالات الإنسانية والإدراك العقلاني، وإن كان مستعداً لتقبّل الصور العلمية؛ فمتى ما توفّر له التعليم اللازم، تقبّل الصور العلمية فوراً.
٢ـ العقل بالملكة: النفس في هذه المرتبة جوهرٌ أعلى وأقوى من جوهر العقل الهيولاني، فقد أصبحت بعض القوى الإدراكية فعلية بشكل تدريجي في هذه المرحلة، وخرجت عن المرتبة الهيولانية، بمعنى أنّ النفس أصبحت تُدرك القضايا الكلّية البديهية بنحو عقلاني، كما في (النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان)، و(كلّ حادث يحتاج إلى علّة محدثة). لكن في هذه المرحلة ما زال العقل يفتقد القدرة على ترتيب القياس والبرهان المنطقي لاستنباط المطالب العقلية من المقدّمات الأولية.
٣ـ العقل الفعلي: تكون النفس في هذه المرحلة قادرة على التفكّر والاستنتاج، وتتمكّن من استخراج المجهولات العلمية من المقدّمات البديهية الواضحة بضمّها إلى بعضها وتأليف البرهان والاستدلال المنطقي الدقيق، ويمكن إطلاق صفة العالم الحقيقي على صاحب هذه المرتبة، وإن كانت القوّة العقلية في هذه المرحلة فعلية محضة، لكن ما زال الخطأ والغفلة واردين في حقّها.
٤ـ العقل المستفاد: تتنزّه النفس في هذه المرحلة عن الغبار الذي يغطّي عالم الفكر، ويسبب الغفلة أحياناً، وتبلغ في التركيز على جوهرها العقلي والاستغراق في إدراك المعقولات المحضة درجةً من القوّة، تشاهد فيها معقولاتها أمامها، ولا يمكن لقوّة ما جذبها إلى عالم الحسّ والتغلّب على مدركاتها العقلية، وهذه غاية مراتب الكمال العقلي والفعلية الإنسانية». محمد تقي فاضل، مفهوم العقل بين الفلسفة والدين، قراءة نقدية مقارنة، مجلّة نصوص معاصرة: العدد٥، ص٩٦ـ٩٧.

(٣) *https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar*

وجدانية خاصّة، والقيام بسلوك مُعيّن حيال شخص أو جماعة أو فكرة مُعيّنة»(١).

معظم علماء النفس عرّفوا العاطفة بأنّها حالات نفسية ناتجة عن مثيرات ودوافع تؤدّي إلى نتائج معيّنة، لكنّ (جيمس دريفر) أضاف إلى مكوّنات العاطفة عنصرين اثنين، هما: الحالات الجسمية، والسلوك(٢).

ويعرّفها الشيخ المصباح اليزدي بأنّها: **«للعاطفة الإنسانية جذور مختلفة، وتتجلّى في صور متنوّعة، فأساس العاطفة يكون تارةً المنفعة التي تصل الإنسان من شخص آخر، وتارةً اللذّة التي يشعر بها من النظر إلى الآخرين، كأن يلتذّ من رؤية ذوي الجمال وينجذب إليهم بهذه اللذّة، وتارة ينجذب الإنسان لشخص آخر تلقائياً، وإنْ لم يكن جميلاً ولا تصله منفعة منه، بل قد يلحقه الضرر والخسارة بسببه، ففي هذه الحالة هناك شيء آخر غير الجمال والمنفعة يكون منشأً للعاطفة»**(٣).

ويقول كذلك: **«للعاطفة الإنسانية جذور مختلفة، فقد يكون تارةً المنفعة التي تصل الإنسان من شخص آخر، وتارةً اللذّة التي يشعر بها من النظر إلى الآخرين، كأن يلتذّ من رؤية ذوي الجمال، وينجذب إليهم بهذه اللذّة، لكنّ العامل الأهم هو حبّ الذات»**(٤).

٤ـ الذكاء العاطفي

يعدّ هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة، إذ إنّ التعاريف التقليدية للذكاء أكّدت الجوانب المعرفية، مثل الذاكرة، وطرق حلّ المشكلة.

لذا بدأ العديد من الباحثين في مجال الدراسات المؤثّرة في الذكاء بالتعرّف على أهمّية الجوانب غير المعرفية المؤثِّرة في ذلك، ومن ثَمّ القدرة على فرز العواطف الذاتية

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أُنظر: الغويلي، عزّ الدين، سيكولوجيا العاطفة، مقال منشور في موقع (دنيا الوطن) على الرابط التالي: *https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2008/10/15/148026.html*.

(٣) *http://www.mesbahyazdi.org/lib/ar_akhlag2/ch3_7.htm*

(٤) المصدر السابق.

وحسن استعمالها، هذا وقد عرّفه (بيتر سالوفي)، و(ديفيد ج سليتر) بأنّه: «**القدرة على إدراك المشاعر، للوصول إلى العواطف وتوليدها، من أجل تعزيز الفكر، وتفهُّم العواطف، والإلمام بالمعرفة العاطفية، وتنظيم أثر العواطف وانعكاساتها**»[١]. وعرّف (كولمان) الذكاء العاطفي بأنّه: القدرة على التعرّف على شعورنا الشخصي وشعور الآخرين؛ وذلك لتحفيز أنفسنا، ولإدارة عاطفتنا بشكل سليم في علاقتنا مع الآخرين[٢].

مكانة العقل في الإسلام والغرب

التفكير والتعقّل عماد الإسلام، وركيزته الأساسية في العقائد والعبادة والأخلاق والسلوك، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إِنَّمَا يُدْرَكُ الخَيْرُ كُلُّهُ بِالعَقْلِ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ**»[٣]، فالشريعة السماوية لا تبيح للإنسان تصديق ما لا يراه العقل صحيحاً، ولا التحلّي بما يستهجنه العقل من السجايا، ولا الإتيان بما يستقبحه العقل من الأعمال، ويرى الإسلام أنّ العقل أساس الإنسان، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أصل الإنسان لبّه، وعقله دينه**»[٤]، كما أنّ العقل معيار لقيمة الإنسان ودرجات كماله، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «**إنّ قيمة كلّ امرئ وقدره معرفته**»[٥]، وهو ملاك لتثمين قيمة الأعمال؛ إذ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام «**إنّ الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا**»[٦]، كما أنّه حجّة الله الباطنية بتعبير أمير المؤمنين عليه السلام: «**العقل شرع من داخل**»[٧].

---

(١) الرفاعي، يسرى، الذكاء العاطفي في القرآن الكريم: ص٥.
(٢) أُنظر: دانييل كولمان، الذكاء العاطفي: ص ٥٥٨.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحارالأنوار: ج٧٤، ص١٦٠.
(٤) المصدر السابق: ج١، ص٨٢.
(٥) النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج١١، ص٢٠٣، ح١٢٧٤٤.
(٦) المصدر السابق.
(٧) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٥، ص٤٢٥.

وانطلاقاً من هذه الرؤية جاءت الخطابات القرآنية وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، وأحاديث أهل بيته عليهم السلام زاخرة بمفردات: التفكّر، والتذكّر، والتدبّر، والتعقّل، والتعلّم، والتفقّه، والذكر، واللبّ والنُّهى، وجعلت هذه المحاور مداراً، وأكّدتها في توجّهاتها أكثر من أيّ شيء آخر.

ولكنّ الإسلام لا يغالي في العقل، ذلك أنّه مخلوق محدود[1]، لذا فـ«إنّ أهمّ ميزة في العقلانية الإسلامية اهتمامها بالمعرفة ما وراء العقلية والشهودية والوحيانية... وقد كان هذا الارتباط بين العقلانية والفضاءات المتعالية من المعرفة موضع اهتمام في العالم الإسلامي، ونتيجة ذلك وجود منزلة رفيعة ـ إلى جنب الوحي والشهود ـ للنقل (بصفته نصّاً) إلى جنب العقل في متناول المفكِّرين والعقلاء»[2].

أمّا مكانة العقل في الغرب فـ«إنّ ثمّة تحوُّلاً منهجياً وتاريخياً في الحضارة الغربية، من العقل بوصفه مصدراً من مصادر المعرفة، موصوفاً بالمحدودية، والإجرائية، والتكاملية، مع مصادر أُخرى، كالحسّ والوحي من أجل بلوغ الحقيقة، إلى العقلانية بوصفها نسقاً فكرانياً لا يُعطي دلالة إلّا للموضوعات التي تستجيب لمبادئه ووحداته المنهجية، مثل: الملاحظة، والفرضية، والتجربة... وما لا يقع أو يستجيب لهذه المبادئ والمناهج فهو من جنس اللامعقول، ومن ثَمّ لزم إقصاؤه»[3]، و«لقد كانت نتيجة هذه المواجهة الدينية الفلسفية أنّ اتّجه الفكر الديني المسيحي إلى تقليص وظيفة العقل، وبالتالي تقليص معرفة الحقائق الروحية»[4].

---

(١) قال الإمام الحسين عليه السلام: «لا يكمل العقل إلّا باتّباع الحقّ». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٢٧.

(٢) بارسانيا، حميد، العقلانية الإسلامية والعقل الحديث، ترجمة: علي آل دهر الجزائري، موقع: nosos.net، بحوث ودراسات.

(٣) بلعقروز، عبد الرزاق، من عقلانية الحداثة الغربية إلى عقلانية الإيمان التوحيدي: نحو حداثة إسلامية متّصلة، مجلّة إسلامية المعرفة: العدد ٧٦، ص١٥.

(٤) المصدر السابق: ص٣٩.

يقـول (كانط) في هذا المقام: «**بما أنّ العقل الإنسـاني لا ينفـكّ عن التّوق إلى الحرية، فإنّـه حـين يكسر قيوده، ينقلب حتماً إلى اسـتعماله الأوّل لحريةٍ فقد منذ أمد طويل التعوُّد عليها، إلى مغالاة وثقة متهوّرة في استقلال قدرته عن كلّ قيد**»[١].

قد توصّل (كانط) أيضاً في كتابه (نقد العقل المحض) إلى أنّ العقل المحض عاجز عـن الوصـول إلى الحقيقة المحضة، وهذا التهـوُّر ـ بعبارة (كانـط) للعقل ـ هو مدار الاعـتراض؛ لأنّـه مع بداية مـشروع الحداثة الغربيـة ـ الذي كان مـن مرتكزاته الثقة بالعقل واسـتبعاد التوجيه الديني ـ اسـتحال العقل من مجرّد أداة إلى قوّة عليا يُحسب لها حسـابها في أنشـطة المعرفة والفعل الإنسـانيين، «**ولقـد تأكّد لدى أعضاء مدرسـة فرانكفـورت في مشروعهم النقدي للعقل الأداتي، أنّ هذا العقل الذي جلبته الحداثة إلى العالَم خالٍ من رطوبة العاطفة ونداوة الرُّوح**»[٢].

مكانة العواطف في الإسلام والغرب

دعـا الإسـلام إلى العقل، وإلى اسـتثارة العقـول وإنارتها بنور الهدايـة، وتحريرها من شـائب الوهم وقشور الرسـوم والعادات، وهذّبها من إفراط المغالاة[٣]، وتفريط الجمـود، كـما دعـا إلى تنمية العواطف، وشـجّع عـلى إذكائهـا، وأعطى ثوابـاً بإزاء العواطـف الأوّليـة (الغريزية) رغم كونها نصف إرادية، فـ«**الإسـلام هو النظام الذي يربـط بين كلّ ألوان النشـاط البشري، ويوحّـد بينها في الاتجـاه**»[٤]، إذ إنّ قيمة الأفعال الأخلاقية ليسـت ذاتية لنفـس العناوين، بل معلّلة بالغايـات المترتّبة عليها؛ ذلك أنّ

---

(١) كانط، إيمانويل، ما التوجّه في التفكير؟ ترجمة: محمود بن جماعة: ص١١٣.

(٢) بلعقروز، عبد الرزاق، من عقلانية الحداثة الغربية إلى عقلانية الإيمان التوحيدي: نحو حداثة إسلامية متّصلة، مجلّة إسلامية المعرفة: العدد ٧٦، ص٤٢.

(٣) قال الإمام الحسين عليه السلام: «لا يكمل العقل إلّا باتّباع الحق». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٢٧.

(٤) قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية: ص٦٤.

الواجب ينشأ من داعٍ أعمق، وهو الوصول إلى الكمال الإنساني[1] المتمثِّل في القرب الإلهي.

كما شجّع على إذكاء العقول وهذّبها من إفراط التعلّق، وقد حذّر من أن تتحوّل هذه العلاقة إلى تعلّق يحول دون المضي في مسير الكمال[2]، وتفريط العاطفة السلبية والنفور اللاعقلاني، فقد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «**التودّد إلى الناس نصف العقل**»[3]، وصبغ العواطف بصبغة إلهية[4]، وبما أنّ طبيعة الإنسان تميل إلى الطغيان، فلا يمكن تحقيق المودّة المنشودة إلّا بتضعيف الأنانية، وتقوية روح التقوى، واستشعار مقام الباري تعالى، إذ إنّنا في الوقت الذي نبني فيه سلوكنا مع الآخرين على أساس الرحمة، نكون قد أوقفنا نفوسنا لله، وأطلقناها من سجنها الضيّق، وحيث إنّ للعواطف ـ الإيجابية منها والسلبية ـ دوراً تحفيزياً وتحريكياً قويّاً، فلا بدّ من ربطها بجذور معرفية، وهذا لا يعني تقليلاً من شأن العواطف كي تكون في مقابل العقل، بل لأنّ هناك في جانب العقل المستقل تعقّلاً آخر يدفع الإنسان إلى الاتّباع القلبي[5]، وقد تمثّل هذا التقنين النابع من الحبّ الإلهي بالتولّي والتبرّي، إذ أكّد القرآن الكريم على محبّة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[6]، بل جعل علّة البعثة منبثقة من قاعدة اللطف الذي تقتضيه الحكمة

(١) أُنظر: اليزدي، مصباح، مجلّة التوحيد، العدد١: ص١٠٢.

(٢) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. المنافقون: آية ٩.

(٣) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٤٢٥.

(٤) قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. الأنفال: آية٦٣.

(٥) نجفي، محمد، وآخرون، سازماندهى تربيت عاطفى مبتنى بر آموزهاى قرآنى (تقنين نظام التربية العاطفية المستند إلى التعاليم القرآنية)، مجلّة پژوهش در مسائل تعليم وتربيت إسلامى (دراسات في مسائل التربية والتعليم الإسلامي): العدد ٣٩، ص٥٦.

(٦) الشورى: آية٢٣.

الإلهية[1]: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

هذا الالتفات الظريف في التوجّه إلى تأثير عاطفة الحبّ نجده جلياً في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[3]، و«**معناه أنّ لينك لهم ممّا يوجب دخولهم في الدين؛ لأنّك تأتيهم مع سماحة أخلاقك وكرم سجيّتك بالحجج والبراهين، ﴿وَلَوۡ كُنتَ﴾ يا محمد ﴿فَظًّا﴾، أي: جافياً سيّئ الخلق، ﴿غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾، أي: قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رأفة ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ أي: لتفرّق أصحابك عنك**»[4]. ومن الشواهد على شدّة رحمته صلى الله عليه وآله تخفيفه في الصلاة ذات مرّة، وعندما سأله الأصحاب عن السبب أجاب: «**أما سمعتم صُراخ الصبي؟!**»[5]. ونجد الالتفات الظريف في التوجّه إلى العواطف في أقوال وسيرة المعصومين عليهم السلام، وفي تعاملهم مع الناس وفي طريقة إرشادهم[6].

أمّا مكانة العاطفة في الغرب: فبالرّغم من أنّ الفلسفة العقلانيّة للعاطفة قد بدأت مع أفلاطون وأرسطو، وتحدّث عنها (ديكارت)، و(تشارلز داروين)، إلّا أنّ الباحثين يجمعون على أنّ أوّل تفسير نفسي للعواطف جاء على لسان (ويليام جيمس)[7] في مقال عنوانه (ما هي العاطفة؟)، وفيه قدّم نظرة توفيقيّة بين (ديكارت) و(داروين).

لكنّ أهمّ محاولة في تفسير العواطف جاءت على يد (سيغموند فرويد) الذي يرى

---

(١) أُنظر: الكلبايكاني، علي الربّاني، قاعدة اللطف ووجوب الإمامة: مجلّة الانتظار: العدد٥.

(٢) الأنبياء: آية١٠٧.

(٣) آل عمران: آية١٥٩.

(٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٢، ص٤٢٨.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٤٨.

(٦) فهذا الإمام الكاظم عليه السلام يوجه سلوك صفوان الجمال من دون توجيه خدشة لشخصيته، بل مراعياً تكريمها بقوله: «يا صفوان، كلُّ شيء منك حسن جميل، ما خلا شيئاً واحداً...». الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص١٨٢.

(٧) يُلقّب بـ(أبو علم النفس الحديث)، له المقولة المشهورة: (إنّ أشدّ العقاقير تأثيراً في رفع القلق هو الإيمان بالله، والاعتقاد الديني). أُنظر: كارنيجي، ديل، دع القلق وابدأ الحياة: ص١٥٩.

أنّ طبيعة العواطف متجذّرة في الدوافع اللاواعية، وقد تحدّث (فرويد) عن دافعين غريزيين: (الشّهوة الجنسيّة)، و(النّزعة العدوانيّة)، ثمّ استعاض عن نظريته بنموذج ثلاثي الأقسام للذهن: الأنا (الأنا الغريزية)[١]، والهو (الأنا الواقعية)[٢]، و(الأنا العُليا)[٣].

أمّا (باروخ اسبينوزا) ـ الذي تقوم الأُطروحة الكبرى له على التفكير في أنّه ليس هناك سوى جوهرٍ واحدٍ لا متناهٍ ووحيد، وهو الله تعالى الذي يتداخل مع العالم ـ فيرى أنّ الخضوع للتأثّر العاطفي يكتسي دلالة مزدوجة، فهو في آنٍ قوّة على التصرُّف حينما تكون العواطف فاعلة، ولها قوّة التحرّر حينما يخضع الفرد للهوى، ويرى أنّه بقدر ما تنشرح النفس بالحبّ الإلهي تزداد معرفتها، أي: أنّها بقدر ما يكون سلطانها على الانفعالات أعظم يكون تأثّرها بالانفعالات السيئة أقل[٤]. ويرى (كوستلر) أنّ العواطف المتعالية لا تميل نحو أيّ عمل، ولكنّها ترغب في حالة من اللاافعالية (الهدوء والتخلية)[٥].

الذكاء العاطفي في الإسلام

بالرغم من أنّ مصطلح الذكاء العاطفي مصطلح جديد مرّ بمراحل عديدة، إلّا أنّ مباحث القرآن الكريم في تطوير النفس الإنسانية، تكفل التوازن العاطفي؛ لأنّها تفرّدت بالفهم العميق لطبيعة الإنسان، فإنّ من مظاهر الانفصال التي تأباها العقلانية الإسلامية، إشكالية الفصل بين العقل والقلب؛ إذ خُصَّ العقل بالوظيفة

---

(١) *Id*.

(٢) *Ego*.

(٣) *Superego*.

(٤) أُنظر: سبينوزا، باروخ، فلسفة الأخلاق، ترجمة جلال الدين سعيد: ص٣١٤.

(٥) أُنظر: آر. اس. پيترز، غلام رضا متقى فر: مفهوم شناسى تربيت عاطفى (معرفة مفاهيم التربية العاطفية)، مجلّة معرفت: العدد٤٦.

المعرفيـة المحضة، وخُصَّ القلب بمكان المشـاعر والانفعـالات[1]، فمن الأُمور التي ينسـبها القرآن الكريم إلى القلب هي الإدراك والفهم، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[2].

نظـراً إلى هـذه الآية الشريفة لا بدّ لكلّ مَن يمتلك قلباً أن يفهم الأشـياء على نحو جيّد[3]، فالفقه يعني الفهم، والتعقّل في القرآن لا يعني أن يقوم الإنسان المؤمن بضمّ عـدّة مقدّمات والخروج منها بنتيجة، وإثبات أمرٍ ما بالاسـتدلال المنطقي، وإذا كان هنـاك خللٌ في المقدّمـات تصبح النتيجة تابعةً لأخسّـها، بل يعنـي التدبّر في الأُمور، والتدبّر مشتقّ من مادّة (دبر)، أي تتبّع أمرٍ للوصول إلى نهايته، فمنهج العقل هنا يعني أن يتّبع الإنسـان قواه المعرفية ـ وهي فطرية ـ للتعرّف على صانع العالم، ثمّ يؤمن به، وعلى هذا الأساس يكون القلب ـ وهو مصدر الحبّ ـ مرادفاً للعقل، ويختلف هذا كلّ الاختلاف عن العقل الذي يصل إلى النتائج بتسطير المقدّمات والاستدلال بها. ويمكننا أن نستنتج أنّ العقل الديني عقلٌ قيمي أخلاقي[4]، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسـير قولـه تعـالى: «﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: يعنـي: عقل»[5].

هذه الالتفاتة الظريفة في التوجّه إلى الفكر والعاطفة نجدها جليّة في سيرة الإنسان الكامـل والعقل الكلي الرسـول صلى الله عليه وآله، فقد جاء عنه صلى الله عليه وآله: «**أعقَلُ النّاسِ أَشَـدُّهُم مُداراةً لِلنّـاسِ**»[6]، وروي أنّ شـاباً جاء النبي صلى الله عليه وآله يسـتأذنه في عمل قبيح، فاسـتفهم صلى الله عليه وآله عمّا

---

(١) اُنظر: السيّد، رضوان، مسألة العقل وسلطته في النقاشات الإسلامية القديمة، مجلّة التسامح: العدد ١٦، ص١١ـ١٢.

(٢) الأعراف: آية ١٧٩.

(٣) اليزدي، محمد تقي مصباح، درس الأخلاق: الجلسة الرابعة عشرة، (١٦ آب ٢٠١١م).

(٤) اُنظر: تقي فاضل، محمد، مفهوم العقل بين الفلسفة والدين (قراءة نقدية مقارنة)، ترجمة: مشتاق الحلو، موقع: *http://nosos.net*، بحوث ودراسات، يونيو ٢٠١٤.

(٥) اُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٦.

(٦) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٩٥.

إذا كان يـرضى بذلك لقريباتـه (ليحفز غيرته)، وبعد أن أجاب الشـاب بالنفي، دعا النبيﷺ له بالتوبة والتحصين الفكري والسلوكي[1].

وقد سـعى الكثير من الفلاسـفة إلى تصحيح مسـار الفلسـفة اليونانيـة، وجعلها تنصبّ في مسـار إسـلامي، وصاروا في صدد التلفيق بين هاتين القوّتين الإدراكيتين، فاسـتخدم الشـهيد السـيّد محمد باقر الصـدرﷺ اصطـلاح (العقل المـزدوج)، وهـو اصطـلاح منسـجم مع ما نسـميه اليـوم بـ(الـذكاء العاطفي)، وهوعبـارة عن عمل جديد يأتي في سياق هذا الموضوع، وفي إطار التأسيس لمبانٍ جديدة؛ من أجل تكوين فلسـفة حديثة قائمة على أساس الأُصول الإسـلامية[2]، وعليه فإنّ (العقل المزدوج) يعني العقل الذي تتَّحد فيه كلٌّ من القوّة المنطقية، والقوّة العاطفية، وتعملان بشكلٍ متلاحم وغير منفصل[3].

كما أنّ الإيمان الذي يدعونا الإسـلام إليه ليس إدراكاً صرفاً، بل هو قبول خاص من النفس بالنسبة لما أدركته، بمعنى أن يسلّم القلب في مقابل الأُمور المدركة والآثار المترتبة عليها، وحيث إنّ موضع الإيمان هو القلب، فهو مرتبط به، وما لم ينفتح القلب

---

(١) «إنّ فتى من قريش أتى النبي(صلّى الله عليه وسلّم) فقال: يا رسول الله، ائذن لي في الزنا. فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا: مه مه. فقالﷺ: ادنه. فدنا منه قريباً، فقالﷺ: أتحبّه لأُمّك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبّونه لأُمّهاتهم. قال: أفتحبّه لابنتك؟ قال: لا والله، يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبّونه لبناتهم. قال: أفتحبّه لأُختك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبّونه لأخواتهم. قال أتحبّه لعمّتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبّونه لعماتهم. قال أتحبّه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبّونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللّهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه. قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء». الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج١، ص١٢٩.

(٢) أُنظر: الشهرستاني، إحسان، العقل المزدوج قراءةٌ في نظرية المعرفة عند الشهيد الصدر، ترجمة: السيّد حسن علي حسن، مجلّة نصوص معاصرة: العدد٢٩، ص١٧٣.

(٣) المصدر السابق: ص١٧٤.

علـى الحقيقة لن يحصل الإيـمان[١]، والإيمان لا يمكن أن يتحقّق بدون عاطفة[٢]، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ هذا الإسلامَ دِينُ الله... وأقامَ دعائمَهُ على محبّته**»[٣].

علاقة العقل والعاطفة في الشعائر الحسينية تقاطع أم تعاضد؟

عندمـا تمرّ كلّ عام ذكرى عاشـوراء الأليمة تسري في القلوب عواطف جيّاشـة، لا يعود سـببها لتأثّر النفس بالمحيط المتشـح بالسـواد، والمفعم بالشعارات والشعائر وحسـب، بل هي حرارة منبعثة من روح الإيـمان[٤]، وليس هذا الاحتفاء مختصّاً بفئة معيّنة من المسلمين، بل يطال كلّ مسلم آمن بأنّ ثورة الحسين عليه السلام هي ثورة الحقِّ على الباطل، وأنّها نهضة لإصلاح الأُمّة التي انحرفت عن مسـير جدّه صلى الله عليه وآله، وأنّها تضحية من أجل مبادئ الإسلام.

بـل لا نغالي إذا قلنا: إنّ عاشـوراء ليسـت حكراً على المسـلمين؛ ذلك لأنّها ثورة حرّكـت ضمائر الأحرار في العالم، ولا يقتصر الاهتمام بها على أهل الأرض وحدهم، فأهل السماء أيضاً لهم حزنهم، وقد بيّن سيد الشهداء عليه السلام هذا الوقع الأليم على النفوس بقوله عليه السلام: «**أَنَا قَتِيلُ الْعَبْرَةِ لَا يَذْكُرُنِي مُؤْمِنٌ إلّا استعبر**»[٥]، ولو طالعنا التاريخ البشري، فلن نجد قتيلاً كالحسين عليه السلام قد أبكى الناس كمّاً وكيفاً، فقد بكى عليه الأنبياء وأوّلهم

---

(١) حقاني، أبو الحسن، رابطه عاطفه با إيمان (علاقة العاطفة بالإيمان)، مجلّة معرفت كلامى (مجلّة المعرفة الكلامية): العدد١٠، ص٧٧.

(٢) المصدر السابق: ص٩٠.

(٣) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ص٣١٣.

(٤) عن الإمام الصادق عليه السلام: «نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسين بن علي عليه السلام وهو مُقبل، فأجلسه في حجره، وقال: إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً. ثم قال عليه السلام: بأبي قتيل كل عَبرة. قيل: وما قتيل كل عَبرة يابن رسول الله؟ قال: لا يذكره مؤمن إلّا بكى». النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٣١٨.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٠٠.

آدم عليه السلام(١) إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله، وأهله وجمع من أصحاب جدّه صلى الله عليه وآله قبل ولادته المباركة(٢)، بل بكاه كلّ شيء(٣) حتّى أعداؤه؛ وذلك لأنّ الطريقة المأساوية التي قُتِل بها الإمام الحسين عليه السلام، وما فُعِل بالأجساد الطاهرة من انتهاكات لا يبيح الإسلام أن تقع على الكافر الحربي فضلاً عن المسلم، وما رافقها من قتل للأطفال، وسحق للأجساد، وتعطيش، وإرهاب، وسبي للنساء، بطريقة يشمئز منها كلّ مَن يفقه أبسط معاني الإنسانية؛ كلّ هذا جرى على شخص الإمام المفترض الطاعة، وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله الذي طالما رآوه صلى الله عليه وآله وهو يشبعه لثماً وتقبيلاً!(٤).

ومن آثار هذا التحفيز العاطفي، حضور حبّ أهل البيت عليهم السلام في القلب، ومن نتائج ذلك السير على فكرهم وطريقهم؛ لأنّ قيادة الجوارح بيد القلب، وحينما تأخذ المحبّة زمام القلب، تهدي قلوب المحبّين وجوارحهم نحو الصراط المستقيم(٥)، ونظراً إلى أنّ العواطف الدينية وسيلة للوصول إلى الأهداف العالية المتمثّلة في السير في طريق الكمال والقرب الإلهي(٦)، لا بدّ أنّ نوجّه عواطفنا الحسينية نحو الأهداف التي قام أبو الأحرار عليه السلام من أجلها، والتي بيّنها بقوله: «**إنّما خرجت لطلب الإصلاح**

---

(١) عندما علّم جبرائيل عليه السلام نبي الله آدم عليه السلام أسماء المعصومين الخمسة، وعندما ذكر آدم اسم الحسين عليه السلام سالت دموعه، وانخشع قلبه، وقال: «يا أخي جبرئيل، في ذِكر الخامس ينكسر قلبي، وتسيل عَبرتي. قال جبرئيل: وَلَدك هذا يُصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٤٥.

(٢) عن أُمّ الفضل بنت الحارث في حديث جاء فيه: «... فدخلتُ يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعته [الحسين عليه السلام] في حجره، ثمّ حانت منّي التفاتة، فإذا عينا رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) تهريقان من الدموع، قالت: فقلت: يا نبي الله ـ بأبي أنت وأُمّي ـ مالك؟ قال: أتاني جبريل فأخبرني: أنّ أُمّتي ستقتل ابني هذا. فقلت: هذا؟ فقال: نعم. وأتاني بتربة من تربته حمراء». الفيروز آبادي، مرتضى، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٣، ص٢٧٢.

(٣) أُنظر: المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين: ج٥، ص٤٢٧.

(٤) أُنظر: الفيروز آبادي، مرتضى، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٣، ص٢٦٠.

(٥) أُنظر: جوادي آملي، عبد الله، لقاء مع صحيفة خبر گزارى فارس *www.farsnews.com*.

(٦) أُنظر: كريميان صيقلاني، علي، عروج عاطفه (عروج العاطفة): ص٣٠.

في أُمّة جدِّي رسول الله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[1]، فقد ينهض مصلح ما من أجل الإصلاح الثقافي، ولا شأن له بالجوانب الإسلامية والإنسانية الأُخرى، أو ينهض متخصّص في الاقتصاد وهدفه الإصلاح الاقتصادي، أمّا القادة الإلهيون فهدفهم إصلاح كلّ شؤون الناس.

فقيام الإمام الحسين عليه السلام كان لإحياء المآثر «**وأسير بسيرة أبي وجدّي**»[2]، وتقديم آثار الدين الإلهي، أي: أنّ ثورته عليه السلام ثورة شاملة لجميع الجوانب، ثورة استمدت شموليتها من صميم ثورة جدّه صلى الله عليه وآله على الجاهلية، وهكذا يبيّن حفيده الصادق عليه السلام هدف جدّه الإلهي في الإصلاح بقوله عليه السلام: «**وبذَلَ مُهجَتَه فيك؛ لِيَستَنقِذَ عبادَك مِن الضّلالَة والجهالَة والعَمى والشكّ والارتِياب، إلى باب الهُدى من الردى**»[3]، إذ إنّ حركته عليه السلام كانت خالصة لله تعالى، ومن أجل نصرة دينه، وقد بيّن عليه السلام ذلك قبل تحرّكه نحو كربلاء بقوله: «**اللّهمّ إنّك تعلمُ أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحُطام، ولكن لِنَرِدَ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك فيأمَنَ المظلومون من عبادك وتُقام المعَطّلة مِن حُدُودك**»[4]. وهذه الحركة نابعة من صميم العلاقة الإلهية التي بينه وبين جدِّه صلى الله عليه وآله، والتي بيّنها صلى الله عليه وآله في حديثه الذي رواه الفريقان: «**حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً**»[5].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص ٤٠١.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحارالأنوار: ج٣٤، ص١١٠.

(٥) الترمذي، محمد بن عيسى، صحيح الترمذي: ج٢، ص٣٠٧. «وقال القاضي: كأنّه (صلى الله عليه وسلّم) علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم، فخصّه بالذكر، وبيّن أنّهما كالشيء الواحد في وجوب المحبّة وحرمة التعرّض والمحاربة، وأكّد ذلك بقوله: (أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً). فإنّ محبّته محبّة الرسول، ومحبّة الرسول محبّة الله». الخطيب التبريزي، محمد بن عبد الله، الإكمال في أسماء الرجال: ص٤٤.

إنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام هي حقيقة الإسلام، والإسلام قد تجلّى فيها، كما أنّ بقاء الإسلام مرهون بقيام الإمام الحسين عليه السلام، فالرسول صلى الله عليه وآله يبيّن لنا هدف ثورته الإصلاحية: «**إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1]، والإمام الحسين عليه السلام يقول: «**لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[2]، أي: أنّه أراد أن يبدّل الهزيمة، ويصنع لهذه الأُمّة دفعة جديدة من الإرادة الحرّة، تنسجم مع القدرة على التحرّك والنهوض[3].

وهاهنا تساؤل قد يرد وهو: لماذا اختار الإمام الحسين هذه الطريقة التراجيدية العاطفية في وقوفه أمام الباطل؟

والجواب يكمن في أنّ مبدأ السلوك الإنساني هو عنصرا الإرادة والاختيار (المعرفة)، والميول والعواطف، فيمكننا تشبيه العقل بالضوء، والعواطف بالمحرِّك، لأنّها ذات حالة دافعة، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**العقول أئمّة الأفكار، والأفكار أئمّة القلوب، والقلوب أئمّة الحواس، والحواسّ أئمّة الأعضاء**»[4]، وبين هذين العاملين تناسب طردي، أي: كلّما كانت المعرفة أقوى، كان الميل والرغبة أقوى[5]، فالمعرفة تقوم بتوجيه العاطفة، والعاطفة تسرّع أو تأخّر التحوّل المعرفي[6]، فالمعرفة وحدها عاجزة عن إبراز السلوك المطلوب، ولا بدّ من وجود ميل وعاطفة لتحريك

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٦، ص٢١٠.
(٢) المصدر السابق: ص١٩٢.
(٣) أُنظر: الصدر، محمد باقر، التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزيمة: ص٣.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص٩٦.
(٥) عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ أَعْلَمَ النَّاسِ بالله أَرْضَاهُمْ بِقَضَاءِ الله عَزّ وَجَل». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٠.
(٦) أُنظر: موسوي نسب، محمد رضا، إيمان و تأثير آن بر رفتار (الإيمان وتأثيره في السلوك)، مجلّة معرفت: العدد ١٠٤. أُنظر: موقع: *www.nashriyat.ir*.

الإنسان نحو ذلك السلوك، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1]، كما أنّ العاطفة المطلوبة لا بدّ أن يكون لها جذور معرفية، ويكون مدى شكلها ونوعها منسجماً مع عمق ونوع المعرفة.

وعلى الرغم من أهمّية العواطف في إيجاد الحركية يجب أن تكون هذه الحركية تحت إشراف العقل، وهذا لا يعني التقليل من شأن العاطفة، لكي تكون في مقابل التعقّل، بل لأنّ هناك في جانب العقل المستقلّ تعقّلاً آخر يدفع الإنسان إلى الاتّباع القلبي[2]. ويرى الشهيد المطهري أنّ الفصل بين هاتين المقولتين[3] أمر عبثي، وأنهّما مكمّلان لبعضهما البعض[4].

وقد قام الإمام الحسين عليه السلام بهذا الدور الثنائي بأكمل وجه، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله بحقّ ولده الحسين عليه السلام: **«مكتوب عن يمين العرش مصباحٌ هادٍ وسفينةُ نجاة»**[5]، إذ إنّ الإمام الحسين عليه السلام **«هو الذي يوفر للأُمّة الإسلامية حاجتها العقلية كما وفّر لها حاجتها العاطفية، فالحسين عليه السلام كما أصبح للمسلمين بمثابة نقطة الرجاء والعاطفة بنصّ الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله، حيث وصفه بـ(سفينة النجاة) التي تؤدّي دور المنقذ أثناء وبعد الأمواج والعواصف والدوّامات، فهو ـ أيضاً ـ بشعاراته ومنجزاته الدينية أصبح مصباح الهدى بالنسبة للمؤمنين الذين تعترض طريقهم الانحرافات الفكرية والسياسية»**[6].

---

(١) النمل: آية ١٤.

(٢) أُنظر: نجفي، محمد وآخرون، سازماندهى تربيت عاطفى (تنظيم التربية العاطفية)، مجلّة پژوهش در مسائل تعليم وتربيت إسلامى (دراسات في مسائل التربية والتعليم الإسلامي): العدد ٣٩، ص٥٦.

(٣) مقولتا (العقل والعاطفة) مورد البحث، أمّا في بحث الشهيد مطهري فهما (العقل والعشق)، والمحبّة الشديدة من أبرز أنواع العاطفة.

(٤) مطهري، مرتضى، حاشية كتاب أُصول الفلسفة والمنهج الواقعي: ج٥، ص١٠.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ج١، ص٢٦٥.

(٦) المدرسي، محمد تقي، الإمام الحسين عليه السلام آية العقل والعاطفة *Almodarresi.com*.

مصاديق الشعائر الحسينية ودورها في تحفيز الذكاء العاطفي

سنبحث هنا كيفيّة تحفيز مصاديق الشعائر الحسينية كالبكاء، والرثاء والعزاء، والمحاضرة الحسينية للذكاء العاطفي:

أولاً: البكاء

تعدّ أسباب البكاء من الأسرار المعقّدة في الإنسان، ويرى المتخصّصون في علم النفس أنّ للبكاء ثلاثة مستويات:

١ـ أن يكون الباعث للبكاء هو الظروف الفيزولوجية[١].

٢ـ الأطباع.

٣ـ المشاعر الرفيعة والمتعالية: كالبكاء أثناء الدعاء، أو عند إدراك مسألة معنوية.

وقد أُجريت تجربة على (٣٠٠٠) شخص، أكّد ثلثاهم تحسّن أحوالهم النفسية بعد البكاء، كما أنّ الأفراد الذين يحظون بالدعم الاجتماعي يرتفع مؤشّر احتمال تحسّنهم بعد بكائهم[٢]، فالبكاء نعمة منَّ اللهُ بها علينا، وتخفيفٌ منه عزّ وجلّ عن نفوسنا، فهو دليل على سوائنا العاطفي، واتزاننا الانفعالي وصحّتنا النفسية[٣].

أمّا في الإسلام فلو راجعنا القرآن الكريم لوجدناه يُثني على ظاهرة البكاء التي تنشأ من إدراك الحقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٤]، فقد مدح الله تعالى أُولئك لأجل البكاء والتأثّر. ولو كانوا يستمعون فقط لِما أُنزل من الوحي ولا يبكون، فلن يكون

---

(١) الفيزيولوجيا: «علم يبحث ويدرس وظائف الأعضاء في الحيوان والنّبات، تتشكّل من خلالها ظواهر الحياة». أُنظر موقع: www.almaany.com/ar/dict/ar-ar.

(٢) أُنظر: www.razeneshat.blogsky.com.

(٣) أُنظر: فرغلي، هارون، سيكلوجية البكاء: ص١٥.

(٤) الإسراء: آية ١٠٩.

لديهم خشوع. والخشوع ـ الذي هو ذروة الحالات النفسية العملية ـ هو فعل من أفعال إدراك الباطن العلوي في النفس، وهو القلب، فلولا البكاء لما حصَلَ ذلك الفعل العلويّ للنفس؛ لأنّه ناتج من معلومة صادقة، وغاية صادقة، وهي الفرار من الذنوب، والتشوّق إلى النشآت الأبديّة الخالدة، وهذا التشوّق والتأثّر يمدحه القرآن الكريم، «**فما تطالبنا به هذه الآيات الكريمة هو البكاء المتوفِّر فيه الشرطان السابقان، وهو انطلاقه وتولّده من معلومة حقّانية، واندراجه تحت غاية كمالية، مثل هكذا بكاء يمتدحه القرآن أشدّ المدح**»[1].

وحيث إنّ «**قيادة النفس إنّما هي بالإرادة، والإرادة صفة عملية، والذي يوجدها ويولِّدها ويثيرها ويحرّكها هو جانب العاطفة ـ العاطفة الصادقة ـ أو جانب العقل العملي الصادق الوليد للجانب الإدراكي، فإذا فقد الإنسان إرادته فإنّه سوف يفقد كلّ شيء في شخصيته، فالإرادة ـ التي هي أثمن شيء في الوجود، وهي الصفة التي امتاز بها الإنسان عن بقيّة المخلوقات... ـ لا بدّ من تطعيمها بعاطفة صادقة**»[2].

أمّا فيما يخصّ البكاء على سيد الشهداء عليه السلام وهو «**عمدة أقسام الشعائر الحسينية... بل نستطيع أن نسمّيه الشريان الدموي للعديد من الأقسام في الشعائر الحسينية... مثلاً: أُنظر إلى الخطابة أو إلى الشعر أو النثر أو الرثاء أو التمثيل (الشبيه)، أو أُنظر إلى اللطم والعزاء أو لبس السواد، فإنّ كلّ هذه الظواهر المختلفة من الشعائر الحسينية، حينما تريد أن تتألّق وتحلّق وتبلغ ذروتها تصل إلى حدّ البكاء، فالبكاء حينما جعلناه قسماً من أقسام الشعائر الحسينية، فإنّه في الحقيقة هو ليس قسماً مقابل الأقسام الأُخرى، بل ربّما جعله بعضهم مَقسماً لأقسام الشعائر الحسينية** »[3].

فعاشوراء الحسين عليه السلام حرّكت العواطف الإنسانية على اختلاف أديان ومعتقدات

---

(١) السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٢٩٤.

(٢) المصدر السابق: ص٢٨٧.

(٣) المصدر السابق: ص٢٥٧.

حامليها، وحيث إنّ القيمة في العواطف أن تتّجه بوصلتها نحو قبلة القيم، فإنّ عمق هذا الاهتمام بالبكاء وقوع الفاجعة على إمام معصوم، وسبط الرسولﷺ، «**وهذا الاهتمام الكبير بالبكاء إنّما نشأ من توصية الرسول الكريمﷺ والأئمّة عليهم السلام من خلال الحثّ الأكيد والتوجيه الشديد إليه... لذا اعتدّ به علماء الإماميّة، سواء المحدّثون أو المؤرّخون أو الفقهاء في فتاواهم المتعلّقة بالشعائر الحسينية، حيث يبرز البكاء عندهم كأنّه العمود في خيمة الشعائر الحسينية، وما ذهب إليه فقهاء الإمامية أو بقيّة أصناف علماء الإمامية ليس هو فقط كفتاوى مسلّمة، وإنّما هو ما تشير إليه الأبواب العديدة الواردة في الشعائر الحسينية، وهو أنّ البكاء هو عمدة ولُباب الشعائر الحسينية، وليس فقط قسماً من أقسام الشعائر الحسينية، بل هو لبّ الشعائر الحسينية وأهمّها**»[١]، ولأهّميته عقد له العلماء أبواباً خاصّة في كتبهم[٢].

وهنا قد يرد هذا التساؤل وهو: هل يقلّل البكاء الحالة الضاغطة؟

وفي الجواب قد يُقال: «**إنّ البكاء ينفّس عن الحالة الضاغطة، لا أنّه يقلّل السُّعرة ويُخمد الهمّة لاسترجاع الحقّ، بل على العكس، لأنّ المفروض أنّ البكاء لا بدّ أن يوجّه إلى غاية معيّنة، مثل: أنّ المظلوم يبكي لفقد حقّ من حقوقه، وفقد ما هو كمال له، وهذا وإن نفّس عن نفسه من جهة الضغط المتراكم عليه نتيجة ذلك الفقدان، لكن لا زال البكاء يزيد المظلوم تشوّقاً إلى ذلك الكمال والحقّ المطلوب**»[٣]. يقول الإمام الخمينيقدس سره في هذا الصدد: «**نحن أُمّة تصنع من دمع مآقيها سيلاً عَرِماً يحطّم كلّ السدود التي تقف بوجه الإسلام**»[٤].

---

(١) المصدر السابق: ص٢٥٨.

(٢) عقد العلامة المجلسيرحمه الله في كتابه (بحار الأنوار) باباً خاصّاً للبكاء على مصيبة سيّد الشهداء في (الجزء٤٤، الباب٣٤) في تاريخ الحسينعليه السلام، أسماه (باب ثواب البكاء على مصيبتهعليه السلام)، وقد عقد الشيخ الحرّ العاملي بدوره في كتاب (وسائل الشيعة)، كتاب المزار، آخر كتاب الحجّ، باباً جمع فيه بالتحديد عشرين رواية أو طريقاً في ثواب البكاء.

(٣) السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٢٨٢.

(٤) أُنظر موقع: *Alwelayah.net*.

بقـي أن نحدّد أيّهما الهدف الفرعي، وأيّهما الهدف الغائي الأصلي؟ فهل الهدف هو صِرف البـكاء؟ أم الهدف الحقيقي هو الحماسـة النابعة من البكاء الموجّه؟ فعاشـوراء تمثّـل أوج العاطفـة وأوج الحماسـة، فلو نظرنا إلى عاشـوراء عـلى أنّ الأصل فيها هو العاطفة لا غير، فستكون النتيجة هي البكاء المتواصل والعزاء والمراثي، أمّا إذا كانت الحماسـة هي الأصل[1]، فستكون النتيجة هي (هيهات من الذلّة)، والوقوف في وجه اليزيديين، وسلوك طريق الحرية[2].

ونحن هنا لا نريد بهذا الكلام الاستهانة بالجانب العاطفي ودوره في إحياء الذكرى الخالدة، ولا البكاء والتباكي على هذه المأسـاة الفظيعة التي يسـتنهض اسـتحضارها جميع معاني النبل والمروءة والشـهامة في قلوب الأحرار والشرفاء، ولكنّنا نقصد عدم تحويل هذا البُعد العاطفي إلى حالة تقليدية فلكلورية، ينتهي مفعولها بعد لحظات من انفجارهـا، أي: أنّنا نسـعى إلى تحويل هذه الفورة العاطفيـة الغاضبة إلى غضب دائم الاعتـمال ضدّ كلّ الطغاة في كلّ زمان، نريده بكاءً رسـالياً يعـبّر عن عمق التصميم، وعمق الإرادة، وفروسية الإقدام الذي يتعمّد الثأر للقيم المنتهكة والدين المضيّع[3].

وبناءً على المقدّمات السـابقة التي أثبتنا فيها أنّ العاطفة الممدوحة في منهج العقل والديـن هـي العاطفـة المبتنيـة على حقيقة سـامية؛ وحيث إنّ الغاية لا تبرر الوسـيلة، فـلا نغالي إن قلنـا: إنّ هناك خطراً يهـدّد الإبكاء على المصائب والمحـن التي واجهها سـيد الشـهداء عليه السلام وأهل بيته، فالبكاء المطلوب ـ كما أثبتنا ـ هو البكاء الذي يحيي في نفوسنا محبّتهم، البكاء النابع من معرفة عظم ما وقع عليهم مع عظم مقامهم عند الله

(١) عندما يصير البكاء مجرّد غاية ـ كما في الاحتمال الأوّل ـ لن يبقى مجال لهدف آخر، أمّا لو اعتقدنا بأنّ الهدف الغائي هو الحماسة، فنحن بذلك لا نلغي دور البكاء، وكيف يتسنّى لنا ذلك، وقد أوصانا به أهل البيت عليهم السلام.

(٢) أُنظر: اسفندياري، محمد، از عاشوراى حسين تا عاشوراى شيعه (من عاشوراء الحسين إلى عاشوراء الشيعة)، مجلّة نصوص معاصرة: العدد ٩، ص١٦ ـ ١٧.

(٣) أُنظر: الأسدي، مختار، الشعارات والشعائر.. الوظيفة والتوظيف، مجلّة المنهاج: العدد٣٤، ص٧٤، وما بعدها.

تعالى، ويجدّد فينا العزم والهمّة على السير والثبات في طريقهم الثوري الإصلاحي؛ هذا البكاء يكاد ينمسخ عن هويته الحسينية عندما يتحوّل إلى إبكاء للمستمع وبأي وسيلة، ولو بسرد قصص ضعيفة، فلا حاجة بنا إلى التهويل والمبالغة، ومما يقرح القلوب تفنّن البعض في ذكر جزئيات ما جرى على سيّد الشهداء بطريقة جعلت المصيبة تفقد حرمتها، بينما نرى الملتزمين من الخطباء يؤكّدون على أنّهم لا يذكرون تفاصيل مقتل الإمام الحسين عليه السلام إلّا في يوم العاشر من المحرّم.

كما أنّنا لو تمسّكنا بالعاطفة وحدها من دون تعميق معرفي بمكانة الإمامة غير المنفكة عن التوحيد والنبوّة، ومن دون تنقية لقلوبنا من درن الذنوب الباعث على قسوتها[1]، فقد لا نضمن بقاءنا على النهج الحسيني.

فالتخالف بين الفكر والعاطفة من الأمراض التي ابتُلي بها المجتمع الإسلامي في زمن الإمام الحسين عليه السلام كما ذكر الشهيد السيّد محمد باقر الصدر: «**وأعجب مظهر من مظاهر هذا الانهيار هو التناقض الذي كان موجوداً بين قلب الأُمّة وعواطفها وعملها، هذا التناقض الذي عبّر عنه الفرزدق بقوله للإمام الحسين عليه السلام: إنّ قلوبهم معك وسيوفهم عليك، وليس معنى ذلك أنّ جماعة قلوبهم معك وجماعة أُخرى سيوفهم عليك... الشخص الذي لا يملك إرادته يمكن أن تتحرّك يده على خلاف قلبه وعاطفته، ولهذا كنّا نراهم يبكون ويقتلون الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّهم يشعرون بأنّهم بقتلهم للإمام الحسين عليه السلام يقتلون مجدهم، يقتلون آخر آمالهم... كانوا يشعرون بأنّهم يقتلون بهذا الأمل الوحيد الباقي للتخلّص من الظلم القائم، ولكنّهم مع هذا الشعور لم يكونوا يستطيعون إلّا أن يقفوا هذا الموقف، ويقتلوا الإمام الحسين عليه السلام، قتلوه وهم يبكون، وأسأل الله أن لا يجعلنا نقتل الإمام الحسين ونحن نبكي عليه، أن لا يجعلنا نقتل أهداف الحسين ونحن نبكي**.

(١) ورد عن الإمام علي عليه السلام: «ما جفّت الدموع إلّا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلّا لكثرة الذنوب». الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٢٥.

الإمام الحسين ليس إنساناً محدوداً عاش من سنة كذا ومات في سنة كذا، الإمام الحسين هو الإسلام ككلّ، هو كلّ هذه الأهداف التي ضحّى من أجلها هذا الإمام العظيم، هذه الأهداف هي الإمام الحسين، لأنّها هي روحه، وهي فكره، وهي قلبه، وهي عواطفه... هي هذه القيم المتمثّلة في الإسلام، فكما أنّ أهل الكوفة وأهل الشام كانوا يقتلون الحسين وهم يبكون، فهناك خطر كبير في أن نُمنى نحن بنفس المحنة، أن نقتل الحسين ونحن نبكي.

يجب أن نشعر بأنّنا لا نكون ـ على الأقل ـ قتلة للحسين ونحن باكون... لأنّ البكاء لو كان وحده يعني أنّ الإنسان غير قاتل للحسين إذن لما كان عمر بن سعد قاتلاً للحسين، لأنّ عمر بن سعد بنفسه بكى حينما مرّت زينب ـ عليها الصلاة والسلام ـ في موكب السبايا، في الضحايا، حينما التفتت إلى أخيها، حينما اتّجهت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تستنجده أو تستصرخه... حينما أخبرت جدّها صلى الله عليه وآله... ضجّ القتلة كلّهم بالبكاء... إذن؛ فالبكاء وحده ليس ضماناً، العاطفة وحدها ليست ضماناً لأثبات أنّ صاحب العاطفة لا يقف موقفاً يقتل فيه الإمام الحسين، أو يقتل فيه أهداف الإمام.

لا بدّ من امتحان، لا بدّ من تأمّل، لا بدّ من تدبّر، لا بدّ من تعقّل، لكي نتأكّد من أنّنا لسنا قتلة للإمام الحسين»[1].

ويرى الشهيد الصدر رحمه الله أنّ مجرد الحبّ والزيارة والبكاء والمشي ـ مع كونها أُموراً عظيمة ـ كلّ ذلك: «لا يكفي ضماناً ودليلاً لكي يثبت أنّنا لا نساهم في قتل الإمام الحسين، لأنّ بإمكان إنسان أن يقوم بكلّ هذا عاطفياً، وفي نفس الوقت يساهم في قتل الإمام الحسين، يجب أن نحاسب أنفسنا، يجب أن نتأمّل في سلوكنا، يجب أن نعيش موقفنا بدرجة أكبر من التدبّر والعمق والإحاطة والانفتاح على كلّ المضاعفات والملابسات؛ لكي نتأكّد من أنّنا لا نمارس من قريب أو بعيد، بشكل مباشر أو بشكل

(١) الشهيد الصدر، محمد باقر، محاضرة بعنوان: التخالف بين عمل الأُمّة وعواطفها، موقع: www.Yahosein.com.

غير مباشر قتل الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام»[1].

وحول شعار: (كلّ أرض كربلاء، وكلّ يوم عاشوراء) يقول الإمام الخميني قدس سره: «إنّ مقولة (كلّ يوم عاشوراء، وكلّ أرض كربلاء) مقولة كبرى، لكنّها تُفهَم فهماً خاطئاً، فالبعض يتصوّر أنّها تعني أنّنا ينبغي أن نبكي كلّ يوم، لكنّ محتواها غير هذا. لو نظرنا ما هو دور كربلاء في يوم عاشوراء، حينذاك ندرك أنّ على كلّ أرض أن تكون كذلك، أن تمارس دور كربلاء الذي يتلخّص في أنّها كانت ميداناً خاض فيه سيد الشهداء عليه السلام غمار الحرب، ومعه ثلّة قليلة من الأنصار، فصمدوا وقاوموا ظلم يزيد، وتصدّوا للحكم الجائر لذلك العصر، وضحّوا وقُتِلوا، ورفضوا الظلم، وهزموا يزيد ودحروه. إنّ منهج الإمام الحسين (سلام الله عليه)، وأوامره الموجّهة للجميع (كلّ يوم عاشوراء وكلّ أرض كربلاء) تقضي بأن نستمر في الثورة والقيام والنهوض، امتداداً لتلك النهضة، وذلك المنهج، فالإمام الحسين عليه السلام ثار ومعه فئة قليلة العدد من الأنصار، ووقف بوجه امبراطورية كبرى، وضحّى بكلّ شيء من أجل الإسلام، وأكّد أنّه ينبغي أن يستمرّ هذا الرفض والقيام في كلّ زمان ومكان. البكاء إظهار لمظلومية الإمام الحسين، ويثير السخط على الظلم والظلام... ينبغي لنا أن نبكي على شهيدنا ونصرخ ونعبئ الناس بالوعي واليقظة...»[2].

إذن؛ البكاء المطلوب هو البكاء الواعي الذي يخرجنا من صفوف أعداء الإمام الحسين عليه السلام، ويدخلنا في صفوف أنصاره في معركته المستمرّة ضدّ يزيد كلّ زمان، وهو استجابة لندائه عليه السلام: «هل من ذابٍّ يذبّ عن حرم رسول الله؟ هل من موحّد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟»[3]، مخاطباً الأحرار على مرّ العصور، فمن المؤكّد أنّ الباعث على هذا الكلام عن أبيّ الضيم عليه السلام ليس هو شعوره بالوحدة ـ فكيف يشعر بالوحدة مَن كان مع الله، وكان الله معه؟! وقد أذهلت روحيته

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أُنظر: موقع: *www.imam-khomeini.com*.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٦.

العالية التي كان عليها في الساعات الأخيرة من القتال[1] كلّ عدوّ وصديق ـ بل هو استنصاره لمعركة الحقّ على الباطل، فنداؤه ذاك يدوّي إلى الآن، وعلى مدى الأيام في أسماع التاريخ، ويثير الضمائر الحيّة عند الأحرار؛ دعوةً للصمود ومقاومة للظلم ومناصرة لدين الله، في شتّى مجالات الحياة.

ثانياً: الرثاء

تُكرّم كلّ أُمّة عظماءها الذين دافعوا من أجل أن تكسب الأُمّة حرّيتها واستقلالها، فثراء الأُمم إنّما هو في رجالها، وكلُّ مَن يحمل روح الإباء ويرفض الظلم والاستعباد يُكِنُّ الاحترام لمنادي الحرية، فتجد النفوس تحمل الاحترام ـ مثلاً ـ لغاندي زعيم الهند، ونيلسون مانديلا مناهض التمييز العنصري في جنوب أفريقيا؛ لما قاما به من نضال من أجل حرية أبناء جلدتهما، فليس ما تقوم به الأُمّة الإسلامية من احتفاء بذكرى سبط رسول الله صلى الله عليه وآله بدعاً من بقيّة الأُمم، فقد حمى أبو الأحرار عليه السلام كيان الإسلام بدمه الطاهر، ورسم مع تلك الثلّة القليلة طريق الحرّية والإباء.

الرثاء على السبط الشهيد عليه السلام قد ثبت أنّه سنّة إلهية تكوينية، وقرآنية إضافة إلى كونه سنّة نبوية، فكون بكاء السماء عموماً سنّة تكوينية إلهية أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾[2]؛ إذ نفت هذه الآية بكاء السماء والأرض على هلاك قوم فرعون الظالمين، ممّا يقتضي وجود شأن فعل البكاء من السماء والأرض كظاهرة كونية، وإلّا لما كان للنفي معنى محصّل؛ وقد أشارت المصادر العديدة من كتب إخواننا أهل السنّة ـ فضلاً عن كتبنا ـ إلى وقوع هذه الظاهرة الكونية عند مقتل الحسين عليه السلام، ومطر السماء دماً، واحمرارها مدّة مديدة، ورؤية لون الدم على الجدران

(١) قال علي بن الحسين عليهما السلام: «لما اشتدّ الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام نظر إليه مَن كان معه، فإذا هو بخلافهم؛ لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرت ألوانهم، وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين عليه السلام وبعض مَن معه من خصائصه تشرق ألوانهم، وتهدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: أُنظروا لا يبالي بالموت». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦، ص١٥٤.

(٢) الدخان: آية٢٩.

وتحت الصخور والأحجار في المدن والبلاد الإسلامية[1][2]، وفي ذخائر العقبى عن أُمّ سلمة قالت: «**لما قُتِل الحسين ناحت عليه الجن ومُطرنا دماً**»[3].

أمّا المصادر التاريخية المعتمدة عند المستشرقين والعلماء الغربيين، فمما تعتمده الموسوعة البريطانية هو كتاب وقائع عصر الأنغلوساكسون[4]، وقد جاء في الصفحة ٣٨ لأحداث سنة (٦٨٥م) ـ وهي السنة التي استُشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام ـ أنّ السماء في بريطانيا هذه السنة أُمطرت دماً، وتحوّل الحليب والزبد إلى دم[5].

إنّ الأُسلوب المتعارف منذ القدم لتخليد ملحمة عاشوراء وتمجيد ذكر الإمام الحسين عليه السلام، هو أُسلوب الشعر، وقد كان أهل البيت عليهم السلام يحثّون على هذا الأُسلوب، وكانت المراثي ولا تزال من المحاور الأساسية لقصائد الشعراء الشيعة، ومحبّي أهل البيت عليهم السلام؛ فالحسين عليه السلام هو قتيل العبرات، ومحيي الرثاء. نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ما من أحد قال في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى به إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له**»[6]. وعلى هذا الأساس فإنّ الكثير من أشعار عاشوراء موجودة في ثقافتنا الدينية في قالب القصيدة والرباعيات، وما شابه ذلك، وتُستخدم في شعائر التأبين

(١) أُنظر: السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٤٠٣.

(٢) فقد نقل ابن عساكر عن الأسود بن قيس، قال: «احمرّت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر، يُرى ذلك في آفاق السماء كأنّها الدم، قال: فحدّثت بذلك شريكاً، فقال لي: سألت مَن الأسود؟ قلت: هو جدّي أبو أُمّي. قال: أما والله، إن كان لصدوق الحديث عظيم الأمانة مكرماً للضيف». ابن عساكر، أبو القاسم، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢٢٧.

(٣) الطبري، أحمد، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ج١، ص١٥٠.

(٤) طبع في بريطانيا عام (١٩٩٦م)، وأُعيد طبعه ثانية من قبل جامعة اكستر *Exeter* في ولاية نيويورك الأميركية عام (١٩٩٨م)، وهو يتضمّن الأحداث التاريخية التي مرّت بها الأُمّة البريطانية منذ عهد المسيح.

(٥) *Here in Britain there was Bloody rain, and milk and butter were turned to blood*، ومعناه: في عام (٦٨٥ للميلاد) مطرت السماء دماً، وتحوّل الحليب والزبدة إلى دم، أو صار لونها أحمر. *www.hawzah.net*.

(٦) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٩٤.

والعـزاء في شـتّى المناسـبات، إذ يصوغ شـعراء الطف مشـاعرهم تجاه هـذه الملحمة الكبرى في قالب شعري.

ثالثاً: العزاء

حريّ بكلّ أُمّة تريد الثبات على قيمها وكيانها الاهتمام بالشخصيات التي دافعت عن هذا الكيان، والاحتفاء بذكرى شهادتها أو رحيلها، بل تقدم الجوائز لكلّ مَن ينشر عقائد هذه الشخصيات[1]، فإحياء الذكريات التي تمثّل منعطفاً بارزاً، وتحوّلاً نوعياً في حياة الأُمم، أمر طبيعي وغير مستهجن؛ لأنّه نابع من ذات الإنسان، ومتّصل بفطرته.

وبنـاءً عـلى التقاليد المتّبعة في المجتمعـات البشرية، تقيم عائلـة القتيل المأتم عليه، ولم يكن أهل بيت الإمام الحسـين عليه السلام استثناءً من ذلك، بل اتّسعت دائرة مأتم الإمام الحسـين عليه السلام لـما له عليه السلام من صلـة بالنبـي صلى الله عليه وآله ومكانـة اجتماعية، حتّـى أقام لـه الناس ـ وبخاصّة الصحابة والتابعون ـ المآتم، وسمّي عام استشهاده بـ(عام الحزن)[2].

وتعدّ مجالس العزاء الحسـيني مصداقاً واضحاً لإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، الذي يجدّد في الإنسـان العزم في سـيره نحو الكمال، كما أنّها تعدّ تأسّياً بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتُمثّـل مظهـراً من مظاهر الولاء والارتباط بأئمّة أهـل البيت عليهم السلام، فلا نغالي إذا قلنا: إنّ الدعوة لإحياء مراسم عاشوراء خطوة ممنهجة لحفظ الإسلام.

وعندمـا تتّضـح لنا أهمّية هذا العـزاء، ويخرج من دائرة التقليـد الموروث، يتحتّم علينـا التدقيـق فيه شـكلاً ومحتـوى، وبـما أنّ الغاية من ذلـك صناعة القـدوة وفعل الاقتداء، يتحتّم عرض الواقعة وشـخصياتها بما فيها الإمام الحسـين عليه السلام، بنحو يحرّك العواطـف، ويبنـي العقول، ويقـوّي أواصر العلاقة بأهل البيـت عليهم السلام، تلك العلاقة

(١) فعلى سبيل المثال تمنح الهند جائزة غاندي، والجائزة أُنشئت سنة (١٩٨٨م)، تحت عنوان: (تعزيز قيم الزعيم غاندي في العالم)، وقد تمّ الإعلان عنها من قبل الحكومة الهندية احتفالاً بالذكرى (١٢٥) لولادة المهاتما غاندي، ليُصبح تقليداً سنوياً يُلفت الأنظار.

(٢) أُنظر: الجويني، محمد صالح، تاريخ المأتم الحسيني، من الشهادة وحتى العصر القاجاري، ترجمة: فرقد الجزائري، مجلّة نصوص معاصرة: العدد ١٠، ص٧٧.

القائمة على أُسس المودّة والتأثّر بسجاياهم الحميدة، وذلك عن طريق عرض ملحمة كربلاء بشكل إنساني.

ومن الطبيعي أن يسعى المحبّ إلى التقرّب إلى محبوبه، وغالباً ما يتحقّق ذلك بالسير على نهجه والاقتداء بأعماله، وفيما يخصّ أهل البيت عليهم السلام يتحقّق بالاقتداء بسيرتهم عليهم السلام في معاملاتهم وعلاقاتهم مع الآخرين في البيت والمجتمع، والدعوة إلى مقارعة الظالمين وإحقاق الحقّ والعدالة الشاملة، ومجالس العزاء وأمثالها تربّي لدى الناس روح المروءة، وتبعث في أنفسهم قوّة الإرادة في سبيل الحقّ والحقيقة.

أمّا «**الغاية من المجالس والمواكب فهي غايةٌ دينية تدخل في المعتقد والقدسية، وهي مصداق بارز لمفهومي: التولّي والتبرّي، وهما من فروع الدين الواجبة، وإذا تقدّست الغاية تقدّست وسيلتها بالتّبع، أي: أنّ تلك المجالس تتميّز عن سائر اللقاءات والاجتماعات الأُخرى بأنّ لها مكانة وحرمة في النفوس، وتشمل هذه المنزلة أيضاً زمان إقامة المجلس ومكانه على حدّ سواء، الأمر الذي يستدعي الالتزام بجملة من القواعد السلوكية أثناء المجلس وفي محلّ إقامته**»(١).

هذا إضافة إلى الحاجة الأوّلية لتنظيم السلوك الإنساني في المجتمع، فالإنسان كائن اجتماعي، فهو لذلك في حالة سعي دائم إلى الانتماء والارتباط بالآخرين، «**ويمثّل التجاذب بين أعضاء الجماعة حاجة نفسية اجتماعية دافعة إلى تكوين الجماعة... ويقوم هذا التجاذب بوصفه اتجاهاً على ثلاثة مكونات رئيسية هي: المكون المعرفي، ويتضمّن المعتقدات والمعلومات عن الشخص المرغوب فيه، والمكون الوجداني، ويتعلّق بمشاعر الحبّ أو الكراهية نحوه، والمكون السلوكي، ويفصح عن نفسه من خلال الميل بالاقتراب أو الابتعاد عن الشخص موضوع هذا الاتجاه**»(٢).

---

(١) ظاهري، محسن، مجالس العزاء.. الأدوار والوظائف الفردية والاجتماعية، مجلّة نصوص معاصرة: العدد ٩، ص٥٧.

(٢) محمود مجدي، ديناميات الجماعة، بحث منشور على الرابط التالي: *http://www.acofps.com/vb/showthread.php?t=16809*

ومسلّمٌ أنّ نظام الأخلاق الدينية أحدُ مصادر تلك الأُصول والقواعد، ونظراً إلى ما للجماعة من دور في الجذب، ينبغي للأفراد المشاركين في خدمة العزاء، والمديرين له، والذين تكون مساهمتهم في العمل طواعية، ينبغي لهم التدقيق في سلوكهم الشخصي، وطريقة تعاملهم مع الحضور، والحذر من نبذ الآخرين لأُمور جزئية أو لاختلافهم الفكري، ولا يكون ذلك إلّا عندما يدركون ـ كما نرى في أغلب مجالس العزاء، حتّى التي تقام في البيوت الشخصية ـ أنّ الحضور هم ضيوف سيّد الشهداء عليه السلام، ومعزّو إمام زمانهم عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ولا ينبغي أن يدفعهم خوف الحفاظ على قدسية المجلس إلى طرد أحد المعزّين من أجل مظهره أو سلوكه، فهدف سيّد الشهداء عليه السلام من حركته المباركة إصلاح أُمّة جدِّه، وهداية الناس، لا استدرار الدموع فحسب.

كما أنّ لجاذبية النشاطات دوراً في انضمام الأفراد إلى الجماعات التي تحقّق الأهداف التي يتطلّعون إلى تحقيقها، وفي بعض الأحيان ينتمي الفرد إلى جماعة معينة لشعوره بالانجذاب نحو النشاطات التي تمارسها، صحيح أنّ الموالين يلزمون أنفسهم بالحضور رغبة في الثواب، وإيماناً منهم بأهمّية هذا الحضور مهما بلغت انشغالاتهم من الكثرة والأهمّية، إلّا أنّ هذا الاندفاع لا يحول دون توظيف أكبر لإنجاح هذه المجالس، لذا يجب أن تكون مجالس العزاء في نفس الوقت الذي تُعمّق فيه العلاقة بالثورة الحسينية وأهدافها الإنسانية العالية، جذّابة في محتواها وشكلها للمخاطبين، ومتطلّعة إلى حاجاتهم، ومتناغمة مع روح العصر وملابساته وظروفه المعقّدة، في ظلّ التحدّي الذي يهدّد كيانهم الديني، والثقافي[1]، وتعمل على بثّ روح الأمل فيهم، أي: أنّها تجمع بين الأصالة والتجديد في آن واحد[2].

(١) قال سيّد العابدين عليه السلام: «مَن ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدرٍ وأُحد». المجلسي، محمد باقر، بحارالأنوار: ج٥٢، ص١٢٥.

(٢) لمطالعة المزيد اُنظر: السند، محمد، الشعائر الحسينية: ج٢، ص٢٤.

رابعاً: التبليغ (المنبر الحسيني)

«**ونظراً لما يقوم به المنبر الحسيني من دور مهم في عصرنا الحاضر، وما يتحمّل من أعباء كبيرة في تربية الأُمّة وإعدادها، وربطها بمفاهيم الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، بالإضافة إلى دوره التاريخي الهادف إلى إبقاء ثورة كربلاء حيّة متّقدة في النفوس، تتجاوب معها الأرواح وتنفعل معها المواقف؛ ولأنّه أصبح الآن جزءاً من التراث الديني للطائفة الشيعيّة**»(1)، كان لا بدّ من وضعه تحت مجهر الطموح؛ لكي يحقّق الهدف المنشود له.

إنّ المؤهلات الشخصية تساهم في التأثير في السامعين، وبالتالي إقناعهم وإذكاء العواطف المعقلنة فيهم؛ لتقوية التمسّك بالدين في الظروف المعقّدة التي يعيشها المسلم اليوم، وللأخذ بيده نحو مرحلة إيمانية أعلى، كما أنّ شدّة ارتباط الخطيب الملتزم بالله تعالى، وحالة تقوى الله، وصدق الإنسان في التعامل مع ربّه الكريم، وخلوص النيّة وصفائها، من الأُسس بالغة الأهمّية في توفيقه، وانعكاس ذلك على شدّة تأثّر الناس به وبكلامه ومواعظه، وما يذكر من مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، «**وكم من خطيبٍ في مجالس ذكرى مصرع سيّد الشهداء عليه السلام، يدفع الناس إلى البكاء، والرقّة بمجرّد مشاهدة هيئته وسمته، قبل أنْ يتكلّم!**»(2)، وكما قيل: ليست النائحة كالمستأجرة.

خامساً: اللطم

إنّ اللطم لغة يأتي قريباً أو مترادفاً مع مصطلح آخر وهو (اللدم)، ففي لسان العرب: «**اللدم: ضرب المرأة صدرها**»(3)، أمّا اللطم فهو: «**اللطم: ضرب الخدّ وصفحات الجسم ببسط اليد**»(4). فنجد أنّ مفردتي اللطم واللدم متقاربتان جدّاً أو مترادفتان.

(١) الكاظمي، فيصل، نشوء المنبر الحسيني، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٢، ص١٢٠.
(٢) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص٤٢٩.
(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ص٥٣٩.
(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ٤٣٣.

كما أنّ الكلام عن جواز اللطم ومشروعيته أمر مفروغ منه، فقد بُحِث في محلّه من كتب الفقه والشعائر، وأُشبع بحثاً فيها، و«**إذا كان اللطم مسألة متأصّلة في العادات والشعائر الحسينية، فهو في الوقت عينه تعبير عن حالة الحزن والتعاطف مع صاحب الذكرى، ولكنّه حزن وتعاطف مشحون بوعي ديني يترك أثره وفاعليته وعاطفية روحية في نفوس الممارسين لهذه الشعيرة، ويؤكّد الممارسون من خلالها تمسّكهم بمنهج صاحب الذكرى بكلّ أبعاده الثورية والفكرية؛ وبهذا المعنى يصبح اللطم باعثاً على الاستنهاض والاستعداد لنصرة السائرين في منهج عاشوراء، والموالين لخطّ أبي عبد الله عليه السلام، وهو استنهاض يتأتى من التعاطف مع المصيبة والفاجعة، والمتصاحب مع الحزن على صاحب الذكرى ومظلوميته، ثمّ يتحوّل إلى وعي أبعاد إحياء الذكرى... فاللطم يستطيع أن يؤدّي دوراً فاعلاً في الاستقطاب والاستنهاض والتفاعل في الثبات على النهج الحسيني الرافض للظلم مع الذكرى، والتمعّن في أحداثها الدامية إلى إرادة نهوض وقيام في مواجهة الباطل الذي واجهه الإمام الحسين عليه السلام، واستُشهد في مواجهته له؛ ثمّ إلى وعي... في فهم مرتكزات هذه القضية وامتدادها التي تستمرّ في واقعنا وتجعل كربلاء حيّة وحاضرة في كلّ مواجهة بين الحقّ والباطل**»(١).

إذن؛ قصيدة اللطم تختلف عن غيرها من صنوف الشعر؛ لأنّها اقترنت بسيّد الشهداء عليه السلام، فالمحور العام هو إظهار الولاء والمظلومية التي وقعت على إمام معصوم من أهل البيت عليهم السلام الذين لا يقاسون بسواهم، وحيث إنّ القصيدة الحسينية وليدة مدرسة الفنّ الإسلامي الملتزم، إذن؛ لا بدّ أن يكون لها هدف سامٍ، فمنه الوصف الإيجابي لأنّها مع الحقّ، وتحريك العواطف الإنسانية النبيلة تجاه أهل البيت عليهم السلام هدفه إظهار الولاء لهم والدعوة إليهم، كما أنّ الوصف السلبي لأهل الباطل هدفه إظهار البراءة منهم، والتحذير من الوقوع في شرك الأهواء التي جعلتهم يقفون أمام ابن بنت نبيّهم، كحبّ السلطة والمال.

---

(١) قصير، عبد الله، دور اللطم في استنهاض الأُمّة، مجلّة بقيّة الله: العدد١٦١، ص٣٧ـ٣٨.

كما أنّ عزل عاشوراء عن الأهداف السامية وإبقاءها في إطار الحدث التاريخي بعيدة عن النهل واستقاء العبرة ممّا يبرمج له أعداء الحق، وقد حرّك هذا الهاجس المفكّرين والأُدباء الحسينيين الملتزمين هنا وهناك للقيام بحركات مدروسة وهادفة في البحرين[1] ولبنان[2] والعراق[3]، إلّا أنّ الضمان للتغير يستدعي:

١ ـ ممارسة هذا الإصلاح، وأن يتعدّى المؤتمرات والتوصيات الإرشادية، كإقامة مراكز لتأهيل الكتّاب عقائدياً وفكرياً وثقافياً، بما يوسّع من آفاق فكرهم، ويضمن حصولهم على ثقافة تؤهّلهم لإيصال الخطاب العاشورائي إلى مسامع العالم.

٢ ـ إشاعة ثقافة سعة الصدر واستماع النقد البنّاء، والرغبة في النقد الذاتي، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**اتّهموا عقولكم، فإنّه من الثقة بها يكون الخطأ**»[4]. وعن الإمام الحسين عليه السلام: «**من دلائل العالِم: انتقاده لحديثه، وعلمه بحقائق فنون النظر**»[5].

٣ ـ استكتاب الشعراء المجيدين لا سيّما الكبار منهم.

٤ ـ الإعلان عن مسابقات شعرية، ممّا يساهم في توفير النصوص اللازمة والمعتبرة التي لا بدّ من العمل لإيجادها[6].

---

(١) قدّمت رابطة الشعراء والرواديد دراسة تحمل عنوان: القصيدة الحسينية سياقاتها واستعمالاتها للأُستاذ علي مرهون، ودراسة القصيدة الحسينية في الإصدارات العزائية للأُستاذ علي فرحان، ودراسة أُخرى لحبيب حيدر بعنوان: انشغالات القصيدة الحسينية وتجاذبات الشكل والمضمون، صحيفة الوسط: *www.alwasatnews.com/news*.

(٢) نظم معهد سيد الشهداء عليه السلام في سنة (٢٠٠٥م) المؤتمر العاشورائي التخصّصي الأوّل بعنوان: (اللطم الحسيني ـ المضمون الثقافي).

(٣) أُقيم مهرجان الطف الأول في عاصمة الثقافة العراقية لعام (٢٠٠٨م) الحلّة، تحت شعار (من الإباء والشموخ الحسيني نستمدّ عزمنا لبناء العراق الجديد)، وقد حضره (٦٠) شاعراً من مختلف محافظات العراق.

(٤) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٩١.

(٥) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٤٨.

(٦) أُنظر: الكاظمي، فيصل، منشأ اللطم تاريخياً، مجلّة بقيّة الله: العدد١٦١، ص٢٧.

النتيجة

اصطبغت ذكرى عاشوراء بالعاطفة تجاوباً مع الوقع الأليم، إذ تميّزت هذه الواقعة بحملها كمّاً كبيراً من الزخم العاطفي، وقد شجع أئمّة أهل البيت عليهم السلام الإحياء العاطفي لهذه الذكرى، وباشروه بأنفسهم المقدّسة، وبما أنّهم عدل القرآن يمكننا أن ندّعي أنّ التأثّر العاطفي والبكاء الذي ينشدونه عليهم السلام منّا هو ما وضع القرآن شروطه؛ أي: أنّ انطلاقه وتولّده لا بدّ أن يكون من معلومة حقّانية، واندراجه تحت غاية كمالية، وبناءً على التعريف القرآني للقلب ـ الذي تتّحد فيه كلٌّ من القوّة المنطقية والقوّة العاطفية، وتعملان بشكلٍ متلاحم وغير منفصل ـ فلا منافاة حينذاك بينه وبين العقل، والإمام الحسين عليه السلام بوصفه مصباحاً هادياً وفّر للأُمّة الإسلامية حاجتها العقلية، فالمصباح هو الذي يشعّ بالنور والهدى الذي يهدي الإنسان إلى الطريق المستقيم.

وبوصفه عليه السلام سفينة نجاة، وفّر للأُمة حاجتها العاطفية، فهو بهذه الصفة يؤدّي دور المنقذ أثناء وبعد الأمواج وعواصف ودوّامات الهوى التي تجذب الإنسان إليها، فقد أصبح الحسين عليه السلام للمسلمين بمثابة نقطة الرجاء والعاطفة[1]، إذن؛ يمكن الاستنتاج أنّ البكاء عليه عليه السلام ـ بكاءً يستنهض في النفوس معاني النُّبل والمروءة، ويولّد غضباً دائماً ضدّ الطغاة ـ يُعدّ بكاءً رسالياً، يُعبِّر عن الامتنان لمن ثأر للقيم المنتهكة، والدين المضيّع، فهو بكاء يبني فينا الإرادة والشجاعة، وعدم الخوف من مواجهة الطغاة، رغم قلّة العدّة والعدد، بكاء يجدّد العزيمة على الثبات في المسير على طريق أهل البيت عليهم السلام الإصلاحي، في ظلّ تصاعد وتيرة مغريات الزيغ عن هذا الطريق القويم.

(١) أُنظر: المدرسي، محمد تقي، الإمام الحسين عليه السلام آية العقل والعاطفة، *almodarresi.com*.

التغنّي في مراثي الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ أحمد موسى العلي*

مقدّمة

النهضة الحسينية ليست كسائر الثورات التي حملت شعاراً معيّناً، ثمّ تخلّت عنه أثناء أيام الثورة أو بعد انتصارها، وكما هو الملاحظ في أكثر الثورات المعاصرة، بل نهضة الإمام الحسين عليه السلام نهضة أكّدت شعارها ومبادئها قبل إعلانها للملأ، وفي أثناء تحرّكها ومقاومتها للظلم والظالمين، بل هي كذلك حتّى بعد أن قُدّر لها الانتصار؛ وذلك لأسباب لعلّ من أهمّها شخصية القائد الذي تحمّل أعباء هذه النهضة، فهو شخصية معصومة وامتداد لروح النبوّة المحمدية.

فهذا هو الضامن لتحقيق شعار الثورة ومبادئها، وكلّ مَن له علاقة بهذا القائد قد طرقت سمعه الكلمة الخالدة التي أطلقها؛ حتّى تكون المبدأ والنبراس والقاعدة والشعار الذي ألزم الإمام الحسين عليه السلام نفسه وكل مَن يتّبعه بها، وهي قوله عليه السلام: «**وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام...**»[1].

---

* باحث وكاتب إسلامي، متخصّص في الدراسات الفقهية، من العراق.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩ـ٣٣٠. اُنظر أيضاً: ابن شهر آشوب، محمد ابن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٨٩.

فهذه الكلمة وإن انطوت على الإصلاح في الجانب العقائدي الذي شوّهه بنو أُميّة وأذنابهم من الدعاة المنحرفين، إلّا أنّ وضوحها في جانب فروع الدين الذي يمثّله الجانب الفقهي هو القدر المتيقّن من كلمة الإمام الحسين عليه السلام، خصوصاً وأنّه عليه السلام أردف كلمته بقوله: «**وأسير بسيرة جدّي وأبي**» الذي يمثّل الجانب العملي.

فعلى هذا نلاحظ أنّ الإمام أراد تثبيت أحكام الشريعة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يمثّل أحد جانبي الشريعة من العقيدة والأحكام.

وهذا هو الهدف الأسمى لكافة الأنبياء والمرسلين والأئمّة عليهم السلام في مسيرة تطبيق الدين عملاً وعلى مستوى الحياة والمجتمع.

فدماء الحسين عليه السلام وأصحابه إنّما سالت على رمضاء كربلاء؛ لأجل تطبيق أحكام الله تعالى، هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد أنّ الشريعة وأئمّة المسلمين محمد وآله الطاهرين عليهم السلام، أرجعوا أتباعهم إلى الفقهاء والعلماء العاملين لأخذ ما يهمّهم في أُمور دنياهم وأُخراهم منهم، فهم حماة الدين والشريعة، فكان الأَولى، بل الواجب على كلّ مكلّف ومسلم اتّباع هؤلاء فيما يقولونه من أحكام الدين، وهذا مبدأ عرفي وعقلائي يقضي برجوع غير العارف في أُموره المعاشية والحياتية إلى أهل الخبرة والعلم.

ومن المعلوم أنّ الشعائر الحسينية وما يتعلّق بها من مراسم وممارسات، تتّصف جميعاً بكونها أحكاماً شرعية تخضع لقانون الحلال والحرام والجائز والممنوع. وبعبارة أُخرى: ينطبق عليها أحد الأحكام الخمسة: الواجب، والحرام، والمستحب، والمكروه، والمباح.

فكان من الواجب الرجوع في تشخيص الموقف الشرعي لكلّ ممارسة شعائرية إلى الفقهاء وحملة الشريعة.

وقد نجد أحياناً بعض مَن يدّعي العلم والفقه يستدلّ بأدلّة خارجة عن المبدأ المتّبع عند الإمامية في استنباط الأحكام الشرعية (فن صناعة الاجتهاد)، ويعتمد على أدلّة من قبيل: الاستحسان والمصالح المرسلة، بل القياس في بعض الأحيان،

وليس مهمّتهم سوى تثبيت ما أرادوا الاستدلال عليه، ليس إلّا. خصوصاً إذا علمنا بأنّ بعض هؤلاء لهم مواقف سلبية من الشعائر، والبعض الآخر يمارس بعض الأفعال بدافع التبليغ أو حبّ آل البيت عليهم السلام من دون رويّة وشعور، ويُفتي بفتاوى غير صحيحة مع أنّه لم يبلغ من العلم ما يؤهّله لذلك، بل لم يسلك نهج طلبة العلم والعلماء.

ودعوتي الخاصّة لمحبّي أهل البيت عليهم السلام أن يقيموا الشعائر الحسينية من خلال الرجوع إلى حماة الشريعة والعاملين بحلالها وحرامها، خصوصاً وأنّهم يُجهدون أنفسهم في سبيل استنباط الحكم الشرعي من مصادره المعتبرة.

وقد حاول أعداء الإسلام وأعداء الشيعة بالخصوص من الغربيين والوهابية والسلفيين، القضاء على الشيعة وإثارة النزاعات بينهم؛ وذلك بتشويه القضية الحسينية من خلال دعم بعض الشخصيات المأجورة أو المغفّلة للقيام ببعض الممارسات باسم الشعائر الحسينية.

ونحاول في هذا المقال أن نستعرض مسألة التغنّي في مراثي الإمام الحسين عليه السلام؛ لنقف على حقيقتها وحكمها الشرعي عند الفقهاء، وذلك من خلال عدّة نقاط:

النقطة الأُولى: الغناء في اللغة والاصطلاح

حاصل كلمات اللُّغويين في الغناء أنّه عبارة عن: إدخال بعض المؤثّرات على الصوت، كالترنّم(١)، والتزيين والترقيق(٢)، والترجيع(٣)، والرفع(٤) وإن اتّصف بالطرب(٥)، وغير ذلك من مؤثّرات تحسين الصوت.

(١) أُنظر: الفيومي، أحمد، المصباح المنير: ج٢، ص٤٥٥.
(٢) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٥، ص١٣٦. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج٢٠، ص٣٠.
(٣) أُنظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٤، ص٣٧٢.
(٤) أُنظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٣، ص٣٩١.
(٥) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٥، ص١٣٩.

ونلاحظ سريان هذا المعنى في التعريف الاصطلاحي أيضاً، فقد عرّف الفقهاء الغناء بعدّة تعريفات، منها:

- «**ترجيع الصوت ومدّه**»[١].
- مدّ الصوت وترجيعه المقتضي للإطراب[٢].
- «**الصوت المشتمل على الترجيع وإن لم يكن مطرباً**[٣]»[٤].
- «**الصوت الممدود المحسّن المشتمل على الترجيع**»[٥].
- الصوت المشتمل على لهو الكلام أو المقترن بالملاهي[٦].
- «**الصوت الطيّب الموزون، المفهوم المعنى، المحرّك القلب**»[٧].

---

(١) الحلّي، الحسن بن يوسف، قواعد الأحكام: ج٣، ص٤٩٥.

(٢) أُنظر: الكركي، علي بن الحسين، جامع المقاصد: ج٤، ص٢٣، نقلاً عن: الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص٦٧. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الإفهام: ج١٤، ص١٩٧.

(٣) والمراد من الترجيع هو: ترديد الصوت في الفم والحلق. والمراد من الطرب هو: ما يحصل منه اللّذة والحظ للنفس، كما يحصل من كثير الملاهي، مثل الدف والزمر. (أُنظر: الحلّي، جعفر بن حسن، شرائع الإسلام: ج٤، ص١١٧. الحلّي، الحسن بن يوسف، تحرير الأحكام: ج٥، ص١٥١. الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج١٢، ص٣٣٦. الكاشاني، محمد حسن، مفاتيح الشرائع: ج٢، ص٢٠. الأنصاري، مرتضى، المكاسب: ج١، ص٢٩١).
وقد عرّف الطرب السيد محمد الصدر بقوله: «إنّه خفّة تعتري الإنسان لشدّة حزن أو سرور». (الصدر، محمد محمد صادق، ما وراء الفقه: ج٣، ص٨٨).

(٤) الإردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج٨، ص٥٧.

(٥) العاملي، محمد جواد، مفتاح الكرامة: ج٤، ص٥٠، نقلاً عن: الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص٦٧.

(٦) أُنظر: السبزواري، محمد باقر، كفاية الأحكام: ج١، ص٤٢٨ وما بعدها، وج٢، ص٧٥٠ وما بعدها. الكاشاني، محمد حسن، مفاتيح الشرائع: ج٢، ص١٢١. الكاشاني، محمد حسن، الوافي: ج١٧، ص٢١٨، نقلاً عن: الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص٦٩.

(٧) أُنظر: الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين: ج٢، ص٢٩٤ـ٢٩٦، نقلاً عن: الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص٧٠.

- «رفع الصوت بالشعر[1] وما قاربه من الرجز على نحوٍ مخصوص»[2].
- «رفع الصوت المتوالي بالشعر وغيره على الترتيب المرعي الخاص في الموسيقى، ليدرج فيه البسيط المسمّى بالاستبداء، أو الساذج، فإنّه صوت مجرّد من غير شعر ولا رجز، لكنّه على ترتيب خاص مضبوط من أهل الخبرة»[3].

هذه مجمل الكلمات الواردة في تعريف الغناء.

والملاحظ على هذه التعاريف وغيرها: أنّها ليست تعاريف حقيقية؛ لأنّها غير جامعة لأفراد الغناء، ولا مانعة من دخول أفراد خارجة عن الغناء في الغناء، فهي بين إفراط وتفريط، فعلى بعضها يخرج أكثر أفراد الغناء ممّا لا يحتوي على الترجيع والطرب، ويلزم من بعضها الآخر أن يدخل في الغناء ما ليس من أفراده قطعاً، كرفع الصوت لنداء أحد من بعيد، ورفع الصوت أو تحسينه لقراءة القرآن والمراثي والمدائح والخطب، بل التكلّم العنيف أيضاً[4].

ومن هنا؛ لا بدّ من بيان حقيقة الغناء المنهي عنه في الروايات بما يتناسب مع الواقع الخارجي.

حقيقة الغناء

نستعرض بعض الآراء الفقهية في بيان حقيقة الغناء؛ للوقوف على حدوده التي تميّزه عن غيره، والتي تُعدّ حداً فاصلاً بين ما هو جائز وما هو محرّم.

فقد أرجع أكثر الفقهاء حقيقة الغناء إلى العرف، فما يكون بنظر العرف غناء فهو محرّم وإن لم يشتمل على بعض القيود اللُّغوية في تعريف الغناء؛ لأنّ المعنى العرفي

---

(١) الشربيني، محمد، مغني المحتاج: ج٤، ص٤٢٨. الشرواني، عبد الحميد، حواشي الشرواني: ج١٠، ص٢١٨.

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الكويت)، الموسوعة الفقهية الكويتية: ج٣١، ص٢٩٤.

(٣) الأدفوي، جعفر بن ثعلب، الإمتاع بأحكام السماع (مخطوط): ص١٧، نقلاً عن: المصدر السابق.

(٤) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، موسوعة الإمام الخوئي (مصباح الفقاهة): ج٣٥، ص٤٧٨ـ٤٧٩.

مقدّم على المعنى اللُّغوي[١]، وإن تعذّر المعنى العرفي تمسّكنا بأصل الإباحة[٢].

ويرى الكاشاني أنّ حقيقة الغناء العرفية هو مطلق الصوت اللّهوي، بينما الحقيقة اللُّغوية له هو الصوت المطرب، وأنّ كلّ صوتٍ مطرب يُعدّ غناءً لغةً وإن لم يكن على سبيل اللهو ولم يقترن بشيء من الملاهي والمحرّمات، وإلّا فهو غناء عرفاً، ثمّ لا فرق بين ما كان مشتملاً على كلام مفهوم وغيره، ولا بين ما كان في كلام باطل أو حقّ[٣].

وذكر السيّد الخوئي: «... **أنّ الغناء المحرّم عبارة عن: الصوت المرجّع فيه على سبيل اللهو والباطل والإضلال عن الحقّ، سواء تحقّق في كلامٍ باطل أم في كلام حقّ... ويصدق عليه في العرف أنّه قولُ زورٍ وصوتٌ لهويّ**»[٤].

النقطة الثانية: حكم الغناء في نفسه والاستماع إليه

للفقهاء في حرمة الغناء وجوازه أقوال وتفاصيل، سواء عند فقهاء الإمامية أو فقهاء المذاهب الأُخرى، ونبدأ بذكر الخلاف الدائر بين فقهاء المذاهب، ثمّ نلحقه بالتفصيل الوارد عن الإمامية؛ تمهيداً للدخول في أصل المسألة التي انعقد هذا المقال لأجلها، ويتضح الحال من خلال بيان أُمور:

الأمر الأول: أقوال فقهاء المذاهب في استماع الغناء بقصد الترويح عن النفس

القول الأول: حرمة الغناء، وهو ما ذهب إليه عبد الله بن مسعود، وتابعه على ذلك جمهور علماء أهل العراق، منهم: إبراهيم النخعي، وعامر الشعبي، وحمّاد بن أبي سليمان، وسفيان الثوري، والحسن البصري، والحنفية وبعض الحنابلة[٥].

---

(١) اُنظر: الجناجي، جعفر، شرح قواعد الأحكام (المتاجر): ج١، ص١٩٢. الصدر، محمد صادق، ما وراء الفقه: ج٣، ص٨٦.

(٢) اُنظر: الجناجي، جعفر، شرح قواعد الأحكام (المتاجر): ج١، ص١٩٢.

(٣) اُنظر: الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص٧١ ـ ٧٤.

(٤) الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة: ج١، ص٤٨٦ ـ ٤٨٧.

(٥) اُنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج١٠، ص٢٢٣. ابن قدامة المقدسي، عبد الرحمن، المغني: ج٩، ص١٧٥. ابن حزم، علي بن أحمد، المحلّى بالآثار: ج٩، ص٥٩. العيني، محمود بن أحمد،

القول الثاني: كراهة الغناء، فإن كان سماعه من امرأة أجنبية فهو أشدّ كراهة، وهو ما ذهب إليه الشافعية، والمالكية، وبعض الحنابلة(١).

القول الثالث: إباحة الغناء، وهو ما ذهب إليه عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، وأُسامة بن زيد، وعمران بن حصين، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم من الصحابة، وعطاء بن أبي رباح، وبعض الحنابلة، منهم: أبو بكر الخلال، وصاحبه أبو بكر عبد العزيز، والغزالي من الشافعية(٢).

الغناء لأمر مباح

استثنى جمهور فقهاء المذاهب ـ وعلى جميع الأقوال المتقدّمة ـ حالة ما لو كان الغناء لأمرٍ مباح، كالغناء في العرس، والعيد، والختان، وقدوم الغائب، وعند ختم القرآن الكريم؛ تأكيداً للسرور المباح، وعند سير المجاهدين إلى الحرب إذا كان يبعث الحماس في نفوسهم، أو للحجّاج لإثارة الأشواق في نفوسهم إلى الكعبة المشرّفة، أو للإبل لحثّها على السير وهو (الحداء)، أو للتنشيط على العمل، كالغناء عند محاولة حمل شيء ثقيل، أو لتسكيت الطفل وتنويمه، كغناء الأُمّ لطفلها... فإنّه مباح كلّه(٣).

عمدة القارئ: ج٦، ص٢٧١. الصنعاني، عبد الرزاق، المصنّف: ج١١، ص٤، وص٦. الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين: ج٢، ص٢٦٩. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير: ج٦، ص٣٥.

(١) اُنظر: الدسوقي، محمد بن أحمد، حاشية الدسوقي: ج٤، ص١٦٦. ابن قدامة المقدسي، عبد الرحمن، المغني: ج٩، ص١٧٥. الأنصاري، زكريا بن محمد، أسنى المطالب في شرح روح الطالب: ج٤، ص٣٤٤.

(٢) اُنظر: ابن قدامة المقدسي، عبد الرحمن، المغني: ج٩، ص١٧٥. الصنعاني، عبد الرزاق، المصنف: ج١١، ص٥. الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين: ج٢، ص٢٦٩.

(٣) اُنظر: الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين: ج٢، ص٢٧٦ ـ ٢٧٧. الجمل، سليمان بن عمر، حاشية الجمل: ج٥، ص٣٨٠ ـ ٣٨١. الأنصاري، زكريا بن محمد، أسنى المطالب: ج٤، ص٣٤٤. القليبوبي، أحمد بن أحمد، حاشية القليبوبي: ج٤، ص٢٢٠. ابن قدامة المقدسي، عبد الرحمن، المغني: ج٩، ص١٧٦. الدسوقي، محمد بن أحمد، حاشية الدسوقي: ج٤، ص١٦٦. المواق، محمد بن يوسف، التاج والإكليل: ج٤، ص٤. ابن عابدين، محمد أمين، حاشية ابن عابدين: ج٥، ص٢٢٢. أبو السعود، محمد، حاشية أبي السعود على شرح ملا مسكين لكنز الدقائق: ج٣، ص٣٨٩.

موارد استماع الغناء المحرّم عند جمهور فقهاء المذاهب

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ استماع الغناء يكون محرّماً في الحالات الآتية:

الأُولى: إذا صاحبه منكر.

الثانية: إذا خشي أن يؤدّي إلى فتنة، كالتعلّق بامرأة، أو بأمرد، أو هيجان شهوة مؤدّية إلى الزنا.

الثالثة: إذا كان يؤدّي إلى ترك واجب ديني كالصلاة، أو دنيوي كأداء عمله الواجب عليه، أمّا إذا أدّى إلى ترك المندوبات فيكون مكروهاً، كقيام الليل، والدعاء في الأسحار ونحو ذلك[1].

والنتيجة: إنّ سماع الغناء من حيث الأصل جائز بشرط أن لا يرافقه محرّم.

الأمر الثاني: أقوال فقهاء الإمامية في المسألة

لا خلاف بين فقهاء الإمامية في تحريم الغناء في الجملة، إلّا الكاشاني في كتابيه (الشافي) و(مفاتيح الشرائع)[2]، وظاهر كلام المحقّق السبزواري في (الكفاية)[3].

ونبدأ بذكر رأي الكاشاني وأدلّته، ثمّ مناقشتها، ثمّ نعقّبه بقول عامّة فقهاء الإمامية وأدلّتهم، والاستثناءات الخارجة من حرمة الغناء.

رأي الكاشاني رحمه الله في الغناء

ذهب الكاشاني إلى جواز الغناء إلّا إذا رافقه محرّم، واستدل عليه بجملة من

(١) أُنظر: الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين: ج٢، ص٢٦٩. البيهقي، أحمد بن محمد، السنن الكبرى: ج٥، ص٦٩، وص٩٧. الأنصاري، زكريا بن محمد، أسنى المطالب: ج٤، ص٤٤. الجمل، سليمان بن عمر، حاشية الجمل: ج٥، ص٣٨٠. ابن عابدين، محمد أمين، حاشية ابن عابدين: ج٥، ص٢٢. الدسوقي، محمد بن أحمد، حاشية الدسوقي: ج٤، ص١٦٦. ابن قدامة المقدسي، عبد الرحمن، المغني: ج٩، ص١٧٥.

(٢) أُنظر: الكاشاني، محمد حسن، مفاتيح الشرائع: ج٢، ص٢١. الكاشاني، محمد حسن، الوافي: ج١٧، ص٢١٨.

(٣) أُنظر: السبزواري، محمد باقر، كفاية الأحكام: ج١، ص٤٣٢ ـ ٤٣٤.

الأخبار[1]، ويمكن أن يرد عليها:

أولاً: ليس لهذه الأخبار دلالة واضحة على الإباحة.

ثانياً: مع التنزّل عن الدلالة إلّا أنّها مخالفة للقرآن الكريم، وموافقة للعامّة، فتُحمل على التقيّة.

ثالثاً: إنّها معارضة بأخبار كثيرة صريحة الدلالة أو ظاهرة في تحريم الغناء مطلقاً.

رابعاً: يعضد ويؤيّد أخبارَ التحريم الأخبارُ الدالة على تحريم ثمن المغنّية، فلو كان الغناء حلالاً، بل مستحبّاً في نحو القرآن والأدعية والمناجاة، لما حُكِم بتحريم سماعه، وتحريم ثمن المغنّية وأنّه سُحت، وأنّ تعليمها كفر.

ثمّ إنّ الأخبار التي استندوا إليها على جواز الغناء، هي بين آمرة بقراءة القرآن بالحزن، وآمرة بقراءته بالصوت الحسن، وليس شيء من الأمرين بغناء، وفي بعضها: «**لم يُعطَ أمّتي أقلّ من ثلاثة: الجمال، والصوت الحسن، والحفظ**»[2].

وفي خبر عامّي: «**تغنّوا به، فمَن لم يتغنَّ بالقرآن فليس منّا**»[3]، وهو مع ضعفه منزّل على معنى: استغنوا به، أو محمول على التقيّة، ومعارض بما عرفت وبقوله عليه السلام: «**اقرأوا القرآن بألحان العرب، وإيّاكم ولون أهل الفسوق، فإنّه سيجيء قوم يرجّعون القرآن ترجيع الغناء...**»[4].

وقال النراقي: «**وتخصيص الحرمة بالأول** [أي: إذا رافقه محرم] **كما يظهر من الكاشاني في الوافي... شاذّ جدّاً، والإجماع منعقد قبله**»[5].

(1) اُنظر: الكاشاني، محمد حسن، مفاتيح الشرائع: ج٢، ص٢١ ـ ٢٢.

(2) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦١٥.

(3) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج١، ص١٧٢.

(4) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٦، ص٢١٠.

(5) النراقي، محمد، مشارق الأحكام: ص٢١٣ ـ ٢١٤.

ما ذهب إليه عامة فقهاء الإمامية

ذهب فقهاء الإمامية إلى حرمة الغناء في الجملة، ولكنّهم اختلفوا في سعة الحرمة وضيقها، فلا بدّ أولاً من بيان أدلّة حرمة الغناء ومفادها، ثمّ ذكر المستثنيات منها.

الدليل الأول: الإجماع القطعي، بل الضرورة الدينية[1]

الدليل الثاني: القرآن الكريم

١ـ قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[2]، فعن أبي بصير قال: «**سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ قال: الغناء**»[3].

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[4]، فقد جاء في تفسير القمّي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**إنّه الغناء، وشرب الخمر، وجميع الملاهي**»[5].

وعن معاني الأخبار أنّ الإمام الصادق عليه السلام سُئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: «**منه الغناء**»[6].

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[7]، فقد جاء في تفسير القمّي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام بأنّه: «**الغناء والملاهي**»[8].

---

(١) النراقي، أحمد، مستند الشيعة: ج١٤، ص١٢٦.

(٢) الحج: آية٣٠.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص٣٠٥.

(٤) لقمان: آية٦.

(٥) القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج٢، ص١٦١.

(٦) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص٣٤٩. العاملي، محمد، وسائل الشيعة: ح١٧، ص٣٠٨.

(٧) المؤمنون: آية٣.

(٨) القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج٢، ص٨٨.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[١]، ففي صحيحة محمد بن مسلم والكناني، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**الغناء**»[٢].

الدليل الثالث: السنّة الشريفة

والروايات في هذا المقام كثيرة جدّاً، نأتي ببعضها:

١ ـ صحيحة زيد الشحام قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجيعة، ولا تُجاب فيه الدعوة، ولا يدخله الملك**»[٣].

٢ـ رواية محمد بن جعفر القمّي، رفعه إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**الغناء عشّ النفاق...**»[٤].

٣ـ رواية يونس، قال: «**سألت الخراساني** [يُريد به الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام] **عن الغناء؟ وقلت: إنّ العبّاسي ذكر عنك أنّك ترخّص في الغناء؟ فقال: كذب الزنديق، ما هكذا قلت له، سألني عن الغناء، فقلت: إنّ رجلاً أتى أبا جعفر (صلوات الله عليه) فسأله عن الغناء، فقال: يا فلان، إذا ميّز الله بين الحقّ والباطل فأين يكون الغناء؟ قال: مع الباطل، فقال: قد حكمت**»[٥].

٤ـ عن جامع الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «**يُحشر صاحب الغناء من قبره أعمى وأخرس وأبكم**»[٦].

٥ـ عن جامع الأخبار أيضاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ما رفع أحدٌ صوته بغناء إلّا بعث الله شياطين على منكبه، يضربون بأعقابهما على صدره حتّى يُمسك**»[٧].

---

(١) الفرقان: آية٧٢.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص٣٠٤.

(٣) المصدر السابق: ص٣٠٣.

(٤) المصدر السابق: ج٢٥، ص٣١٣.

(٥) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص٣٠٦.

(٦) أُنظر: السبزواري، محمد، جامع الأخبار: ص١٥٤. النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج٣، ص٢١٤.

(٧) أُنظر: المصدرين السابقين.

٦ـ ما في (الخصال) عن الحسن بن هارون، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**الغناء يورث النفاق، ويعقب الفقر**»[1].

٧ـ مرسلة الصدوق، قال: «**سأل رجل علي بن الحسين عليه السلام عن شراء جارية لها صوت؟ فقال: ما عليك لو اشتريتها فذكّرتك الجنّة** [يعني بقراءة القرآن]، **والزهد، والفضائل التي ليست بغناء، فأمّا الغناء فمحظور**»[2]. وقد علّق الحرّ العاملي على الرواية بقوله: «**الظاهر أنّ المراد: لا بأس بحسن الصوت الذي لا يصل إلى حدّ الغناء، فإنّه أعم منه**»[3].

وتدلّ على حرمة الغناء أيضاً الروايات المستفيضة المانعة عن بيع المغنّيات وشرائهنّ وتعليمهنّ، منها:

٨ـ عن سعيد بن محمد الطاطري، عن أبيه، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، سأله رجل عن بيع الجواري المغنّيات، فقال عليه السلام: «**شراؤهنّ وبيعهنّ حرام، وتعليمهنّ كفر، واستماعهنّ نفاق**»[4].

٩ـ عن إبراهيم بن أبي البلاد، قال: أوصى إسحاق بن عمر بجوارٍ له مغنّيات أن تبيعهنّ ويحمل ثمنهنّ إلى أبي الحسن عليه السلام، قال إبراهيم: فبعث الجواري بثلاثمائة ألف درهم، وحملتُ الثمن إليه، فقلتُ له: إن مولى لك يقال له: إسحاق بن عمر، أوصى عند وفاته ببيع جوارٍ له مغنّيات وحمل الثمن إليك، وقد بعثهنّ، وهذا الثمن ثلاثمائة ألف درهم، فقال: «**لا حاجة لي فيه، إنّ هذا سحت، وتعليمهنّ كفر، والاستماع منهنّ نفاق، وثمنهنّ سحت**»[5].

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ج١، ص٢٤.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٢٤.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص١٢٣.

(٤) المصدر السابق: ص٢١٤.

(٥) المصدر السابق: ص١٢٣ ـ ١٢٤.

١٠ـ ما رويّ في (مجمع البيان) عن طريق العامّة، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «مَن ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة. قيل: وما الروحانيون يا رسول الله؟ قال: قرّاء أهل الجنّة»[١].

١١ـ عن محمد بن يعقوب الكليني، بسنده عن عنبسة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «استماع اللهو والغناء يُنبت النفاق كما يُنبت الماء الزرع»[٢].

١٢ـ مرسلة إبراهيم بن محمد المدني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنّه سئل عن الغناء، فقال: «لا تدخلوا بيوتاً الله مُعرِضٌ عن أهلها»[٣].

الأمر الثالث: أقوال الفقهاء في الاستثناءات

بعد استعراض أدلّة الحرمة لا بدّ من معرفة الأقوال فيها، وهل الغناء حرام في الجملة بحيث يُستثنى منه بعض الأفراد، كالغناء في الأعراس وأمثالها، أم أنّ الحرمة مطلقة بحيث لا يُستثنى منها فرد من الأفراد؟

القول الأول: الحرمة مطلقاً

ذهب أصحاب هذا القول إلى أنّ الغناء محرّم مطلقاً، بمعنى أنّه لا يُستثنى من الحرمة أيّ فردٍ، سواء كان في الأعراس أو المراثي، أو القرآن، وغيرها من الموارد؛ ودليلهم على ذلك: أنّ أدلّة الحرمة مطلقة تشمل كلّ مصاديق الغناء، وما ذُكر من أدلّة لاستثناء بعض الأفراد لم يثبت منها شيء، فإنّ الروايات لسانها لسان تحسين الصوت بحيث لا يصل إلى حدّ الغناء والتغنّي.

وقد ذهب إلى هذا القول صاحب (مسالك الإفهام)[٤]، والعلّامة الحلّي في

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج٤، ص٣١٤.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٤٣٤.
(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص٣٠٦.
(٤) اُنظر: العاملي، زين الدين، مسالك الإفهام: ج١٤، ص١٨٠.

(التذكرة)[1] و(المختلف)[2]، وأبو الصلاح الحلبي[3]، وابن إدريس[4].

القول الثاني: الحرمة مع استثناء عدّة موارد

ذهب مشهور الإمامية إلى استثناء عدّة موارد من تحريم الغناء ـ على خلاف في بعضها ـ وحاصلها:

١ـ غناء المرأة التي تزفّ العرائس، بشرط أن لا يدخل عليها الرجال، ولا يستمعوا صوتها، ولا تتكلّم بالباطل، ولا تعمل بالملاهي.

٢ـ الحداء، وهو: سوق الإبل والغناء لها.

٣ـ قراءة القرآن (التغنّي بالقرآن).

٤ـ مراثي الإمام الحسين والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وفيما يلي نسلّط الضوء على المورد الرابع (محلّ البحث) من خلال ما يلي:

تاريخ المسألة والقائلون بها

نُسب القول باستثناء الغناء في مراثي الإمام الحسين عليه السلام إلى شخص مجهول[5]، وأوّل مَن نسبه هو المحقّق الكركي في (جامع المقاصد)[6]، وانقسم الفقهاء في قبول الاستثناء وعدمه على قسمين:

---

(١) الحلّي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج١٢، ص١٤٠.
(٢) الحلّي، الحسن بن يوسف، مختلف الشيعة: ج٥، ص١٩.
(٣) أُنظر: أبو الصلاح الحلبي، تقي الدين، الكافي في الفقه: ص٢٨٠.
(٤) أُنظر: ابن إدريس الحلّي، محمد بن منصور، السرائر: ج٢، ص٢٢٤.
(٥) أُنظر: الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج٨، ص٦١، وج١٢، ص٣٣٨. السبزواري، محمد باقر، كفاية الأحكام: ج١، ص٤٣٤، ج٢، ص٧٥٠ـ٧٥١. البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج١٨، ص١١٧. الجناجي، جعفر، شرح قواعد الأحكام (المتاجر): ج١، ص١٩٤. الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج٨، ص٦٣. النجفي، حسن، جواهر الكلام: ج٢٢، ص٥١. الشهيدي التبريزي، فتاح، هداية الطالب: ص٧٤.
(٦) الكركي، علي بن الحسين، جامع المقاصد: ج٤، ص٢٣.

القسم الأول: الفقهاء المعارضون للاستثناء

ذهب أكثر الفقهاء إلى القول بحرمة التغنّي في مراثي الإمام الحسين عليه السلام؛ مستدلّين عليه بالأدلّة العامّة المتقدّمة الدالة على حرمة الغناء؛ حيث تشمل كلّ غناء إلّا ما خرج بالدليل، كما ادّعوا عدم وجود دليل ناهض على استثناء التغنّي في مراثي الأئمة عليهم السلام(١).

القسم الثاني: الفقهاء المؤيّدون للاستثناء

يرى بعض الفقهاء جواز التغنّي في مراثي الإمام الحسين عليه السلام، وإليك نصّ كلماتهم في ذلك:

١ـ المحقّق الأردبيلي: «**وكذا استثنى منه** [أي: الغناء] **البعضُ مرثيةَ الحسين عليه السلام؛ ولعلّ الوجه أنّه موجِب للبكاء الذي هو عبادة، ويُفهم جوازه أيضاً من تجويز النياحة مطلقاً؛ لأنّه غير خالٍ عنه**»(٢).

٢ـ المحقّق السبزواري: «**وعن بعضهم استثناء مراثي الحسين عليه السلام، وهو غير بعيد**»(٣)، وقال أيضاً: «**واستثنى بعضهم مراثي الحسين عليه السلام؛ ولعلّ مستنده ما دلّ على جواز النوحة عليه أو مطلقاً، مع أنّ الغالب اشتمال النوحة على الغناء، وهو غير بعيد**»(٤).

٣ـ الوحيد البهبهاني: وقد علّق على متن (مجمع الفائدة والبرهان) بقوله: «**لا يخفى أنّه لا عموم في هذه الأخبار وما شاكلها على حرمة الغناء بحيث يتناول مراثي**

---

(١) أُنظر: المصدر السابق. البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج١٨، ص١١٧. الجناجي، جعفر، شرح قواعد الأحكام (المتاجر): ج١، ص١٩٤. الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج٨، ص٦٣. النجفي، حسن، جواهر الكلام: ج٢٢، ص٥١، وج٤١، ص٤٧ـ٤٨. الخوئي، أبو القاسم، موسوعة الإمام الخوئي (مصباح الفقاهة): ج٣٥، ص٤٨٣. الخميني، روح الله، المكاسب المحرّمة: ج١، ص٢٠٣.

(٢) الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج١٢، ص٣٣٨.

(٣) السبزواري، محمد باقر، كفاية الأحكام: ج١، ص٤٣٤، وج٢، ص٧٥٠ـ٧٥١.

(٤) المصدر السابق.

الحسين عليه السلام جدّاً، فتنبّه وتدبّر ملياً! ولا إجماع أيضاً»[1].

٤ـ المحقّق النراقي: «ومنها: [أي: المستثنيات] الغناء في مراثي الحسين عليه السلام وغيره من الحجج وأصحابهم؛ للأصل المذكور المعتمد، ولأنّه مُعين على البكاء، فهو إعانة على البِر، فإن قيل: كون الغناء مُعيناً على البكاء، ممنوعٌ، وإن سُلّم إعانة الصوت عليه، ولكنّه غير الغناء...»[2].

٥ـ ملا محمد النراقي: «ومنها: [أي: مستثنيات الغناء] الغناء في مراثي سيّد الشهداء وغيره من الحجج عليهم السلام، وأولادهم وأصحابهم، والحقّ فيه الإباحة، ما لم يخرج عن حدّ الرثاء، وصدق المرثيّة، وقصد الحزن والبكاء، والتحزين والإبكاء، بوقوعه في الملاهي، والإفراط في الترجيع، حدّاً يخرج عن الإعانة على البكاء وصدق الرثاء؛ للأصل وقصور أدلّة الحرمة عن الإطلاق الشامل له، حسب ما مرّ مع معارضتها للمروي في (قرب الإسناد) ومرسلة الفقيه...»[3].

٦ـ الملا حبيب الله الكاشاني: «... تبيّن ممّا فصّلناه أنّ الأقوى جوازه ـ أي: الغناء ـ إذا لم يكن لهويّاً ولا مقترناً بالملاهي والمحرّمات، من غير فرق فيه بين ما كان من هذه المستثنيات وغيره، كما لا فرق في الغناء الذي حُكِم بحرمته بين المستثنيات وغيرها...»[4].

أدلّة القائلين باستثناء مراثي الإمام الحسين عليه السلام ومناقشتها

اعتمد القائلون بجواز التغنّي في مراثي الإمام الحسين والأئمّة عليهم السلام، وأنّها مستثناة من حرمة الغناء، على عدّة أدلّة، نأتي إلى ذكرها مع مناقشة مَن يستحقّ النقاش منها، علماً أنّ بعضها ذُكرت بعنوان كونها مؤيّدات وليست أدلّة خالصة، ولكن مع ذلك اعتبرناها أدلّة خالصة.

---

(١) البهبهاني، محمد باقر، حاشية مجمع الفائدة والبرهان: ص٢٧ـ٢٨.

(٢) النراقي، أحمد، مستند الشيعة: ج١٨، ص٢٠١.

(٣) النراقي، محمد، مشارق الأحكام: ص٢٢٧.

(٤) الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص١٤٦ ـ ١٤٧.

الدليل الأول

وحاصله: أنّ الغناء في مراثي الإمام الحسين عليه السلام يُعين على البكاء، وبما أنّ البكاء عليه مطلوب ومرغوب وفيه ثواب عظيم؛ فيكون الغناء حينئذٍ إعانة على البِر والخير[1].

الردود على الدليل الأوّل ومناقشاتها[2]

١ـ اعتبار أنّ الغناء مُعين على البكاء غير صحيح؛ لأنّه ينافي حقيقة الغناء. نعم، الصوت وبطريقة الرثاء فيه إعانة على البكاء، وهذا غير الغناء.

٢ـ إنّ البكاء على شخص معيّن إنّما هو لأجل تذكّر أحواله، كتذكّر أحوال الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه من الأحداث الفظيعة، من القتل والذبح والسلب وغيرها، ولا دخل للغناء في ذلك.

٣ـ مع التسليم بكون الغناء مُعيناً على البكاء، إلّا أنّ رجحان الإعانة على البِر ولو بالحرام غير ثابت.

٤ـ مع التسليم في كون الغناء مُعيناً على البكاء ـ ولا يستلزم منه أيّ محذورٍ من المحاذير المتقدّمة ـ فسوف يقع التعارض بين هذا الدليل وبين أدلّة حرمة الغناء، والترجيح لأدلّة الحرمة؛ لأظهرية العموم أو الأكثرية، أو لأجل ترجيح الحرمة على الجواز مع التعارض.

بل يقال: بنفي التعارض أصلاً، وبقاء دليل الحرمة سالماً عمّا يعارضه، وعدم وقوع المعارضة في أمثال تلك العناوين المختلفة؛ ولذا لا يتعارض ما دلّ على استحباب قضاء حاجة المؤمن مع ما دلّ على حرمة الزنا، إذا طلبته المزني بها، بل تبقى الحرمة للزنا ولا يجوز بداعي قضاء حاجة المؤمن.

---

(١) اُنظر: النراقي، أحمد، مستند الشيعة: ج١٨، ص٢٠١.

(٢) لملاحظة جميع الردود ومناقشاتها، اُنظر: المصدر السابق: ص٢٠١ـ٢٠٢.

وبعبارة أُخرى: لو سُلّم كون الغناء مُعيناً على البكاء، فلا وجه للقول بجوازه من جهة وقوعه مقدّمة للمستحب، إذ لو وقعت المزاحمة بين حكمين إلزامي وغير إلزامي، فلا شبهة في تقديم دليل الأول على الثاني؛ لكونه صالحاً لأن يكون معجزاً عن غيره بخلاف العكس.

مناقشات الردود المتقدّمة

١ـ إنّ تخصيص علّة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام بتذكّر أحواله فقط أمرٌ مخالف للوجدان، فإنّا نشاهد من أنفسنا تأثير الألفاظ والأصوات، فنرى التعبير عن واقعة واحدة بألفاظ مختلفة ربّما يحصل من بعضها البكاء الشديد ولا يحصل من بعضها الآخر، ونرى أنّنا نبكي في تعزية بعض الناس دون بعض، بل نرى أنّه ربّما يذكر أحد واقعة ولا يؤثّر في القلب، ويذكرها غيره وتحصل منه الرقة بحيث يُشرف بعض الناس على الهلاك، بل يبقى التأثير بعد تمام تعزيته، بحيث تسيل الدموع بمجرّد الالتفات إلى ما ذكره من وقائع بعد مدّة طويلة.

٢ـ أمّا ما يخصّ كون الغناء فيه إعانة على البِر بالحرام وهو الغناء، فجوابه: أنّ الحرمة منتفية في فرض كون الغناء مُعيناً على البكاء؛ استناداً إلى تعارض عمومات حرمة الغناء مع عمومات رجحان الإعانة على البِر، ومع عدم المرجّح يبقى محلّ التعارض على مقتضى الأصل وهو الحلّية.

٣ـ وأمّا النقطة الرابعة التي منعت عموم الإعانة على البر، وترجيح عمومات حرمة الغناء بأظهريّتها أو أكثريّتها، أو لأجل ترجيح الحرمة على الجواز مع التعارض، فليس بشيء؛ لأنّ عموم الإعانة على البرّ مطلقاً أمرٌ ثابت في الكتاب والسنّة.

مع أنّ الأحاديث الواردة في أنّ مَن أبكى أحداً على الحسين عليه السلام له كذا وكذا من الأجر، بلغت حدّ الاستفاضة، بل التواتر، وقد ورد الكثير منها في كتاب (ثواب الأعمال) للشيخ الصدوق رحمه الله، فدعوى التعارض ضعيفة جدّاً، وكذا ترجيح

عمومات حرمة الغناء، فإنّ عمومات الإعانة على البِر أكثر بكثير منها، وهي مذكورة في الكتاب والسنّة، ومُجمع عليها بين الأصحاب.

٤ـ وأمّا الاعتراض بأنّ الصوت هو المعين على البكاء لا الغناء والترجيع، فيلاحظ عليه:

أ ـ إنّه من الواضح أنّ لنفس الترجيع أثراً في القلب أيضاً، كما يدلّ عليه ما في كلام جماعة من توصيف الترجيع بالمطرب، كما أنّ حزن القلب من معدّات البكاء.

ب ـ فسّر بعض أهل اللّغة الغناء بأنّه: الصوت(١).

ردّ المناقشات بكلمة واحدة

إنّ جميع ما تقدّم من المناقشات والردود يمكن الملاحظة عليها بكلمة واحدة، حاصلها: أنّ المعين على البكاء ليس بالضرورة هو الغناء بمعناه المعهود عند أهل الطرب والعرف، بل المعين على البكاء هو طريقة الأداء التي تُسمّى عرفاً بالتعزية أو النياحة أو الرثاء، وهي ـ كما هو واضح ـ لا تصل إلى حدّ الترجيع والغناء المحرّم.

مضافاً إلى ذلك أنّ أكثر المناقشات تنظر إلى الحوادث وسير القصص وطريقة عرضها، فأنت ترى شخصاً يعرض قصّة معيّنة بطريقة معيّنة تؤثّر في النفوس مدّة من الزمن لا تغيب عن ذهن السامع، بل يبقى يعيش معها مدّة من الزمن وكأنّها حاضرة ومتجسّدة في الخارج أمام عينيه. ومن الواضح أنّ هذه الحالة لا علاقة لها بالغناء والترجيع المحرّم.

الدليل الثاني: السيرة المستمرّة

«**وربّما يُؤيَّد** [أي: الغناء بالمراثي] **أيضاً بعمل الناس في الأعصار والأمصار من غير**

(١) أُنظر: الفيومي، أحمد، المصباح المنير: ج٢، ص٤٥٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج٤، ص٤٥٠.

نكـير»[1]. «وأنّـه متعـارف دائماً في بلاد المسـلمين في زمن المشـايخ إلى زماننا هذا من غير نكير»[2].

الردود على الدليل الثاني[3]

يمكن مناقشة الدليل الثاني بما يلي:

١ـ إنّ السيرة المدّعاة إنّما تكون حجّة إذا اتّصلت بزمان المعصوم عليه السلام، ثمّ نكتشف من عدم النهي عن السيرة من قبل المعصوم عليه السلام إمضاء تلك السيرة، وبالتالي نُثبت حجّيتها. إلّا أنّ هذا غير متحقّق فيما نحن فيه؛ وذلك لعدم اتصالها بزمن المعصوم عليه السلام، ولذا قال السيّد السبزواري: «**والسيرة أيضاً لم تقم عليه بين المتشرّعة، وعلى فرضه فلا اعتبار بها**»[4].

٢ـ لو سلّمنا بأنّ السيرة متّصلة بزمن المعصوم عليه السلام، وأنّها قائمة على الرثاء وإقامة التعزية، إلّا أنّنا لا نُسلّم قيام السيرة على التغنّي فيها؛ لعدم الملازمة بين التعزية والرثاء والنياحة وبين تحقّق التعزية بالغناء، فدعوى أنّ النياحة لا تكون إلّا مع الغناء ممنوعةٌ.

وأمّـا تأييـد المدّعـى ـ أي: الدليل الثـاني ـ بما قالـه الإمام الصـادق عليه السلام: «**اقرأ كما عندكم**» أي: بالعراق، فهو غير واضح من جهتين:

الأُولى: إنّ هذا الحديث لا يدلّ على جواز الغناء في المرثية أصلاً، إلّا بعد إحراز

---

(١) النراقي، أحمد، مستند الشيعة: ج١٤، ص١٤٤.

(٢) الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج٨، ص٦١.

(٣) اُنظر: البهبهاني، محمد باقر، حاشية مجمع الفائدة والبرهان: ص٣٠. النراقي، أحمد، مستند الشيعة: ج١٤، ص١٤٤. الخوئي، أبو القاسم، موسوعة الإمام الخوئي (مصباح الفقاهة): ج٣٥، ص٤٨٣. السبزواري، عبد الأعلى، مهذّب الأحكام: ج١٦، ص١١٨. الروحاني، محمد صادق، فقه الصادق: ج٤، ص٣٣١. الروحاني، محمد صادق، منهاج الفقاهة: ج١، ص٤٣٦. الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص١٣٦ـ١٣٧. مكارم الشيرازي، ناصر، بحوث فقهية مهمّة: ص٧٦. المامقاني، محمد حسن، غاية الآمال: ج١، ص١٠٦.

(٤) السبزواري، عبد الأعلى، مهذّب الأحكام: ج١٦، ص١١٨.

أنّ المعهود في العراق كان هو المرثية (الرثاء) على وجه الغناء، أو أنّ الغالب كان على ذلك الوجه، وأنّى للمدّعي ذلك.

ولقائل أن يقول: إنّه لم يُعلَم أصل وجود الغناء في المرثية المتعارفة في العراق، فكيف يكون غالب أفرادها أو جميعها على وجه الغناء؟!

الثانية: إنّ الرواية المتقدّمة والمذكورة في كتب الفقه إنّما نُقلت بالمعنى لا بالنصّ، وأمّا النص الأصلي الوارد في كتابي (ثواب الأعمال) و(كامل الزيارات)، فهو يختلف من حيث التعبير عمّا تقدّم، واستفادة المدّعي منه يكون أبعد من استفادته من النص السابق، وهو ما عن أبي هارون المكفوف قال: «**قال أبو عبد الله**عليه السلام: **يا أبا هارون، أنشدني في الحسين**عليه السلام. **قال: فأنشدته، فبكى. قال: أنشدني كما تنشدون ـ يعني بالرقة ـ قال: فأنشدته**:

أُمــرر عـلى جــدثِ الحسين   فقـــل لأعظمـه الزكيـة...»[1].

هذا والذي يوهن السيرة أنّ: «**ما كان مشتملاً منه** [أي: من الرثاء] **على الغناء فإنّ العلماء وأهل التقوى يُعرضون عنه، بل يقومون من ذلك المجلس كما وقع كثيراً في زماننا من العلماء، ولعلّه كان الأمر في الزمان السابق على هذا المنوال، بل لقائل أن يقول: إنّ حكم المشايخ بحرمة الغناء على الإطلاق من دون استثناء دليل على أنّه لم تقم السيرة على إمضائه والسكوت عنه. وقد أشار المولى المحقق البهبهاني**رحمه الله **في (حواشي المسالك) إلى هذا الوجه حيث قال: مع إنّا نرى أنّ المشايخ حكموا بحرمة الغناء مطلقاً، وربما استثنوا بعض المواضع التي لا يُعرف لها دليل ولم يُشيروا إلى استثناء المراثي كما هو المعروف في الكتب المعروفة المشهورة المتداولة بين الناس وشذّ مَن استثنى**»[2].

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠٨. أُنظر أيضاً: الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص١١١.

(٢) المامقاني، محمد حسن، غاية الآمال: ج١، ص١٠٦.

الدليل الثالث: إنّ الأصل هو الجواز

إنّ المستثنيات المذكورة من حرمة الغناء، ومنها مراثي الإمام الحسين عليه السلام، إن تمّ الإجماع على حرمتها فسوف تُحرَّم أيضاً لدخولها تحت الإجماع، وأمّا إن لم يثبت الإجماع على الحرمة، فتبقى هذه المستثنيات ـ ومنها مراثي الإمام الحسين عليه السلام ـ على أصل الجواز، وأمّا الأخبار والروايات المذكورة في باب الغناء، فليست صريحة في التحريم مطلقاً حتّى يقال بعدم استثناء أيّ فردٍ ومصداقٍ من الحرمة(١).

مناقشة الدليل الثالث

«إنّ الأخبار ـ وفيها الصحيح ـ والإجماعات والفتاوى على تحريم الغناء بهذا اللفظ ـ أعني معرَّفاً ـ فيكون عامّاً، إلّا أن نقول: إنّ عموم المفرد المعرّف [الغناء] سواء كان من دليل الحكمة أو من غيره ليس لُغوياً حتّى يتناول النادر، فيكون عمومه عموماً عُرفياً متناولاً للشائع من أفراده، والحداء ومراثي الحسين عليه السلام ليسا من أفراده الشائعة، ولئن سلّمنا ذلك في الحداء لا نسلّمه في مراثي الحسين عليه السلام»(٢).

الدليل الرابع

وهو ما استند إليه بعض الفقهاء من أنّ النسبة بين استحباب مراثي الحسين عليه السلام أو قراءة القرآن بالتغنّي ـ مثلاً ـ وبين تحريم الغناء، هي العموم من وجه، والرخصة أوفق بالأصل(٣).

وبيانه: **«أنّ التعارض واقع بين أخبار الغناء والأخبار الكثيرة المتواترة الدالة على فضل قراءة القرآن والأدعية والأذكار، مع عمومها لغة وكثرتها وموافقتها للأصل، والنسبة بين الموضوعين عموم من وجه، فإذاً لا ريب في تحريم الغناء على سبيل اللهو،**

---

(١) أُنظر: الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج٨، ص٦١.

(٢) العاملي، محمد جواد، مفتاح الكرامة: ج١٢، ص١٧٧.

(٣) أُنظر: الجناجي، جعفر، شرح قواعد الأحكام (المتاجر): ج١، ص١٩٥.

والاقتران بالملاهي ونحوهما، ثمّ إن بقيَ إجماع في غيره، وإلّا بقيَ حكمه على الإباحة»[1].

مناقشة الدليل الرابع

١ـ إنّ نسبة هذا الدليل إلى صاحبه غير واضحة، حيث نسبه الأنصاري رحمه الله في مكاسبه إلى صاحب (كفاية الفقه)، وهذه النسبة فيها كلام؛ ولذا قال الشهيد في حاشيته على المكاسب: «ينبغي نقل عبارة (الكفاية) بعين ألفاظها؛ كي ترى أنّ المصنّف [أي: الأنصاري] كيف غيّر في النقل، فحصل من جهته ما تراه من الإغلاق والاضطراب، حتّى لا تغتر في المنقول بعظم شأن الناقل، بل تُراجع إلى الكتاب المنقول منه، كما أوصى بذلك كاشف اللثام في وصاياه، ولعمري! أنّه أجاد فيما أوصاه»[2].

٢ـ «يلزم عليه أنّ جميع أدلّة المحرّمات معارضة بأدلّة السُّنن حتّى الزنا واللواط والغيبة والكذب والسبّ والشتم ونحوها؛ حيث تقع بالتماس المؤمن، ومع العلم بإدخال السرور عليه، فلو حكّمت أدلّة السنن بتأييدها بأصالة الإباحة على أدلّة التحريم، لم يبقَ حرام، على أنّ الظاهر من أدلّة تحريم الغناء أنّه قبيح لا يقبل التخصيص؛ لجعله الزور ولهو الحديث، هذا وقد ورد عنهم عليهم السلام: ما اجتمع الحرام والحلال إلّا وغلب الحرام الحلال»[3].

٣ـ «إنّ التعارض يثبت حيث نجعل الغناء من الأصوات، أمّا لو جعلناه من الكيفيّات ـ كما هو الأقوى ـ فلا معارضة؛ إذ لا مناقضة، لعدم وحدة الموضوع»[4].

ونختم مناقشة هذا الدليل بما ذكره كاشف الغطاء (الجناجي) بقوله: «وعلى كلّ حال، فالذي يقع في نظري أنّ الغناء في باب الطاعات ـ كقراءة القرآن ـ أعظم من الغناء في غيرها في العصيان؛ لزيادة الذنب الفظيع بازدياد معصية التشريع»[5].

---

(١) الأنصاري، مرتضى، المكاسب: ج١، ص٣٠١ـ٣٠٢.

(٢) الشهيدي التبريزي، فتاح، هداية الطالب إلى أسرار المكاسب: ص٧١.

(٣) الجناجي، جعفر، شرح قواعد الأحكام (المتاجر): ج١، ص١٩٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق: ص١٩٨.

الدليل الخامس

وحاصله: أنّ التحريم إنّما هو للطرب وليس في مراثي الإمام الحسين عليه السلام طرب، بل ليس فيها إلّا مطلق الحزن، فإنّها موضوعة للحزن(١).

وبعبارة أُخرى: «**الطرب معتبر في مفهوم الغناء، فلا يكون ما يُقصَد به الحزن غناءً**»(٢).

مناقشة الدليل الخامس

«إنّه تارةً يكون صوتاً لهوياً ولحناً رقصياً، ويوجب حصول النشاط والانبساط، لكن ربّما يبكي المستمع من خلاله؛ لأجل الهموم المركوزة في قلبه الغائبة عن خاطره، من فقْد ما تستحضره القوى الشهوية، ويتخيّل أنّه بكى في المرثية، أو أنّه يبكي من جهة أقوائية المادّة في حصول الحزن من الكيفية المطربة. وأُخرى يكون الصوت بنفسه موجباً لحصول الحزن والبكاء، وعدم صدق الغناء على الثاني وإن كان هو الحقّ... إلّا أنّه يصدق على الأول، فاللازم هو مراعاة ذلك وتمييز الغناء عن غيره»(٣).

وبعبارة أُخرى: إنّ الطرب المأخوذ في مفهوم الغناء أعمّ من الفرح والحزن، والقول: بأنّ الغناء منحصر في الأول يكذّبه الوجدان، ضرورة أنّه ربّما يهيّج الحزن والبكاء(٤).

ويضاف إليه: «**أنّ التغنّي بالمراثي قد يوجب الفرح؛ لما نشاهد من أنّ المكروب المهموم قد يحضره فيصير منبسطاً مبتهجاً مرفوع الهمّ باستماع الألحان الطيّبة، والنغمات**

---

(١) أُنظر: الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج٨، ص٦٣. العاملي، محمد جواد، مفتاح الكرامة: ج١٢، ص١٧٨. الأنصاري، مرتضى، المكاسب: ج١، ص٣١١. الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص٣٧. الكلبايكاني، رضا، كتاب الشهادات: ص١٠٦.

(٢) الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص١٣٧.

(٣) الروحاني، محمد صادق، منهاج الفقاهة: ج١، ص٤٣٦.

(٤) الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص١٣٨.

الموزونة؛ فيحصل له بذلك من الفرح والانبساط ما لا يحصل له من ضرب الأوتار والمزامير، كما عرفته من كلام بعض المدقّقين»[1].

ونأتي هنا بكلام الشيخ الأنصاري في ردّه على الأردبيلي ـ عند استدلاله بما تقدّم ـ قائلاً: «إنّ نظره إلى المراثي المتعارفة لأهل الديانة التي لا يقصدونها إلّا للتفجّع، وكأنّه لم يحدث في عصره المراثي التي يكتفي بها أهل اللهو والمترفون من الرجال والنساء عن حضور مجالس اللهو، وضرب العود والأوتار، والتغنّي بالقصب والمزمار، كما هو الشائع في زماننا الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله بنظيره في قوله صلى الله عليه وآله: (يتّخذون القرآن مزامير)[2]، كما أنّ زيارة سيّدنا ومولانا أبي عبد الله عليه السلام صار سفرها من أسفار اللهو والنزهة لكثير من المترفين، وقد أخبر صلى الله عليه وآله بنظيره من سفر الحجّ وأنّه (يحج أغنياء أُمّتي للنزهة، والأوساط للتجارة، والفقراء للسمعة)[3]، «وكأنّ كلامه صلى الله عليه وآله ـ كالكتاب العزيز ـ وارد في مورد وجارٍ في نظيره»[4].

الدليل السادس

«إنّ مَن يقرأ المرثية لا يقال: إنّه يغنّي، بل يقال: إنه يقرأ المرثية، وكذا الكلام في قراءة القرآن»[5].

مناقشة الدليل السادس

قال المحقق القمّي رحمه الله: «فجعل الغناء صفة للفظ والمقروء، لا للصوت والقراءة. ثمّ قال: وهو فاسد، كما دلّ عليه كلام العلماء وأهل اللّغة في عدم إدراجهم المقروء

(١) المصدر السابق.
(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص٣٠٧ـ٣٠٨.
(٣) المصدر السابق: ج١٥، ص٣٤٩.
(٤) الشيخ الأنصاري، مرتضى، كتاب المكاسب: ج١، ص٣١٢.
(٥) الكاشاني، حبيب الله، ذريعة الاستغناء في تحقيق مسألة الغناء: ص١٤٦ـ١٤٧.

في تعريف الغناء، بل إنّما جعلوه تعريفاً للصوت، وإن فُرِض اصطلاح جديد وعُرْف خاصّ فهو ممّا لا يُعتنى به، فلا بدّ من حمل كلام الشارع على العرف السابق لأصالة عدم تغيّر العرف»[1].

وعلى فرض أنّه لا يصدق عليه غناء، وإنّما تصدق عليه المرثية، فهذا يعني أنّ هناك موضوعين: أحدهما الغناء المحرّم، والثاني المرثية، وهو موضوع آخر، وجائز شرعاً.

نتيجة البحث

١ـ إنّ أكثر الفقهاء منعوا من جواز التغنّي في مراثي الإمام الحسين عليه السلام، ومَن ذهب إلى الجواز عبّر بعدم البُعد لا أكثر.

٢ـ إنّ أكثر المعاصرين، بل كلّهم ذهبوا إلى المنع. نعم، إذا لم يصل تحسين الصوت إلى الغناء والترجيع المحرّم فلا يُعدّ من المحرّمات، بل هو من المراثي الجائزة.

٣ـ بعض مَن جوّز التغنّي في مراثي الإمام الحسين عليه السلام، إنّما جوّزه من باب الرثاء، وقيّد الجواز بأن لا يخرج عن حدّ الرثاء.

٤ـ اعتمد القائلون بالجواز على رواية مرسلة لم يعرف مأخذها ولا متنها، وأمّا بقيّة الأدلّة فهي استحسانات وقياسات لا يمكن الاعتماد عليها في إثبات الأحكام الشرعية.

٥ـ على القول بالجواز فلا بدّ من الاحتياط في المسألة؛ لذهاب أكثر الفقهاء إلى الحرمة، خصوصاً مع عدم وجود دليل واضح على الجواز.

٦ ـ إنّ ما يجري في مجالس العزاء يندرج في النوح الذي جوّزه الفقهاء، وهذا خارج موضوعاً عن الغناء، وأمّا إذا تعنونت التعزية بالتغنّي فتدخل تحت حرمة الغناء.

٧ ـ ما يخصّ أصل المسألة وهو حرمة الغناء وحليّته، فالمعروف بين الإمامية وعليه دعوى الإجماع هو حرمة الغناء، وشذّ الكاشاني والسبزواري في ذلك، وذهبا إلى الجواز فيما إذا لم يرافقه محرّم، وهو قريب من رأي العامّة والمذاهب الأُخرى.

---

(١) المصدر السابق.

دراسات حسينية

- حكم زيارة الإمام الحسين عليه السلام
- زيارة الإمام الحسين عليه السلام في شهر رمضان

حكم زيارة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ حسن البشيري*

مقدّمة

ممّا لا شكّ فيه أنّ زيارة سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام مطلوبة شرعاً، ومرغوبة قطعاً عند الشيعة الإمامية[1]، لكن وقع الكلام بينهم في هذه المطلوبية، هل هي بمستوى الاستحباب فقط، أو أنّها بمستوى الوجوب الشرعي الكفائي أو العيني؟

أمّا أصل المطلوبية فهو مورد وفاق وإجماع بين الشيعة وعلماء الإمامية، وتدلّ على ذلك سيرة المتشرعة من أصحاب الأئمّة المعصومين عليهم السلام، والروايات المتواترة معنوياً، الحاثّة والمرغِّبة في زيارته عليه السلام، وقد أورد قسماً كبيراً منها الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت٣٦٧هـ) في كتابه (كامل الزيارات)، والشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) في كتابه (المزار)، والسيّد محمد بن علي الفجري (ت٤٤٥هـ) في كتابه (فضل زيارة الحسين عليه السلام)، وغيرهم من العلماء المتقدّمين والمتأخّرين في مجاميعهم الحديثية، وسوف نشير إلى بعض تلك الروايات عند ذكر الأقوال في حكم زيارته عليه السلام وأدلّتها إن شاء الله تعالى.

---

* أُستاذ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، من العراق.

(١) أمّا السنّة فالمشهور عندهم مشروعية زيارة الإمام الحسين عليه السلام وغيره من الشهداء والأموات، وخالفهم ابن تيمية وأتباعه، حيث قالوا بحرمتها في الجملة شرعاً، ولأجل شذوذ هذا القول، ووهن دليله، غضضنا النظر عنه، فمَن شاء فليراجع كتاب (الزيارة في الكتاب والسنة) للشيخ جعفر السبحاني، و(الزيارة والتوسّل) لصائب عبد الحميد، وغيرهما من كتب العقائد والكلام.

القول الأول: وجوب زيارته عليه السلام وجوباً عينياً على جميع المكلّفين

هذا الرأي يظهر من الشيخ ابن قولويه القمّي في (كامل الزيارات)، حيث عنون الباب الثالث والأربعين بعنوان: «**إنّ زيارة الحسين عليه السلام فرض وعهد لازم له ولجميع الأئمّة عليهم السلام على كلّ مؤمن ومؤمنة**»[1]، ثمّ أورد الروايات الدالّة على ذلك. وكذلك يظهر من الشيخ المفيد في كتابه (المزار)[2]، فإنّه عنون الباب التاسع منه بعنوان: «**باب وجوب زيارة الحسين صلوات الله عليه**»[3] الظاهر في الوجوب العيني، كما أنّه عقد الباب العاشر منه بعنوان: «**باب حدّ وجوبها في الزمان على الأغنياء والفقراء**»[4]. كما أنّه رأي العلّامة المجلسي في (البحار) ووالده، حيث قال: «**ثمّ اعلم: أنّ ظاهر أكثر أخبار هذا الباب وكثير من أخبار الأبواب الآتية وجوب زيارته (صلوات الله عليه)، بل كونها من أعظم الفرائض وآكدها، ولا يبعد القول بوجوبها في العمر مرّة مع القدرة، وإليه كان يميل الوالد العلّامة (نوّر الله ضريحه)، وسيأتي التفصيل في حدّها للقريب والبعيد، ولا يبعد القول به أيضاً، والله يعلم**»[5].

أدلّة القول الأول

واستُدل لهذا القول بمجموعة من الروايات، وهي كما يلي:

الرواية الأُولى

ما رواه ابن قولويه القمّي في (كامل الزيارات)، قال: «**حدّثني أبي ومحمد بن**

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٣٦.
(٢) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص٢٦.
(٣) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص٢٦.
(٤) المصدر السابق: ص٢٨.
(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص١٠.

العدد التاسع عشر ـ السنة الخامسة ـ ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

الحسن، عن الحسن بن متيل، وقال محمد بن الحسن: وحدّثني محمد بن الحسن الصفار جميعاً، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، قال: حدّثنا الحسن بن علي بن فضّال، قال: حدّثني أبو أيوب إبراهيم بن عثمان الخزاز، عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّ وجلّ»(1).

ورواها أيضاً بهذا المتن والسند الشيخ المفيد عن شيخه ابن قولويه في (المزار)(2)، لكنّ ابن قولويه نفسه روى الرواية في مورد آخر بنحو آخر مع زيادة، وهي: **«عن أبيه وجماعة من مشايخه، عن سعد بن عبد الله ومحمد بن يحيى العطار وعبد الله بن جعفر الحميري جميعاً، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإنّ إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة»**(3). وهذا السند أقوى من سابقه كما هو واضح، وإن كان الأوّل معتبراً أيضاً.

ورواها كذلك الشيخ الطوسي في (التهذيب)(4) بمثل سند ابن قولويه في الرواية الأُولى. ورواها الصدوق أيضاً في (الأمالي) ـ بمتن مختلف عن كلا المتنين ـ عن شيخه محمد بن الحسن بن الوليد، عن الصفار، عن أحمد البرقي، عن ابن فضال، عن الخزاز، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: **«مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام؛ فإنّ زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على مَن أقرّ**

(1) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٣٦.
(2) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص٢٦.
(3) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٨٤.
(4) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٢.

للحسين بالإمامة من الله عزّوجلّ»[1]. كما رواها الصدوق ـ كذلك ـ في (الفقيه)[2]، بإسناده عن الحسن بن علي بن فضال. ونحوها رواية النيسابوري في (روضة الواعظين)[3].

وتنتهي أسانيد الرواية إلى إبراهيم أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم، فيحتمل بعيداً أنّ مصدر الرواية هو كتاب محمد بن مسلم، أو كتاب أبي أيوب الخزاز، كما يحتمل تعدّد مصدرها ومأخذها، لكنّ الشواهد كلّها تشير إلى أنّها رواية واحدة، وإن اختلفت متونها وألفاظها بالزيادة والنقصان؛ وذلك لوحدة الراوي والإمام عليه السلام المروي عنه، وتقارب متونها، فإنّ مثل هذا الاختلاف بالزيادة والنقيصة في الرواية الواحدة يقع كثيراً في الروايات كما لا يخفى على الخبير المطّلع على الأخبار وألفاظها.

وربّما يُتوهم أنّ الإمام عليه السلام لم يأمر بالزيارة نفسها، بل أمر محمد بن مسلم بأن يأمر الشيعة بالزيارة، فالأمر الصادر من الإمام عليه السلام والواجب امتثاله خاصّ بمحمّد بن مسلم، لأنّه أمرٌ له بأن يأمر الشيعة بالزيارة، فيدخل في المسألة الأُصولية المعروفة في أنّ الأمر بالأمر بشيء هل هو ظاهر في الأمر بذلك الشيء والفعل أو لا؟ فلو قلنا فيها بعدم ظهوره فيه، فلا يصحّ هذا البيان والاستدلال بالرواية على وجوب زيارة الحسين عليه السلام.

ويمكن تقريب الاستدلال بالرواية بتقريبين:

التقريب الأوّل: بقوله عليه السلام: «**مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام**»، فإنّه خطاب لمحمّد بن مسلم بالخصوص أو بالعموم بأن يأمر الشيعة بزيارة الحسين عليه السلام، وهو ظاهر في الأمر بالزيارة نفسها، والأمر ظاهر في الوجوب، فيثبت وجوب الزيارة، وهو المطلوب.

كما أنّ الأرجح هو وجود الزيادة في الرواية، كما في المتن الثاني والثالث؛ إذ لا

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٠٦.

(٢) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٥٨٢.

(٣) أُنظر: الفتّال النيسابوري، محمد بن الحسن، روضة الواعظين: ص١٩٤.

عبرة بأصالة عدم الزيادة فيما لو تردّد الحديث بين الزيادة والنقيصة، كما حُقّق في علم الأُصول، ولأجل تعدّد رواة صيغة الزيادة ومصدرها، وقوّة احتمال السقط في المتن الأوّل (متن ابن قولويه القمي).

ويمكن الجواب عن التوهّم السابق أنّ الغرض هنا قائم بنفس الفعل – أعني: الزيارة ـ ولا خصوصية للأمر بها من قِبَل محمد بن مسلم أو غيره، فالأمر بها في الرواية ملحوظ على نحو الطريقية المحضة، ولا موضوعية لنفس الأمر بها، فإنّ هذا هو ظاهر هذه الروايات وغيرها من الروايات الكثيرة المرغبة في زيارة سيّد الشهداءعليه السلام، فلا ريب في أنّ أمر الإمامعليه السلام لمحمد بن مسلم بأن يأمر الشيعة بالزيارة هو أمر بنفس الزيارة، وهو ظاهر في الوجوب العيني، وإنّما أمر محمد بن مسلم بذلك لأجل أن يقوم أكبر عدد ممكن من الشيعة بهذا الأمر، وهو الزيارة، ولا يبقى شيعي لا علم له بأمر الزيارة واهتمام الأئمّةعليهم السلام بها.

التقريب الثاني: بقولهعليه السلام: «**فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ**»، فإنّ الفرض على المؤمن يعني وجوبه عليه، قال الراغب الأصفهاني في المفردات: «**وكل موضع ورد (فرض الله عليه) ففي الإيجاب الذي أدخله الله فيه**»[1].

إشكالان على الرواية

الإشكال الأول: على التقريب الأول بالمتن الثاني والثالث من الرواية، وهو قولهعليه السلام: «**مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين؛ فإنّ إتيانه يزيد في الرزق...**»، أو «**فإنّ زيارته تدفع الهدم والغرق...**»، فقد يشكل بأنّ ذكر هذه الآثار الدنيوية ـ بناء على الزيادة ـ يوجب ظهور الرواية في الاستحباب، والإرشاد إلى تلك الآثار، ويضعف ظهورها في الوجوب، فإنّ ذكر هذه الآثار شاهد على أنّ المراد والمقصود هو ترغيب الشيعة في الزيارة، وحثّهم عليها، لا إيجابها وفرضها عليهم كباقي الواجبات.

---

(١) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ج١، ص٦٣٠.

ويمكن الجواب عن هذا الإشكال بما يلي:

أولاً: بالنقض بواجبات قد ورد الأمر بها في النصوص، وقَرْن الأمر بها بذكر آثار دنيوية أيضاً، ومع ذلك حُمل الأمر فيها على الوجوب، من قبيل ما ورد في الأمر بصلة الرحم، كما في صحيحة البزنطي عن أبي الحسن الرضا، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**صل رحمك ولو بشربة من ماء، وأفضل ما توصل به الرحم كفّ الأذى عنها، وصلة الرحم منسأة للأجل، محببة في الأهل**»[1].

ثانياً: بالحلّ، فإنّ ذكر بعض آثار المأمور به وفوائد الإتيان به لا ينافي ظهور الأمر في الوجوب؛ لأنّ ذكرها قد يكون من باب الترغيب في الواجب كالمستحب، وهو أمر تعارف عليه العقلاء أيضاً، حيث يأمر المولى بشيء وجوباً، ويعقبه بذكر فوائده ومنافعه في حاضر المكلف ومستقبله، فلا توجد نكتة عرفية تمنع من دلالة الأمر على الوجوب إذا اقترن بذكر آثار وفوائد المأمور به، فليتأمل.

الإشكال الثاني: وهو يرد على كلا التقريبين؛ لاشتمالهما على اختصاص الأمر بالشيعة، ففي التقريب الأول ورد «**مروا شيعتنا...**»، وفي الثاني ورد «**فإنّ إتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ**»، وتقييد الحكم بالشيعة في كلا الموردين ظاهر في اختصاصه بهم؛ لأصالة الاحترازية في القيود، وهذا شاهد على أنّ الحكم ليس وجوبياً؛ إذ لو كان وجوباً لكان عاماً شاملاً لكلِّ المكلّفين من دون اختصاص بالشيعة، كسائر الأحكام الشرعية العامّة.

ويمكن الجواب عن ذلك:

أولاً: بأنّ الأمر بزيارة الحسين عليه السلام في الرواية حتّى لو كان استحبابياً فهو أيضاً حكم عام؛ لعدم اختصاص الأحكام الاستحبابية بالشيعة كالوجوبية، فلا فرق بين الحكمين من هذه الجهة.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج، ص١٥١.

ثانياً: أنّ ذكر الشيعة وتوجيه الأمر إليهم ليس لاختصاص الحكم بهم، بل لأجل كونهم هم الممتثلين لهذا الحكم المختصّ بإمامهم الحسين عليه السلام، فإنّ مَن يقوم بزيارته عليه السلام عادة هو الشيعي المقرّ بإمامته، ولذلك وجّه الخطاب إليهم، نظير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، مع أنّ الكتاب هدى للجميع، وأمّا قضية أصالة الاحترازية في القيود، فهي قاعدة عقلائية تجري في موارد عدم القرينة على كون القيد غير احترازي، وفي المقام القرينة واضحة على عدم الاحتراز.

إذن؛ لا أشكال على هذه الرواية الصحيحة بشكل خاصّ، نعم هناك إشكالات واعتراضات عامّة ترد على جميع الروايات المستدل بها على وجوب زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، وسيأتي عرضها إن شاء الله تعالى.

الرواية الثانية

ما رواه ابن قولويه القمي، عن أبيه وأخيه وعلي بن الحسين ومحمد بن الحسن، عن أحمد بن إدريس، عن عبيد الله بن موسى، عن الوشاء قال: «**سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمَن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً لما رغبوا فيه، كان أئمّتهم شفعاءهم يوم القيامة**»[2]، وفي الكافي: (عبد الله بن موسى) بدل (عبيد الله).

ورواه الصدوق أيضاً في (العيون) و(العلل)[3]، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي الوشاء، عنه عليه السلام، ورواها في (الفقيه)[4] أيضاً بإسناده عن الوشاء.

---

(١) البقرة: آية٢.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٣٧.

(٣) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٩٢. وأيضاً: علل الشرائع: ج٢، ص٤٥٩.

(٤) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٥٧٧.

ورواها أيضاً الشيخ الطوسي في (التهذيب)[1]، عن محمد بن أحمد بن داوود، عن أبيه، عن السندي، عن أحمد بن إدريس، عن علي بن الحسين النيسابوري، عن عبد الله ابن موسى، عن الحسن بن علي الوشاء، عنه عليه السلام، كما رواها المفيد مرسلاً في مزاره[2].

ثمّ إنّ سند ابن قولويه القمّي في (كامل الزيارات) مخدوش بعبد الله بن موسى؛ لأنّه مجهول، نعم يمكن تصحيحه بناء على مبنى وثاقة كلّ مَن ورد في (كامل الزيارات)، لكنّ هذا المبنى غير تام كما حُقِّق في محلّه، كما أنّ سند الكليني والطوسي أيضاً ضعيف بعبد الله (أو عبيد الله بن موسى)، والثاني أشدّ ضعفاً بالسندي والنيسابوري المجهولين، لكنّ الذي يسهّل الخطب هو أنّ سند الصدوق تامّ وصحيح.

أمّا دلالة الرواية على وجوب زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فباعتبار دلالتها على وجود عهد للإمام عليه السلام في عنق شيعته وذمّتهم، وهذا العهد يجب الوفاء به، وبما أنّ زيارة قبره عليه السلام من الوفاء بالعهد ـ كما دلّت عليه الرواية ـ يثبت وجوب زيارته على شيعته وفاءً بعهده.

ويرد عليه:

أوّلاً: أنّ الرواية لا تختصّ بالإمام الحسين عليه السلام، فلو دلّت على وجوب الزيارة للزم الالتزام بوجوب زيارة جميع الأئمّة عليهم السلام، لا خصوص الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ممّا لم يقله أحد من الفقهاء، ولو قيل بتخصيصها بالإمام الحسين عليه السلام، أو تقييد إطلاقها لسائر الأئمّة عليهم السلام، لزم منه تخصيص الأكثر، وهو مستهجن وقبيح عرفاً، لا يُصار إليه أبداً، ومن هنا لا بدّ من حمل الرواية على استحباب زيارتهم عليهم السلام جميعاً، فلا يرد الإشكال عليها.

ثانياً: أنّ المراد بالعهد في الرواية هو ما يشبه العهد، كما نُسب إلى الفاضل التفرشي[3]، فإنّ مَن قال بإمامة الأئمّة عليهم السلام، وبأنّهم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ الله

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٧٩.

(٢) أُنظر: المفيد محمد بن محمد، المزار: ص١٨٤.

(٣) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٥٧٧، حاشية التفرشي.

فرض طاعتهم، فكأنّه عاهد الإمام عليه السلام أن يطيعه في السرّاء والضرّاء، ويعمل بأوامره، ويحذو حذوه، ولا يفارقه، بل يزوره حيّاً وميتاً، ومن هنا تكون الزيارة من تمام الوفاء بالعهد، وحسن أداء زيارتهم عليهم السلام، فليس هناك عهد حقيقي يجب الوفاء به، فالرواية إرشاد إلى لزوم العمل بمقتضيات الإيمان بالأئمّة عليهم السلام، والاعتقاد بإمامتهم، من العمل بالواجبات، وترك المحرمات، والإتيان بالمستحبات تبعاً لهم، وعدم مفارقتهم حتّى بعد وفاتهم، بل زيارتهم وتعاهد قبورهم عليهم السلام.

ثالثاً: على فرض كون العهد حقيقياً من الشيعة لأئمّتهم عليهم السلام، فإنّ الرواية جعلت الزيارة من تمام الوفاء وحسن الأداء، لا أنّها هي الوفاء والأداء، ولو كان الوفاء بذلك العهد واجباً، فلا دليل على وجوب تمام الوفاء وحسن الأداء، بل إنّ نفس هذا التعبير (وإنّ من تمام الوفاء وحسن الأداء زيارة قبورهم) مُشعِر باستحباب الزيارة، إن لم يكن ظاهراً فيه.

هذا كلّه مضافاً إلى الاعتراضات العامّة الآتية على هذه الرواية وغيرها.

الرواية الثالثة

ما رواه ابن قولويه القمّي، عن محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسن بن أبي الخطاب، عن أبي داوود المسترق، عن أُمّ سعيد الأحمسية، عن أبي عبد الله عليه السلام قالت: «**قال لي: يا أُمّ سعيد، تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت: نعم. فقال لي: زوريه؛ فإنّ زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء**»[1]، ورواها عنه الحرّ العاملي في (الوسائل)[2] أيضاً.

ولأُمّ سعيد الأحمسية روايات أُخرى في زيارة الإمام الحسين عليه السلام رواها في (كامل الزيارات) في باب ما روي أنّ الحسين عليه السلام سيد الشهداء، منها ما روته عن أبي عبد الله عليه السلام، قالت: «**جئت إلى أبي عبد الله عليه السلام، فدخلت عليه، فجاءت الجارية، فقالت: قد جئت بالدابّة، فقال لي: يا أُمّ سعيد، أيّ شيء هذه الدابّة؟ أين تبغين تذهبين؟ قالت:**

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٣٧.

(٢) أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٣٧.

قلت: أزور قبور الشهداء؟ قال: أخِّري ذلك اليوم، ما أعجبكم يا أهل العراق! تأتون الشهداء من سفر بعيد وتتركون سيّد الشهداء لا تأتونه! قالت: قلت له: مَن سيّد الشهداء؟ فقال: الحسين بن علي عليهما السلام. قالت: قلت: إنّي امرأة، فقال: لا بأس لمن كان مثلك أن يذهب إليه ويزوره. قالت: قلت: أيّ شيء لنا في زيارته؟ قال: تعدل حجّة، وعمرة، واعتكاف شهرين في المسجد الحرام، وصيامها، وخيرها كذا وكذا. قالت: وبسط يده وضمّها ضمّاً ثلاث مرات»[1].

ولها روايات أُخرى في نفس ذاك الباب مقاربة لهذه الرواية في اللفظ والمعنى، إلّا أنّها جميعاً تختلف عما نقلناه أولاً عنها اختلافاً كبيراً، ولا يمكن عدّها رواية واحدة، ويحتمل قوياً أنّ ما نقلناه عنها أولاً صدر عن الإمام عليه السلام بعد الرواية الثانية، حيث إنّ أُمّ سعيد لم تكن تعرف سيّد الشهداء في الثانية، ولا تعلم مقدار الأجر على زيارته عليه السلام، بل لم تكن قد زارته كما يظهر منها، لكن في الرواية الأُولى أجابت بـ(نعم) عندما سألها الإمام عليه السلام عن زيارتها للحسين عليه السلام؛ ممّا يعني أنّ هناك لقاءً ثانياً حصل بينها وبين الإمام عليه السلام، وهي نقلت مجريات كلا اللقاءين.

وكيف كان فهذه الرواية ضعيفة سنداً؛ لجهالة أُمّ سعيد الأحمسية، إلّا بناءً على وثاقة كلّ مَن ورد اسمه في كتاب (كامل الزيارات)، لكنّ هذا المبنى غير تام كما أشرنا إليه قبل قليل.

وأمّا دلالة الرواية فهي ظاهرة في الوجوب العيني بصيغة الأمر الواردة في صدرها، وهي قوله: (زوريه) بعد إلغاء خصوصية أُمّ سعيد في الأمر، وعبارة الوجوب الواردة في ذيلها، وهي قوله: (واجبة على الرجال والنساء)، ودلالة المادّة أقوى من دلالة الصيغة، خصوصاً بعد تأكيدها بالوجوب على الرجال والنساء معاً.

الرواية الرابعة

رواية عبد الرحمن بن كثير مولى أبي جعفر عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**لو أنّ**

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢١٧ ـ ٢١٨.

أحدكم حجّ دهره، ثمّ لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام، لكان تاركاً حقّاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كلّ مسلم».

رواها في (كامل الزيارات)[1]، وفي (المزار)[2]، وفي (التهذيب)[3]. وهي ضعيفة جدّاً بعبد الرحمن بن كثير؛ لأنّ النجاشي قال عنه: «**كان ضعيفاً، غمز أصحابنا عليه، وقالوا: كان يضع الحديث**»[4].

وكذلك بعليّ بن حسان الهاشمي الذي عرّفه النجاشي بأنّه: «**ضعيف جدّاً، ذكره بعض أصحابنا في الغلاة فاسد الاعتقاد، له كتاب تفسير الباطن، تخليط كلّه**»[5]، وقال عنه علي بن الحسن بن علي بن فضال: «**فهو كذّاب، وهو واقفي أيضاً**»[6].

وأمّا دلالة الرواية على وجوب زيارة الحسين عليه السلام عيناً، فقد يُقرّب بأنّها تدلّ على أنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كلّ مسلم، والزيارة هي أداء ووفاء بحقّه عليه السلام كما يظهر من الرواية، فتكون واجبة.

الرواية الخامسة

ما رواه ابن قولويه، عن محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عمّن حدّثه، عن علي بن ميمون، قال: سمعت: أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**لو أنّ أحدكم حجّ ألف حجّة، ثمّ لم يأتِ قبر الحسين بن علي عليهما السلام لكان تاركاً حقّاً من حقوق الله تعالى. وسُئِل عن ذلك، فقال: حقّ الحسين مفروض على كلّ مسلم**»[7].

والرواية ضعيفة السند بالإرسال، وبعلي بن ميمون، فإنّه لم تثبت وثاقته على

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٣٨.
(٢) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص٢٧.
(٣) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٢.
(٤) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.
(٥) المصدر السابق: ص٢٥١.
(٦) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج٢، ص٧٤٨.
(٧) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٥٧.

التحقيق، وإن ورد اسمه في (كامل الزيارات)، وروى عنه صفوان بن يحيى[1]؛ إذ لم يثبت عندنا أنّ مشايخ الثقات لا يروون ولا يرسلون إلّا عن ثقة، وإن ادّعاه الشيخ الطوسي رحمه الله، وتفصيل الكلام فيه موكول إلى محلّه في علم الرجال.

وتقريب الاستدلال بالرواية هو نفس ما تقدّم في الرواية السابقة.

الرواية السادسة

ما رواه بن قولويه، عن أبيه وجماعة من مشايخه، عن أحمد بن إدريس، عن العمركي بن علي البوفكي، عمّن حدّثه، عن صندل، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**سألته عمّن ترك الزيارة، زيارة قبر الحسين بن علي من غير علّة، قال: هذا رجل من أهل النار**»[2].

وهي ضعيفة السند بالإرسال وبصندل؛ لأنه لم تثبت وثاقته، وإن ورد في (كامل الزيارات)، وروى عنه محمد بن أبي عمير[3]، لعين ما تقدّم في الرواية السابقة.

وأمّا دلالتها فيمكن أن يُقال: إنّ كون تارك زيارة الحسين عليه السلام من غير عذر من أهل النار دليل على عصيانه ومخالفته للأمر الإلهي الشرعي، وهو الأمر بالزيارة، فلا مناص من كونه أمراً على نحو الوجوب، إذ الأمر الاستحبابي لا عقوبة على تركه كما هو واضح.

هذا، ولكن قد يُقال: إنّ كون تارك الزيارة من أهل النار ليس لأجل الأمر الوجوبي بها، بل لأجل أنّ مَن يتركها لا لعذر يكشف ذلك عن عدم مبالاته بالدين والمذهب ورموزهما، مما يجعله عرضة لمعاصٍ ومخالفات شرعية لواجبات وفرائض غير زيارة الحسين عليه السلام نفسها، فيكون من أهل النار لتركه تلك الواجبات، وارتكابه تلك المحرّمات، فليتأمل.

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٣٨٣.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٥٧.
(٣) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٩٣.

وكيف كان فهذه الرواية على فرض تمامية دلالتها معارضة في موردها بروايات أُخرى لم تحكم على تارك زيارته عليه السلام بأنّه من أهل النار، بل من الممكن أن يكون من أهل الجنّة، من قبيل ما رواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**مَن لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام من شيعتنا كان منتقص الإيمان، منتقص الدين، وإن دخل الجنّة كان دون المؤمنين في الجنّة**»(١).

إن قلتَ: إنّ رواية هارون بن خارجة واردة في مورد ترك الزيارة من دون علّةٍ وعذر، ورواية محمد بن مسلم هذه مطلقة، فتحمل على صورة ترك الزيارة مع العذر والعلّة؛ عملاً بحمل المطلق على المقيّد.

قلتُ: أولاً: إنّ رواية محمد بن مسلم أخصّ من جهة أُخرى من رواية هارون ابن خارجة، فإنّها مختصّة بالشيعة، وتلك مطلقة، فتكون النسبة بين الروايتين العموم والخصوص من وجه، ومادة الاجتماع هي الشيعي التارك للزيارة من غير عذر، فإنّ رواية هارون اعتبرته من أهل النار، بينما رواية محمد بن مسلم لم تحكم عليه كذلك، فيقع التعارض بينهما في مادّة الاجتماع.

ثانياً: إنّه لا يصحّ حمل رواية محمد بن مسلم على صورة ترك الزيارة لعذر وعلّة؛ لأنّ مَن كان كذلك لا يحتمل أن يكون ناقص الإيمان والدين، فهل يعقل أنّ مَن ترك الزيارة لأجل مرض أو ضرر أو خوف يكون ناقص الإيمان والدين؟ بل هي ظاهرة في الترك العمدي من غير عذر، فليست رواية هارون بن خارجة أخصّ من رواية محمد بن مسلم.

الرواية السابعة

ما رواه الصدوق، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير، قال: «**قال أبو عبد الله عليه السلام: زوروه ـ يعني قبر الحسين عليه السلام ـ ولا تجفوه، فإنّه سيّد**

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٥٥.

الشهداء، وسيّد شباب أهل الجنّة»[١].

وقريب من ذلك ما رواه ابن قولويه القمي[٢].

وهي - بحسب الظاهر ـ نفس الرواية التي رواها الحميري عن محمد بن عبد الحميد وعبد الله بن محمد جميعاً، عن حنان، قال: «**قلت لأبي عبد الله**عليه السلام: **ما تقول في زيارة قبر الحسين**عليه السلام**، فإنّه بلغنا عن بعضكم أنه قال: تعدل حجّة وعمرة؟ قال: فقال: ما أضعف هذا الحديث، ما تعدل هذا كلّه، ولكن زوروه ولا تجفوه، فإنّه سيّد شباب الشهداء، وسيّد شباب أهل الجنّة، وشبيه يحيى بن زكريا، وعليهما بكت السماء»**[٣].

والرواية بسند الصدوق معتبرة، فإنّ حنان بن سدير ثقة، وإن كان واقفياً، كما شهد بذلك الشيخ الطوسي[٤].

وأمّا دلالتها على وجوب الزيارة عيناً، فيمكن أن تُقرّب بأنّ صيغة الأمر في (زوروه) ظاهرة في ذلك، بل يمكن الاستدلال حتّى بالنهي عن جفائهعليه السلام؛ فإنّه يعني مقاطعته، وترك الصلة بهعليه السلام.

إلّا أنّ ظهورها في الاستحباب أوضح منه في الوجوب؛ وذلك بقرينة التعليل بأنّه سيّد الشهداء، وسيّد شباب أهل الجنّة، فإنّ هذا التعليل يُبيِّن لنا أنّ الأمر بزيارتهعليه السلام إنّما هو لأجل مقامه ومنزلته عند الله تعالى وقربه منه، وأقصى ما يستدعيه ذلك هو استحباب الزيارة لا وجوبها، وإلّا لزم الحكم بوجوب زيارة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله، وأخيه أمير المؤمنينعليه السلام بطريق أُولى، فإنّهما أفضل من سيّد الشهداء قطعاً، وهو ممّا لا يمكن الالتزام به.

(١) الصدوق محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٩٧.

(٢) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢١٦.

(٣) الحميري القمي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص٩٩.

(٤) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص١٦٤.

الرواية الثامنة

ما رواه ابن قولويه، بإسناده عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**سمعته يقول: زوروا الحسين عليه السلام ولو كلّ سنة؛ فإنّ كلّ مَن أتاه عارفاً بحقّه، غير جاحد، لم يكن له عوض غير الجنّة، ورزق رزقاً واسعاً، وأتاه الله بفرج عاجل، إنّ الله وكّل بقبر الحسين بن علي عليه السلام أربعة آلاف ملك، كلّهم يبكونه، ويشيعون مَن زاره إلى أهله، فإن مرض عادوه، وإن مات شهدوا جنازته بالاستغفار له، والترحّم عليه**»(1).

وفي سندها ضعف، من جهة محمد بن مروان، فإنّه لم تثبت وثاقته، وإن ورد في (كامل الزيارات)، وروى عنه محمد بن أبي عمير(2)، وصفوان بن يحيى(3).

ويمكن تقريب الاستدلال بها على الوجوب بظهور صيغة الأمر (زوروا) في الوجوب العيني، اللّهم إلّا أن يُقال: إنّ قوله عليه السلام: (ولو كلّ سنة) يمنع من الظهور المذكور؛ لأنّ هذا القول يصرف الكلام إلى مجرّد الترغيب في الزيارة والحثّ عليها، فالمطلوب هو الإكثار من الزيارة، وعدم الاقتصار على زيارة، أو زيارتين في العمر، وكلّ ذلك يتناسب مع استحباب الزيارة دون وجوبها.

الرواية التاسعة

ما رواه ابن قولويه، بإسناده عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، في حديث طويل، قال: «**قلت: جُعِلت فداك! ما تقول فيمَن ترك زيارته وهو يقدر على ذلك؟ قال: أقول: إنّه قد عقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعقّنا، واستخفّ بأمرٍ هو له، ومَن زاره كان الله له من وراء حوائجه...**»(4). ورواها الشيخ الطوسي أيضاً(5).

---

(1) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٧٥ـ١٧٦.

(2) أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٣٠.

(3) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٦٧.

(4) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٤٦.

(5) أُنظر: الطوسي، محمد بن محمد، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٥.

وسندها ضعيف بعدّة مجاهيل، بل بضعاف، مثل عبدالله بن عبد الرحمن الأصمّ الذي ضعّفه النجاشي[1] وابن الغضائري[2].

وقد يُقرّب الاستدلال بها بأنّ عقوق رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام غير جائز، مثل عقوق الوالدين، وقد اعتبر في الرواية ترك الزيارة عقوقاً لهما، مضافاً إلى أنّها اعتبرت تارك الزيارة مستخفاً بالأمر الشرعي وهو الزيارة، والاستخفاف به غير جائز أيضاً، فتكون الزيارة واجبة.

هذا، ولكنّ الصحيح عدم تمامية دلالتها على وجوب الزيارة؛ لأنّ المراد بعقوق رسول الله صلى الله عليه وآله وأولاده عليهم السلام فيها، ليس كعقوق الوالدين المحرّم شرعاً والمعتبر من الكبائر، بل المراد مجرّد ترك الصلة، فينبغي حفظ الصلة معهم عليهم السلام، والارتباط الدائم بهم، فتارك الزيارة يعتبر عاقّاً من هذا الباب، وليس كعقوق الوالدين، وإلّا لزم (بالأولويّة القطعية) وجوب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وجميع الأئمّة عليهم السلام، وهو ممّا لا يمكن الالتزام به.

وأمّا قوله عليه السلام: (واستخفّ بأمرٍ هو له)، فيمكن أن يكون المقصود به الاستخفاف والاستهانة بما هو مطلوب ومرغوب فيه، وهو زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، التي ينبغي تعظيمها وإقامتها؛ لما لها من الفوائد والمنافع الجمّة للزائر نفسه، ولذلك قال: (استخفّ بأمرٍ هو له)، أي: بما هو نافع له، وله فوائد ترجع إليه، ومن هنا نجد أنّ الرواية ذكرت بعد هذا التعبير الفوائد والآثار المترتبة على الزيارة، من قبيل قضاء حوائجه، وكفاية ما أهمّه من أمر دنياه، وغير ذلك، فليس المراد الاستخفاف بالحكم الشرعي الإلهي المحرّم.

(١) أُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٤١٧.

(٢) أُنظر: ابن الغضائري، أحمد بن الحسين، رجال ابن الغضائري: ص٧٦.

الرواية العاشرة

مرسلة سيف بن عميرة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مَن لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام، وهو يزعم أنّه لنا شيعة حتّى يموت، فليس هو لنا بشيعة، وإن كان من أهل الجنّة فهو من ضيفان أهل الجنّة**»(١).

وهي ضعيفة بالإرسال.

كما أنّ دلالتها غير تامّة أيضاً؛ لأنّ قوله عليه السلام (فليس هو لنا بشيعة) يُراد منه: نفي كمال التشيّع وتمامه عنه، وليس نفي أصله حتّى يُقال: بأنّه لا يتمّ إلّا إذا كانت الزيارة واجبة، وأمّا لو كانت مستحبّة، فترك المستحبّ لا يلازمه نفي أصل التشيّع عن تارك الزيارة؛ وذلك لأنّ ترك واجب من الواجبات لا يخرج الشيعي عن التشيّع، وإلّا للزم أن ينحصر الشيعي في المعصوم المطهّر من الذنوب، ولذلك اعتبر تارك الزيارة في رواية محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر عليه السلام من الشيعة، لكنّه منتقص الإيمان والدين(٢)، فالمراد إذن هو نفي الكمال، وهو كما يناسب ترك الواجب يناسب ترك المستحب أيضاً؛ لأنّ الشيعي التام الكامل هو مَن يعمل بالواجبات والمستحبّات، ويترك المحرّمات والمكروهات، بل حتّى الشبهات.

الرواية الحادية عشرة

صحيحة عامر بن عمير وسعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**ائتوا قبر الحسين عليه السلام في كلّ سنة مرّة**»(٣).

وتقريب الاستدلال بها، هو أنّها دلّت على وجوب زيارته عليه السلام؛ لظهور قوله عليه السلام: (ائتوا) في الوجوب، وهو المطلوب.

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٥٦.

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص٤٩٠. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٣٢.

ويرد عليها:

أولاً: أنّها دلّت على وجوب الزيارة في كلّ سنة مرّة، وهذا ممّا لا يمكن الالتزام به؛ إذ لم نجد مَن صرّح بوجوبها في كلّ سنة، فمفادها ممّا أعرض عنه الأصحاب ولم يعملوا به، وهو ممّا يضعف دلالتها على الوجوب قطعاً، مضافاً إلى أنّ الزيارة لو كانت واجبة في كلّ سنة لظَهرَ ذلك وبانَ في سيرة وسلوك المتشرِّعة[1].

إن قلت: إنّ الصحيحة دلّت على مطلبين: أحدهما: وجوب أصل الزيارة، والثاني: تقييدها بالسنة مرّة على الأقل، فلو لم يمكن الالتزام بالمطلب الثاني للإعراض ونحوه، يمكن الالتزام بالمطلب الأوّل، فيتمّ المطلوب، وهو وجوب أصل الزيارة.

قلتُ: إنّ هذا التفكيك في مدلول الرواية الواحدة والمتن الواحد لا يمكن قبوله، ولا المساعدة عليه، نعم التفكيك معقول، بل مقبول فيما إذا دلّت الرواية على مطلبين أحدهما مستقلّ عن الآخر، بخلاف ما نحن فيه، حيث إنّ الرواية دلّت على وجوب مقيّد بالمرّة في كلّ سنة، فلا يصحّ رفع اليد عن القيد، والأخذ بالمقيَّد، بل ثبت في محلّه أنّ اللفظ لا ينعقد له إطلاق إذا كان القيد والقرينة متّصلين به، وعليه، فمفاد الرواية شيء واحد، لا شيئان حتّى نأخذ بالوجوب، ونرفع اليد عن قيده، هذا أولاً.

ثانياً: أنّه كما يُحتمل أن يكون التقييد بالمرّة في السنة تقييداً في جانب القلّة، بمعنى أنّ أقلّ ما ينبغي من الزيارة هو مرّة في كلّ سنة، فيكون مفادها مفاد رواية محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «**زوروا قبر الحسين عليه السلام ولو كلّ سنة مرّة**»[2]، كذلك يُحتمل أن يكون التقييد في جانب الكثرة، بمعنى ضرورة الاقتصار على الزيارة في السنة مرّة واحدة لا أكثر؛ تقية وخوفاً على الشيعة، فتكون من قبيل صحيحة الكلبي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن زيارة قبر الحسين عليه السلام قال: «في

(١) وسيأتي في الاعتراضات العامّة ما يفيد في المقام أيضاً.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٩٣.

السنة مرّة، إنّي أكره الشهرة»[1]، ومعتبرته الأُخرى ـ ولعلّها نفس الأُولى ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «**قلت: إنّا نزور قبر الحسين في السنة مرّتين أو ثلاث. فقال: أبو عبد الله عليه السلام: أكره أن تكثروا القصد إليه، زوروه في السنة مرّة...**»[2]. ومن الواضح أنّ الاستدلال بالرواية يتمّ على الاحتمال الأوّل، لكنّه ليس متعيّناً، حيث يوجد احتمال ثانٍ فيها، وإذا ورد الاحتمال بطل الاستدلال.

ثالثاً: أنّ هذه الصحيحة معارضة بروايات أُخرى حدّد بعضها أقلّ الزيارة بأقلّ من سنة، وبعضها بأكثر من سنة، فمن الأول: مصحّحة أبي أيوب عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**حقّ على الغني أن يأتي قبر الحسين عليه السلام في السنة مرّتين، وحقّ على الفقير أن يأتيه في السنة مرّة**»[3]. ونحوها مرسلة ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن ابن رئاب، عنه عليه السلام[4]. ومنه أيضاً: مصحّحة علي بن أبي حمزة، قال: «**قال أبو الحسن عليه السلام: لا تجفوه، يأتيه الموسر في كلّ أربعة أشهر، والمعسر لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها**»[5]. ومنه أيضاً: مرفوعة علي بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «**قلت: جُعلت فداك في كم الزيارة؟ قال: يا علي، إن قدرت أن تزوره في كلّ شهر فافعل...**»[6]. ونحوها رواية عبد الله بن طلحة النهدي، قال: «**دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا عبد الله بن طلحة، ما تزور قبر أبي الحسين عليه السلام؟ قلت: بلى، إنّا لنأتيه. قال: تأتونه في كلّ جمعة؟ قلت: لا. قال: فتأتونه في كلّ شهر؟ فقلت: لا. فقال: ما أجفاكم؟! إنّ زيارته تعدل حجّة وعمرة، وزيارة أبي علي عليه السلام تعدل حجّتين وعمرتين**»[7]. ونحوها أيضاً

---

(١) المصدر السابق: ص٤٩١.
(٢) المصدر السابق: ص٤٩٤.
(٣) المصدر السابق: ص٤٩٠.
(٤) أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٣٧.
(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٩١.
(٦) المصدر السابق: ص٤٩٣.
(٧) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٣٨١.

رواية صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**قلت: ومَن يأتيه زائراً، ثمّ ينصرف عنه، متى يعود إليه؟ وفي كم يؤتى؟ وكم يوماً؟ وكم يسع الناس تركه؟ قال: لا يسع أكثر من شهر، وأمّا بعيد الدار ففي كلّ ثلاث سنين، فما جاز الثلاث سنين فلم يأتِه فقد عقّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقطع حرمته، إلّا من علّة**»(١).

ومن الثاني ـ أعني ما دلّ على الزيارة في أكثر من سنة ـ رواية أبي ناب عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**سألته عن زيارة قبر الحسين عليه السلام قال: نعم، تعدل عمرة، ولا ينبغي التخلّف عنه أكثر من أربع سنين**»(٢). ونحوها مرفوعة العمركي بإسناده، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**إنّه يصلّي عند قبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك من طلوع الفجر إلى أن تغيب الشمس، ثمّ يصعدون، وينزل مثلهم، فيصلون إلى طلوع الفجر، فلا ينبغي للمسلم أن يتخلّف عن زيارة قبره أكثر من أربع سنين**»(٣)، ومن الثاني أيضاً: رواية صفوان الجمال المتقدمة التي حدّدت أقلّ الزيارة بثلاث سنين لـمَن كان بعيد الدار.

ثمّ إنّ هناك مناقشات وإشكالات متعدّدة على سند هذه الروايات، ودلالتها على وجوب الزيارة في هذه المدد المحدّدة بها، ولكن لو تمت سنداً ودلالة ـ ولو على بعض المباني ـ لكان التعارض واضحاً بينها وبين الصحيحة المبحوث عنها، وهي صحيحة سعيد الأعرج الآمرة بالزيارة في كلّ سنة مرّة، وإن كان التعارض بين بعض تلك الروايات والصحيحة غير مستقر، ويمكن الجمع العرفي بينهما بحمل المطلق على المقيّد، من قبيل مصحّحة أبي أيوب المتقدّمة التي حدّدت الزيارة على الغني في السنة مرّتين، وعلى الفقير مرّة، فتحمل صحيحة سعيد الأعرج على الغني المتمكّن من الزيارة، وإن كان حينئذٍ يقع التعارض بينهما من جهة وبين مصحّحة علي بن أبي حمزة التي حدّدت زيارته عليه السلام على الموسر في كلّ أربعة أشهر، ولم تحدد مدّة للمعسر،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٩٤.
(٢) المصدر السابق: ص٤٩٥.
(٣) المصدر السابق: ص٤٩٤.

وكذلك بينهما وبين مرفوعة علي بن ميمون الصائغ التي أمرت بالزيارة في كلّ شهر، بشرط القدرة عليها.

كما أنّ هناك تعارضاً مستقراً بين صحيحة سعيد الأعرج، وبين رواية أبي ناب التي قالت: «**لا ينبغي التخلّف عنه أكثر من أربع سنين**»، وكذلك بينها وبين رواية صفوان الجمال التي حدّدت المدّة مطلقاً ـ ولو على الفقير ـ بثلاث سنين، والإنصاف أنّه يصعب حلّ التعارض بين الصحيحة وبين هذه الروايات المخالفة لها، وبين الروايات نفسها أيضاً، بناءً على تماميتها سنداً ودلالة على وجوب الزيارة.

وإن كان بعضها مخدوش الدلالة على الوجوب، مثل مصحّحة أبي أيوب، ومرسلة ابن أبي عمير، حيث ورد فيهما «**حقّ على الغني...**» فإنّ الحقّ يتناسب حتّى مع الاستحباب، ولا يتعيّن في الوجوب كما لا يخفى.

كما أنّ رواية عبد الله بن طلحة النهدي غير ظاهرة في الوجوب أيضاً؛ لأنّ قوله عليه السلام فيها: «**ما أجفاكم**» لا يتعيّن في كون الزيارة واجبة، بل ينسجم مع الاستحباب أيضاً.

كما أنّ التعبير بـ«**لا ينبغي**» الوارد في رواية أبي ناب ومرفوعة العمركي أيضاً غير ظاهر في حرمة التخلّف عن زيارة الحسين عليه السلام في كلّ أربع سنين، إن لم يكن ظاهراً في مجرّد الكراهة، ولعلّه هو الصحيح.

ويمكن أن يعدّ هذا التعارض الكبير بين هذه الروايات مؤشراً إلى أنّ أصل زيارة سيّد الشهداء عليه السلام مستحبّ وليس واجباً، وتحمل هذه الروايات على مراتب الفضل والأجر في المستحبّ الواحد، كما تشهد له رواية العيص بن القاسم، قال: «**سألت أبا عبد الله عليه السلام: هل لزيارة القبر صلاة مفروضة؟ قال: ليس له صلاة مفروضة، قال: وسألته في كم يُزار؟ قال: ما شئت**»(1)، فإنّ الظاهر المنصرف من القبر هو قبر سيّد الشهداء عليه السلام لا مطلق القبر، وليس قبراً آخر، كما أنّ قوله عليه السلام: (ما شئت) يشمل جانب القلّة والكثرة كما هو واضح.

---

(1) المصدر السابق: ص٤٩٢.

ملاحظات عامّة على أدلّة القول بوجوب الزيارة عينياً

المقصود بالملاحظات العامّة، هي: تلك الأدلّة التي تمنع من الأخذ بظاهر أدلّة وجوب زيارة سيّد الشهداء عليه السلام بناءً على تماميتها سنداً ودلالة، وهي ملاحظات وإشكالات عامّة ترد على جميع تلك الروايات المتقدّمة:

الملاحظة الأُولى: أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام مسألة ابتلائية جدّاً، إذ تشمل جميع البالغين والمكلّفين، رجالاً ونساءً، القاصي والداني، فلو كانت واجبة ـ ولو في العمر مرّة واحدة كالحجّ، فضلاً عمّا إذا كانت واجبة أكثر من ذلك، كما قد يظهر من بعض النصوص ـ للزم من ذلك:

أولاً: انتشار الفتوى بوجوبها بين الفقهاء المتقدّمين المعاصرين للمعصومين عليهم السلام وغيرهم، مع أنّه لم يُنقل القول بوجوبها إلّا عن ابن قولويه والشيخ المفيد، مع تأمّل في إرادتهما الوجوب الشرعي من عبارتيهما؛ لأنّ الوجوب والفرض وردا في عناوين الأبواب التي ذكروا فيها روايات الزيارة، فيحتمل أن يكون عنوان الباب بالوجوب تبعاً لهذا العنوان والتعبير بالوجوب في النصوص، وليس فتوى منهما به، فيكون مرادهما منه هو الاستحباب المؤكّد، كما هو المقصود به في الروايات على التحقيق.

وكيف كان، فإنّه يكفي في الدلالة على عدم وجوب زيارته عليه السلام عدم اشتهار الفتوى بوجوبها بين الفقهاء، ممّا يكشف بوضوح وجود قرينة قطعية عندهم تمنع من الأخذ بظاهر الأخبار الدالّة بالدلالة الأوّلية على الوجوب، وتوجب صرفها إلى مجرّد الاستحباب المؤكّد، وإلّا فكيف يمكن أن نفسّر عدم الفتوى بوجوبها مع كونها مسألة ابتلائية جدّاً؟ فإنّ كون المسألة ابتلائية يوجب تمثّلها وتجسّدها في فتاوى الفقهاء وكتبهم الفتوائية، وتصدّيهم لبيان حدود هذا الواجب وشروطه وأحكامه، ولكانت مثل الحجّ وغيره من الواجبات، مع أنّ كلّ ذلك لم يحصل، بل أقصى ما هناك أنّهم ذكروا روايات الزيارة واستحبابها في كتب المزار، فذكروا فضلها وكيفيّتها وأوقاتها المفضّلة.

ثانياً: انتشار الزيارة نفسها بين أصحاب الأئمّة عليهم السلام والمتشرّعة، بحيث تجري سيرتهم عليها كما جرت على غيرها من الواجبات الابتلائية المعروفة، فإنّ هذا هو مقتضى كونهم متشرّعة ومتديّنين، سواء كانوا قريبين من كربلاء المقدّسة أو بعيدين عنها مئات الأميال، مع أنّ ذلك لم يثبت تاريخيّاً، بل يظهر من بعض الروايات ترك أقرب أصحاب الأئمّة زيارة الحسين عليه السلام، كما في صحيحة فضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**ما أجفاكم يا فضيل! لا تزورون الحسين، أما علمت أنّ أربعة آلاف ملكٍ شُعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة**»[1].

وفي صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**كم بينكم وبين قبر الحسين عليه السلام؟ قال: قلت: ستة عشر فرسخاً، أو سبعة عشر فرسخاً، قال: ما تأتونه؟ قلت: لا. قال: ما أجفاكم**»[2]، وفي رواية سليمان بن خالد، قال: «**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عجباً لأقوام يزعمون أنّهم شيعة لنا، ويُقال: إنّ أحدهم يمرّ به دهره ولا يأتي قبر الحسين عليه السلام؛ جفاءً منه وتهاوناً وعجزاً وكسلاً! أما والله، لو يعلم ما فيه من الفضل ما تهاون وما كسل...**»[3].

وفي رواية حنان بن سدير قال: «**كنت عند أبي جعفر عليه السلام، فدخل عليه رجل، فسلّم عليه وجلس، فقال أبو جعفر عليه السلام: من أيّ البلدان أنت؟ قال: فقال له الرجل: أنا رجل من الكوفة، وأنا لك محبّ مُوالٍ، فقال له أبو جعفر عليه السلام: أفتزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ جمعة؟ قال: لا. قال: ففي كلّ شهر؟ قال: لا. قال: ففي كلّ سنة؟ قال: لا. فقال له أبو جعفر عليه السلام: إنّك لمحروم من الخير...**»[4].

وفي رواية علي بن الحكم، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**كم بينكم**

(١) المصدر السابق: ص٤٨٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق: ص٤٨٧.

وبين قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: ستّة عشر فرسخاً. قال: أو ما تأتونه؟ قلت: لا. قال: ما أجفاكم»(١).

وفي رواية علي بن ميمون الصائغ قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا علي، بلغني أنّ أُناساً من شيعتنا تمرّ بهم السنّة والسنتان وأكثر من ذلك لا يزورون الحسين بن علي عليه السلام؟ قلت: إنّي لأعرف أُناساً كثيراً بهذه الصفة. فقال: أما والله، لحظهم أخطأوا، وعن ثواب الله زاغوا، وعن جوار محمد صلى الله عليه وآله في الجنّة تباعدوا»(٢).

وفي رواية بريد بن عبد الملك قال: «كنت مع أبي عبد الله عليه السلام، فمرّ قوم على حمير، فقال: أين يريد هؤلاء؟ قلت: قبور الشهداء. قال: فما يمنعهم من زيارة الشهيد الغريب؟ قال له رجل من العراق: وزيارته واجبة؟ قال: زيارته خير من حجّة وعمرة. حتّى عدّ عشرين حجّة وعمرة، ثمّ قال: مبرورات متقبّلات. قال: فوالله، ما قمت حتّى أتاه رجل فقال له: إنّي حججت تسع عشرة حجّة، فادعُ الله لي أن يرزقني تمام العشرين. قال: فهل زرت قبر الحسين عليه السلام؟ قال: لا. قال: إنّ زيارته خير من عشرين حجّة»(٣).

وفي رواية صفوان الجمال، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام لما أتى الحيرة: هل لك في قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: وتزوره جعلت فداك؟ قال: وكيف لا أزوره؟! والله، يزوره في كلّ ليلة جمعة...»(٤).

وفي رواية محمد البصري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أتاه رجل، فقال له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله، هل يُزار والدك؟ قال: فقال: نعم، ويصلّى عنده...»(٥).

فهذه الروايات تكشف عن عدم علم الكثير من الأصحاب بوجوب زيارة

(١) المصدر السابق: ص٤٨٦.
(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٢٩.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٠٢.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٦٠.
(٥) المصدر السابق: ص٧٨.

الحسين عليه السلام، وعن عدم إتيانهم بها، ممّا يدل على عدم وجوبها واقعاً، وإلّا لما خفي ذلك عليهم، ولما تخلّفوا عنها.

الملاحظة الثانية: أنّ هناك روايات تدلّ على عدم وجوب زيارته عليه السلام، وهي لأجل صراحتها أو ظهورها في عدم الوجوب تتقدّم على الروايات الظاهرة في الوجوب، وتوجب حملها على الاستحباب المؤكّد، كما هو مقتضى الجمع العرفي، ومن أمثلة هذه الروايات ما يلي:

الرواية الأُولى: رواية حنان بن سدير المتقدّمة التي ورد في ذيلها: «**إنّك لمحروم من الخير**» عندما أخبره الرجل بأنّه لا يزور الحسين عليه السلام كلّ سنة، فإنّ هذا التعبير يناسب عدم وجوب الزيارة واستحبابها.

الرواية الثانية: رواية أبي ناب المتقدّمة، قال: «**سألته عن زيارة قبر الحسين عليه السلام، قال: نعم، تعدل عمرة، ولا ينبغي التخلّف عنه أكثر من أربع سنين**»، بناءً على أنّ كلمة (لا ينبغي) ظاهره في الكراهة، لا في الحرمة، ولا في الأعم منهما، فتدلّ الرواية على عدم وجوب الزيارة.

الرواية الثالثة: رواية يزيد بن عبد الملك المتقدّمة التي سأل الراوي فيها الإمام عن أنّ زيارته عليه السلام واجبة؟ فقال الإمام عليه السلام: «**زيارته خير من حجّة وعمرة...**»، فإنّ هذا الجواب واضح في عدم الوجوب، وإلّا لأجاب عليه السلام بـ(نعم)، بدلاً من ذكر ثوابها، فتأمّل.

الرواية الرابعة: رواية داوود الحمّار عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مَن لم يزر قبر الحسين عليه السلام فقد حُرِم خيراً كثيراً، ونقص من عمره سنة**»[1]، فإنّ هذا التعبير كالتصريح في عدم وجوب الزيارة؛ إذ لا يقال لـمَن ترك الواجب: إنّه تركه خير كثيراً، بل يُقال: إنّه عاصٍ ومستحقّ للعقاب والعذاب، وأمثال ذلك.

الرواية الخامسة: رواية علي بن أبي حمزة قال: «**سألت العبد الصالح عن زيارة قبر**

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٨٥.

الحسين بن علي عليه السلام، **فقال: ما أحبّ لك تركه»**(1)، وهي أيضاً واضحة في نفي الوجوب.

الرواية السادسة: رواية علي بن ميمون الصائغ المتقدّمة، فإنّ تعبير الإمام عمّن تركوا الزيارة بأنّهم: «**أخطأوا حظّهم، وعن ثواب الله زاغوا**»، واضحة في ذلك أيضاً.

وهناك روايات أُخرى يظهر منها نفي الوجوب أيضاً، نعم، هذه الروايات التي نقلناها كلّها تواجه إشكال ضعف السّند، وإن كان بعضها معتبراً عند البعض، ولذلك لا يمكن الاعتماد على هذه الملاحظة الثانية لنفي الوجوب؛ إذ ليست الروايات متواترة إجمالاً حتّى نبني عليها، وننفي الوجوب، فلاحظ.

الملاحظة الثالثة: أنّ هناك روايات كثيرة جدّاً يسأل فيها الرواة عن ثواب زيارة الحسين عليه السلام وأجرها عند الله، فيجيبهم الإمام عليه السلام بأجوبة مختلفة، ومن الواضح أنّ السؤال عن الثواب ناشئ عن ارتكاز استحباب الزيارة في ذهن السائلين؛ إذ لو كان المرتكز عندهم الوجوب لم يكن هناك داعٍ كثير وباعث مهم للسؤال عن الثواب، فإنّ الواجب يجب امتثاله قلّ ثوابه أم كثر، بل حتّى إذا خلا من الثواب، بينما نجد أنّ الرواة، خصوصاً المقرّبين من الأئمّة عليهم السلام، يسألون عن أجر الزيارة وثوابها، وسنشير إلى بعض تلك الروايات كمثال:

١ـ صحيحة محمد بن مسلم قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمَن أتى قبر الحسين عليه السلام؟ قال: مَن أتى قبر الحسين شوقاً إليه كان من عباد الله المكرمين، وكان تحت لواء الحسين بن علي حتّى يدخلهما الله جميعاً الجنّة»**(2).

٢ـ رواية هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قلت: جُعلت فداك! ما لمَن أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً له، عارفاً بحقّه، يريد به وجه الله والدار الآخرة...»**(3).

٣ـ رواية القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قلت له: ما لمَن أتى الحسين بن علي عليهما السلام زائراً، عارفاً بحقّه، غير مستنكفٍ، ولا مستكبر؟ قال: يُكتب له ألف حجّة**

(1) المصدر السابق: ٤٢٦.

(2) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص١٨.

(3) المصدر السابق: ص١٩.

مقبولة، وألف عمرة...»[1].

ونحوها روايات كثيرة، مثل رواية عبد الله بن الفضل[2]، ورواية أبي ناب المتقدّمة، ورواية الحسن بن الجهم[3]، ومعتبرة زيد الشحام[4]، ورواية حنان[5]، وغيرها كثير، حيث يسأل الرواة والصحابة عن ثواب الزيارة، ممّا يكشف بشكل واضح عن ارتكاز الاستحباب عندهم، الأمر الذي يمنع من الأخذ بما يظهر منه الوجوب، ويوجب حمله على الندب والاستحباب.

الملاحظة الرابعة: أنّ الزيارة لو كانت واجبة لكان تركها معصية ومخالفة شرعية، إلّا لعذر شرعي، ولكان تاركها آثماً مذنباً مستحقّاً للعقاب الإلهي، والعذاب الأُخروي، شأنها شأن بقية الواجبات، كالصلاة والصوم والحجّ، ومن هنا يلزم المشرّع الذي يريد الحفاظ على أغراضه التشريعية أن يؤكّد جانب الوجوب من الزيارة، وأن يتوعّد تاركها بالعقاب والعذاب، حتّى يتحقّق في نفس المكلّف الداعي الأشدّ والباعث الأهمّ للإتيان بالزيارة، خصوصاً في ظل إنكار عامّة المسلمين لوجوبها، وأن لا يقتصر المشرّع في الحثّ عليها على مجرّد الوعد بالثواب والأجر الجزيل على فعلها، فإنّ داعوية الوعيد والإنذار للعمل أقوى بكثير من داعوية الوعد والتبشير، ومن هنا أكّد القرآن الكريم على كون النبي صلى الله عليه وآله نذيراً، وإن كان بشيراً أيضاً، فقال عزّ وجلّ: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[6]، وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[7]، لما للإنذار من تأثير أقوى وأشدّ من مجرّد التبشير والوعد بالثواب.

---

(١) المصدر السابق: ص٢٠.

(٢) المصدر السابق: ج١٠١، ص٢٣.

(٣) المصدر السابق: ص٢٩.

(٤) المصدر السابق: ص٢٦.

(٥) المصدر السابق: ص٣٥.

(٦) فاطر: آية٢٣.

(٧) الأعراف: آية١٨٤.

هذا، والحال أنّنا نجد في روايات زيارة سيّد الشهداء (وهي بالمئات) أنّ الأئمّة عليهم السلام اقتصروا على التبشير والوعد بالثواب الجميل والأجر الجزيل لزائره عليه السلام، ولم أجد فيها إنذاراً بالعقاب والعذاب الإلهي الأُخروي، إلّا ما ورد في رواية هارون بن أبي خارجة المتقدّمة، حيث عدّ تارك الزيارة من أهل النار، وهي ـ مع ضعفها وإرسالها ـ غير كافية وحدها في التأكيد على الزيارة بنحو يبيِّن وجوبها ولزومها كما هو واضح.

وإلى هنا ظهر ضعف القول بوجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام عينياً.

القول الثاني: وجوب زيارته عليه السلام كفاية

وهو ما صرّح به الحرّ العاملي في وسائله[1]، والمحدّث النوري في مستدركه[2]، ولكنّهما لم يذكرا دليلاً يثبت ذلك، سوى روايات أغلبها يدلّ على مجرّد الاستحباب والثواب على الزيارة، وروايات قد يظهر منها الوجوب العيني، وهي التي تقدّمت عند عرض دليل القول الأوّل، ومن هنا فعمدة ما يمكن الاستدلال به على هذا القول هو دليل مركّب من مقدّمتين: الأُولى: أنّ هناك روايات دلّت على وجوب زيارته عليه السلام كما تقدّمت، والثانية: أنّه لا يمكن حمل تلك الروايات على الوجوب العيني؛ وذلك للملاحظات والاعتراضات الخاصّة والعامّة المتقدّمة، ونتيجة المقدّمتين هي لزوم حمل روايات الوجوب على الوجوب الكفائي، عملاً بها، ولئلّا يلزم طرحها.

لكن يرد على ذلك:

أولاً: أنّ أغلب الروايات التي استُدلّ بها على وجوب الزيارة أو كلّها صريحة في الوجوب العيني، ولا يمكن حملها على الكفائي، طبعاً بناءً على تماميتها سنداً ودلالة وظهوراً، ففي رواية محمد بن مسلم المتقدّمة ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «**فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ**»، وفي رواية أُم سعيد الأحمسية ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**فإنّ زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال**

(١) أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن مسلم، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٠٩.

(٢) أُنظر: النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٢٢٨.

والنساء»، وفي رواية عبد الرحمن بن كثير ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**لو أنّ أحدكم حجّ دهره، ثمّ لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام، لكان تاركاً حقّاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كلّ مسلم**»، ومثلها مرسلة علي ابن ميمون، وفي مرسلة هارون بن خارجة ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال في رجل ترك زيارة الحسين عليه السلام من غير علّة أنّه من أهل النار، ونحوها رواية الحلبي عنه عليه السلام أيضاً، وفي مرسلة سيف بن عميرة عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**مَن لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام، وهو يزعم أنّه لنا شيعة حتّى يموت، فليس هو لنا بشيعة...**».

ومن الواضح جدّاً أنّ هذه الألسنة والتعابير لا يصحّ عرفاً حملها على الوجوب الكفائي، بحيث تكون الزيارة واجبة على كلّ الناس، لكن يسقط وجوبها ولو بإتيانها من قِبَل شخص واحد، كوجوب تجهيز الميّت والصلاة عليه.

ثانياً: أنّه لو تعذّر حمل هذه الروايات على الوجوب العيني للوجوه المتقدّمة في ردّها، يجب حملها على الاستحباب العيني، لا الوجوب الكفائي، بمقتضى الجمع العرفي بين ما دلّ بظاهره على الوجوب، وما دلّ على نفيه، من الدليل اللفظي أو اللبّي، خصوصاً بعد كثرة استعمال صيغة الأمر ونحوها في إرادة الاستحباب في الروايات، كما لا يخفى على المتتبّع، وبهذا يتبيّن فساد القول الثاني أيضاً.

القول الثالث: استحباب زيارته عليه السلام عيناً، بل تأكّد استحبابها

وهذا القول هو الصحيح، وهو المشهور، وتدلّ عليه الروايات المتواترة التي تدلّ على استحباب زيارته عليه السلام، والتي تقدّم قسم منها، وذكر قسماً منها ابن قولويه في (كامل الزيارات)، وأوردها صاحب الوسائل والمستدرك والبحار.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام في شهر رمضان

السيّد محمد هاشم المدني*

مقدّمة

اهتمّ أهل البيت عليهم السلام بزيارة الإمام الحسين عليه السلام اهتماماً خاصّاً لا تجد له نظيراً في غيره من الشعائر الدينية، وقد تجلّى ذلك الاهتمام في مستويات عدّة، منها:

الأوّل: الترغيب الشديد في زيارته عليه السلام عن طريق التبشير بالثواب العظيم الذي لا يزهد فيه عاقل، وسنقف على نماذج منه بعد قليل، عندما نستعرض الأحاديث المتعلّقة بزيارته عليه السلام في شهر رمضان المبارك.

الثاني: إبراز شدّة الطلب وتأكيده، وهو ما يعكس شدّة المصلحة المترتّبة على إتيان الزيارة، حتّى أنّ بعض الأحاديث يظهر منها وجوب زيارته عليه السلام، بل بعضها صرّحت بذلك، وهو ما ذهب إليه الشيخ المفيد في (الإرشاد)، حيث قال: «**وقد جاءت روايات كثيرة في فضل زيارته عليه السلام، بل في وجوبها، فروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنّه قال: زيارة الحسين بن علي عليه السلام واجبة على كلّ مَن يقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ**»[1].

وذهب إلى الوجوب أيضاً ابن قولويه في (كامل الزيارات)، وعقد له باباً تحت عنوان: (إنّ زيارة الحسين عليه السلام فرض وعهد لازم له ولجميع الأئمة عليهم السلام على كلّ مؤمن ومؤمنة)، وأدرج تحته عدداً من الروايات، منها ما أخرجه بسنده إلى محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**مُروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّ وجلّ**»[2].

---

* أُستاذ في جامعة المصطفى العالمية، من العراق.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٣٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: الباب٤٣، ص٢٣٦.

والرأي نفسه تجده عند الشيخ محمد بن المشهدي في (المزار)، حيث عقد للروايات القائلة بذلك باباً تحت عنوان: (فضل زيارته عليه السلام، وحدّ وجوبها في الزمان على الأغنياء والفقراء)(١).

وأمّا عدد الروايات التي جاءت بهذا المعنى فلعلّها تصل إلى حدّ التواتر.

الثالث: الحضور والشمولية؛ إذ لا نجد مناسبة أو شعيرة دينية على مدار السَّنة إلّا وزيارة الإمام الحسين عليه السلام من مفرداتها، ومن سبل تحصيل الثواب الموعود عليها؛ حتّى جاء عنهم عليهم السلام وصفُها بأنّها خير موضوع، بمعنى أنّها عبادة مطلوبة في كل وقت، وأنّ الثواب عليها ثابت كذلك، وكلّما زدت فيها زاد الثواب، ولا يوجد حدّ لذلك، وقد جاء هذا المعنى صريحاً في كلام الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام: هل في ذلك وقت هو أفضل من وقت؟ فأجاب عليه السلام: «**زوروه (صلّى الله عليه) في كلّ وقت، وفي كلّ حين، فإنّ زيارته خير موضوع، فمَن أكثر منها فقد استكثر من الخير، ومَن قَلّل قُلّل له...**»(٢).

وهذا المعنى لا نجده ثابتاً إلّا للصلاة التي هي وسيلة اتصال المؤمن اليومية بخالقه عزّ وجلّ، ولك أن تتأمل في هذه المماثلة؛ لتجد كم تحمل من معانٍ ودلالات عميقة وسامية.

وبعد أن أسّس الإمام الصادق عليه السلام هذه القاعدة العظيمة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وأنّها مندوب إليها في كلّ وقت، أشار ـ في ذيل الحديث السابق ـ إلى أنّ هناك أوقاتاً معيَّنة تتأكّد فيها الزيارة ويتضاعف فيها الثواب(٣)، ودعانا إلى تحرّي تلك

---

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: الباب٣، ص٣٣٩.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج١، ص٤٥ـ٤٦.

(٣) كما هو الحال في الصلاة؛ إذ ثبت أيضاً أنّها خير موضوع، فمتى جيء بها تحقّق عليها الثواب، وقد يثبت لها ثوابٌ آخر بعنوان آخر، كأن يُؤتى بها في مكان أو زمان ثبت له ثواباً خاصّاً: كالصلاة في المسجد، أو في مرقد الإمام الحسين عليه السلام، أو في وقت السحر، أو ليلة القدر.. وغيرها من الخصوصيات والملاكات التي تكون سبباً في تعدّد الثواب الوارد على الصلاة الواحدة.

الأوقات وإتيان الزيارة فيها؛ وذلك لملاكين:

الأوّل: أنّ الثواب فيها مضاعف.

الثاني: أنّها أوقات تهبط فيها الملائكة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فإذا زرناه في تلك الأوقات، نكون قد زرناه مع الملائكة، حيث قال عليه السلام: «**وتحرّوا بزيارتكم الأوقات الشريفة، فإنّ الأعمال الصالحة فيها مضاعفة، وهي أوقات مهبط الملائكة لزيارته**»(1). ويا له من فضل عظيم!

من الأوقات الشريفة التي ندب إليها أهل البيت عليهم السلام، وأكّدوها بشكل استثنائي هي زيارته عليه السلام في شهر رمضان المبارك، إمّا مطلقاً، أو في خصوص بعض لياليه المباركة، وهذا ما سيأتي بيانه في المبحث الأوّل من هذا المقال.

وسوف نتناول أيضاً في المبحث الثاني مسألةً أُخرى ـ تعرّضت لها بعض الأحاديث ـ مرتبطة بزيارة الإمام عليه السلام في شهر رمضان، وهي حكم السفر في شهر رمضان للزيارة فيما لو تعارض مع الصيام، فأيّهما يقدّم؟

المبحث الأوّل: أوقات الزيارة في شهر رمضان

أوّلاً: مطلق الشهر

وقد دلّ عليه حديث أخرجه ابن قولويه في (كامل الزيارات) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**مَن زار قبر الحسين عليه السلام في شهر رمضان ومات في الطريق، لم يُعرَض، ولم يُحاسَب، ويقال له: أُدخل الجنّة آمناً**»(2).

وحيث إنّ هذا الحديث لم يحدّد وقتاً خاصّاً من الشهر لهذه الزيارة، وإنّما أطلق ذلك، فهذا يعني أنّها مطلوبة في كلّ أيام الشهر في الليل والنهار، وهذا الإطلاق ـ بحسب تتبّعنا ـ لم نجده إلّا في هذا الحديث، وأمّا بقيّة الأحاديث فحدّدته في ليالي

(1) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج1، ص46.

(2) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص546.

بعض الأيام دون النهار، كما سيتّضح ذلك في النحو الثاني.

والملاحَظ هنا، أنّ الثواب الذي أشار إليه الحديث يشبه الثواب الذي ثبت للشهيد؛ إذ إنّه لا يُعرَض، ولا يُحاسَب، ولعلّ في ذلك إشارة إلى أنّ مَن مات في طريق زيارة الإمام الحسين عليه السلام فكأنّما مات شهيداً معه عليه السلام، وذلك على قاعدة: «**لا يحبّ رجلٌ قوماً إلّا حُشِر معهم**»(١)، وفي الزيارة إعلان واضح عن ذلك الحب، وهناك لحاظات أُخرى في هذا التشبيه لا تخفى على المتأمّل.

ثانياً: الأوقات الخاصّة في الشهر

١ـ الليلة الأُولى والأخيرة وليلة النصف

وقد دلّ عليها حديث ـ تقدّم صدره قبل قليل ـ أخرجه السيّد ابن طاووس بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام، أنّه سئل عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام في شهر رمضان؟ فقال عليه السلام: «**مَن جاءه خاشعاً محتسباً مستقيلاً مستغفراً، فشهد قبره في إحدى ثلاث ليال من شهر رمضان: أوّل ليلة من الشهر، أو ليلة النصف، أو آخر ليلة منه، تساقطت عنه ذنوبه وخطاياه التي اجترحها، كما يتساقط هشيم الورق بالريح العاصف، حتّى أنّه يكون من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أُمّه، وكان له مع ذلك من الأجر مثل أجر مَن حجّ في عامه ذلك واعتمر، ويناديه ملكان يسمع نداءهما كلّ ذي روح إلّا الثقلين من الجنّ والإنس، يقول أحدهما: يا عبد الله، طهُرْتَ فاستأنِفْ العمل. ويقول الآخر: يا عبد الله، أحسنتَ فأبشر بمغفرة من الله وفضل**»(٢).

وهناك حديث آخر يؤكّد زيارته عليه السلام في ليلة النصف من الشهر، أخرجه السيّد ابن طاووس أيضاً، عن أبي المفضل الشيباني، بإسناده من كتاب علي بن عبد

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، ج٦، ص٢٩٣. الطبري، محمد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى: ص١٢٦.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج١، ص٤٦.

الواحد النهدي في حديث يقول فيه: «**عن الصادق عليه السلام أنّه قيل له: فما ترى لمن حضر قبره ـ يعني الحسين عليه السلام ـ ليلة النصف من شهر رمضان؟ فقال: بخ بخ، مَن صلّى عند قبره ليلة النصف من شهر رمضان عشر ركعات من بعد العشاء من غير صلاة الليل، يقرأ في كلّ ركعة بفاتحة الكتاب و(قل هو الله أحد) عشر مرات، واستجار بالله من النار، كتبه الله عتيقاً من النار، ولم يمت حتّى يرى في منامه ملائكة يبشّرونه بالجنّة، وملائكة يؤمنونه من النار**»[1].

٢ـ ليلة القدر

إنّ أغلب الروايات التي حثّت على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في شهر رمضان أكّدت طلبَها في ليلة القدر، وملاك ذلك غير خافٍ، فقد جاء بيان منزلة هذه الليلة المباركة وعظمتها على لسان القرآن الكريم والعترة الطاهرة، وما يرتبط بها من أُمور تتوقّف عليها حياة الإنسان الدنيوية والأُخروية، وجاء طلب زيارة الإمام عليه السلام في هذه الليلة؛ ليعكس عظمة هذه الزيارة ودورها في تحديد مصير الإنسان الذي ربطته الشريعة بهذه الليلة المباركة.

والروايات التي أشارت إلى طلبها في هذه الليلة اختلفت في تحديدها، فمرّة حدّدتها في ليلة الثالث والعشرين، وهي ليلة الجهني[2]، وأُخرى أبهمتها في ليلة من الليالي العشر الأواخر من الشهر، وثالثة أطلقتها ولم تذكر لها أيّ تحديد.

ونبدأ بالرواية التي حدّدتها بليلة الثالث والعشرين، والتي أخرجها السيّد ابن طاووس بإسناده عن الإمام الجواد عليه السلام، أنّه قال: «**مَن زار الحسين عليه السلام ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، وهي الليلة التي يُرجَى أن تكون ليلة القدر، وفيها يُفرَق كلّ**

---

(١) المصدر السابق: ص٢٩٤.

(٢) الجهني: هو عبد الله بن أنيس الأنصاري، وقد روى الصدوق رحمه الله عن المعصوم عليه السلام قوله: «وحديثه [الجهني] أنّه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ منزلي ناءٍ عن المدينة فمُرني بليلة أدخل فيها. فأمره بليلة ثلاث وعشرين». أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص١٦١.

أمرٍ حكيم، صافحه روح أربعة وعشرين ألف ملك ونبي، كلّهم يستأذن الله في زيارة الحسين عليه السلام في تلك الليلة»[1].

وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام أخرجها السيّد ابن طاووس أيضاً، جاء في مقطع منها: «وليحرص مَن زار الحسين عليه السلام في شهر رمضان ألّا يفوته ليلة الجهني عنده، وهي ليلة ثلاث وعشرين، فإنّها الليلة المرجوّة»[2].

وأمّا الرواية التي أشارت إلى أنّها في العشر الأواخر، فقد نقلها أيضاً السيّد ابن طاووس في كتابه (الإقبال)، قائلاً: «رويناها من كتاب (عمل شهر رمضان) لعلي بن عبد الواحد النهدي، بإسناده إلى أبي المفضل، قال: وكتبته من أصل كتابه، قال: حدّثنا الحسن بن خليل بن فرحان بأحمد آباد، قال: حدّثنا عبد الله بن نهيك، قال: حدّثني العباس بن عامر، عن إسحاق بن زريق، عن زيد بن أبي أُسامة، عن أبي عبد الله جعفر ابن محمد صلى الله عليه وآله في هذه الآية: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾، قال عليه السلام: هي ليلة القدر، يُقضى فيها أمرُ السَّنة من حجٍّ، وعمرةٍ، أو رزقٍ، أو أجلٍ، أو أمرٍ، أو سفرٍ، أو نكاحٍ، أو ولدٍ، إلى سائر ما يلاقي ابن آدم ممّا يُكتَب له أو عليه في بقيّة ذلك الحول من تلك الليلة إلى مثلها من عام قابل، وهي في العشر الأواخر من شهر رمضان، فمن أدركها [أو قال: شهدها] عند قبر الحسين عليه السلام يصلّي عنده ركعتين أو ما تيسّر له، وسأل الله تعالى الجنّة، واستعاذ به من النار، آتاه الله تعالى ما سأل، وأعاذه ممّا استعاذ منه، وكذلك إن سأل الله تعالى أن يؤتيه من خير ما فرق وقضى في تلك الليلة، وأن يقيه من شرّ ما كتب فيها، أو دعا الله وسأله تبارك وتعالى في أمرٍ لا إثم فيه، رجوت أن يُؤتى سؤله، ويوقى محاذيره، ويُشفَّع في عشرة من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا العذاب، والله إلى سائله وعبده بالخير أسرع»[3].

وأمّا الرواية التي أطلقت ليلة القدر ولم تحدّدها في أيّ ليلة، فقد أخرجها ابن

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج١، ص٣٨٣.
(٢) المصدر السابق: ص٣٥٨.
(٣) المصدر السابق: ص٣٨٣.

قولويه بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**إذا كان ليلة القدر، وفيها يُفرَق كلّ أمرٍ حكيم، نادى منادٍ تلك الليلة من بطنان العرش: أنّ الله قد غفر لمن زار قبر الحسين عليه السلام في هذه الليلة**»[1].

وفي مقام الجمع بين الأدلّة فإنّ القاعدة تقتضي حمل المطلق على المقيّد؛ فيتحصّل من ذلك: أنّ ليلة الثالث والعشرين هي المعنيّة بهذه الأحاديث، وأنّها هي التي يُرجَى أن تكون ليلة القدر، كما هو المشهور عند الطائفة أيّدها الله تعالى.

٣ـ العشر الأواخر من الشهر، والاعتكاف فيها

دلّ عليها حديث أخرجه السيّد ابن طاووس بسنده إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال: «**عمرة في شهر رمضان تعدل حجة، واعتكاف ليلةٍ في شهر رمضان يعدل حجّة، واعتكاف ليلةٍ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وعند قبره يعدل حجة وعمرة، ومَن زار الحسين عليه السلام يعتكف عنده العشر الغوابر [الأواخر] من شهر رمضان، فكأنما اعتكف عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، ومَن اعتكف عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، كان ذلك أفضل له من حجة وعمرة بعد حجّة الإسلام**»[2].

٤ـ ليلة العيد ويومه

مع أنّ ليلة العيد ويومه هما جزء من شهر شوال حقيقة، إلّا أنّهما يُعدّان من توابع شهر رمضان؛ وذلك لاعتبارات عدّة، منها:

١ـ إنّ العيد عبارة عن يوم جعله الله تعالى ليجتمع فيه المؤمنون، فيشكرون الله تعالى فيه لتوفيقه إيّاهم على طاعةٍ عظيمة أدّوها، ألَا وهي صوم شهر رمضان، وهذا ما جاء في حديث طويل عن الفضل بن شاذان أنّه قال: «**فإن قال** [قائل]: **فلِمَ جُعِلَ يوم الفطر العيد؟ قيل: لأن يكون للمسلمين مجمعاً يجتمعون فيه، ويبرزون إلى الله عزّ وجلّ**

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٤١. وأُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٩.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج١، ص٣٥٨.

فيحمدونه على ما منّ عليهم، فيكون يوم عيد، ويوم اجتماع، ويوم فطر، ويوم زكاة، ويوم رغبة، ويوم تضرّع؛ ولأنّه أوّل يومٍ من السَّنة يحلّ فيه الأكل والشرب؛ لأنّ أوّل شهور السَّنة عند أهل الحقّ شهر رمضان، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يكون لهم في ذلك اليوم مجمع يحمدونه فيه ويقدّسونه»[1].

وهكذا الحال في غيره من الأعياد، فعيد الأضحى إنّما هو شكرٌ على إتمام عبادة الحجّ، وعيد الغدير شكرٌ على إتمام الدين والبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام؛ وبهذا اللحاظ تكون هذه الأعياد متعلّقة بتلك الأعمال، ومتمّمة لها.

٢ـ إنّ الذي يحصل في عيد الفطر هو توزيع الجوائز على الفائزين في شهر رمضان، فهو يوم الجائزة بلسان الأحاديث، ومنها حديث الإمام الباقر عليه السلام عن جدّه رسول صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «**...إذا طلع هلال شوال نُودي المؤمنون أن اغدوا إلى جوائزكم فهو يوم الجائزة». ثمّ قال الإمام الباقر عليه السلام: «أمّا والذي نفسي بيده، ما هي بجائزة الدنانير ولا الدراهم»**[2].

فإذا كانت الجوائز تتعلّق بشهر رمضان، فإنّ يومها كذلك من توابع هذا الشهر المبارك.

٣ـ في حديث عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، أخرجه الصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا انصرف من عرفات، وسار إلى منى، دخل المسجد فاجتمع إليه الناس يسألونه عن ليلة القدر، فقام خطيباً، فقال بعد الثناء على الله عزّ وجلّ: أمّا بعد، فإنّكم سألتموني عن ليلة القدر، ولم أطوها عنكم لأنّي لم أكن بها عالماً، اعلموا أيّها الناس، أنّه مَن ورد عليه شهر رمضان وهو صحيح سوي، فصام نهاره، وقام ورداً من ليله، وواظب على صلاته، وهجر إلى جمعته، وغدا إلى عيده، فقد أدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الربّ عزّ وجلّ»**[3].

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع ج١، ص٢٦٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٦٨.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٩٨.

فيُفهَم من عبارة النبي صلى الله عليه وآله «**وغدا إلى عيده**»، أي: عيد شهر رمضان، أنّ هذا العيد متعلّق بشهر رمضان وتابعٌ له، ومعلوم أنّ ما يشترك في تحقيق غاية من عمل يُعدّ جزءاً منه ولو اعتباراً وتنزّلاً.

٤ـ ثبت من خلال أحاديث أهل البيت عليهم السلام أنّ صوم شهر رمضان لا يتمّ إلّا بأداء زكاة الفطرة، وواضح أنّ الذي لا يتمّ إلّا به يكون جزءاً منه، وعليه؛ يكون أداء زكاة الفطرة جزءاً من أعمال شهر رمضان، وإن كان وقت أدائها هو صبيحة يوم العيد. ومن تلك الأحاديث ما أخرجه الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ من تمام الصوم إعطاء الزكاة** [يعني الفطرة]**، كما أنّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله من تمام الصلاة؛ لأنّه مَن صام ولم يؤدِّ الزكاة فلا صوم له إذا تركها متعمّداً، ولا صلاة له إذا ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، إنّ الله عزّ وجلّ قد بدأ بها قبل الصلاة، فقال:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾»[1].

فإذا تمّت هذه النقاط عندها يتّضح أنّ أعمال ليلة العيد ويومه تدخل في عداد أعمال شهر رمضان ولو بالاعتبار، وإن كان ظرف وقوعها هو شهر شوال. وعلى هذا الأساس؛ تدخل زيارة الإمام الحسين عليه السلام في ليلة العيد ويومه ضمن الزيارات المخصوصة له عليه السلام في شهر رمضان.

وأمّا استحباب زيارته في ليلة العيد، فقد جاء في حديث أخرجه ابن قولويه في (كامل الزيارات)، بسنده إلى يونس بن ظبيان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**مَن زار الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة عرفة في سنة واحدة، كتب الله له ألف حجّة مبرورة، وألف عمرة متقبّلة، وقُضِيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة**»[2].

وفي حديث آخر أخرجه الشيخ الطوسي بسنده إلى عبد الرحمن بن الحجاج، قال: «**قال أبو عبد الله عليه السلام: مَن زار قبر الحسين عليه السلام ليلة من ثلاث، غفر الله له ما تقدّم من**

---

(١) المصدر السابق: ص١٨٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣١٨.

ذنبه وما تأخّر. قلت: أيّ الليالي جُعِلتُ فداك؟ قال: ليلة الفطر، وليلة الأضحى، وليلة النصف من شعبان»[1].

وفي حديث نقله العلّامة المجلسي عن (مصباح الزائر) للسيّد ابن طاووس، يروي عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «**ثلاث ليالٍ مَن زار الحسين عليه السلام فيهن غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر: ليلة النصف من شعبان، وليلة ثلاث وعشرين من رمضان، وليلة العيد**»[2].

وأمّا استحباب زيارته عليه السلام في يوم العيد، فقد جاء في حديث أخرجه الشيخ الكليني بسنده عن بشير الدهان، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «...**أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه في غير يوم عيد، كتب الله له عشرين حجّة، وعشرين عمرة مبرورات مقبولات، وعشرين حجّة وعمرة مع نبيّ مرسل أو إمام عادل، ومَن أتاه في يوم عيد، كتب الله له مائة حجّة، ومائة عمرة، ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل...**»[3].

ملاحظات حول زيارته عليه السلام في شهر رمضان

١ـ إنّ الزيارة ليلية، ولم يأتِ في حديث أنّ هناك زيارة في النّهار، إلّا ما يُفهَم من إطلاق رواية ابن قولويه المتقدّمة في الوقت المطلق.

٢ـ بحسب الأحاديث التي ذكرناها، فإنّ الأعمال التي تضمّنتها زيارة الإمام عليه السلام في شهر رمضان عديدة، منها: الحضور عند القبر الشريف خاشعاً محتسباً عارفاً بحقّ المَزُوْر، ومنها: ذكر الله تعالى على الدوام بالتكبير والتهليل والتحميد والشكر على التوفيق لزيارة الإمام عليه السلام، ومنها: المسألة من الله تعالى أن يؤتيه خير الدنيا والآخرة، وأن يؤتيه ما فرق وقضى في ليلة القدر، فإنّ الأحاديث بشّرتنا بتحقّقها عند الضريح المبارك للإمام الحسين عليه السلام، ومنها: الصلاة المخصوصة بعددها وكيفيّتها، ومنها:

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص١٠١.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨.

الاعتكاف عند قبره الشريف.

٣ـ لم يثبت عن أحدٍ من المعصومين عليهم السلام لفظاً خاصّاً، ونصّاً محدّداً لزيارة الإمام عليه السلام في شهر رمضان، كما جاء في غيره من المناسبات كزيارة العاشر من المحرّم، أو زيارة الأربعين، وغيرهما. نعم، ذكر ابن المشهدي في (المزار) أنّ هناك زيارة مختصرة للإمام الحسين عليه السلام، رواها عن الإمام الصادق عليه السلام، وقد خصّها بليلة القدر والعيدين، قال: «**زيارة للحسين بن علي عليهما السلام أيضاً مختصرة، يُزار بها في ليلة القدر وفي العيدين. وبالإسناد عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: إذا أردت زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فليأتِ[1] مشهده بعد أن تغتسل وتلبس أطهر ثيابك، فإذا وقفت على قبره فاستقبله بوجهك، واجعل القبلة بين كتفيك، وقل: السلام عليك يابن رسول الله، السلام عليك يابن أمير المؤمنين، السلام عليك يابن الصديقة الطاهرة سيّدة نساء العالمين، السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، وتلوت الكتاب حقّ تلاوته، وجاهدت في الله حقّ جهاده، وصبرت على الأذى في جنبه محتسباً حتّى أتاك اليقين، وأشهد أنّ الذين خالفوك وحاربوك، وأنّ الذين خذلوك، والذين قتلوك، ملعونون على لسان النبيّ الأُمّي، وقد خاب مَن افترى، لعن الله الظالمين لكم من الأوّلين والآخرين، وضاعف عليهم العذاب الأليم...**»[2] إلى آخر الزيارة.

مع أنّ النصّ الذي ذكره لا توجد فيه أيّة إشارة إلى أيّ وقت من الأوقات! فهو من الزيارات المطلقة؛ ويدلّ عليه: أنّه قد نقله في موضع آخر من كتابه، ولكنّه خصّه بوقت آخر، فقال: «**زيارة أُخرى له عليه السلام مختصرة، يُزار بها في كلّ يومٍ وفي كلّ شهر، ويُزار بها عند قائم الغري، فقد جاء في الأثر أنّ رأس الحسين عليه السلام هناك، وأنّ الصادق جعفر بن محمد عليه السلام زاره هناك بهذه الزيارة، وصلّى عنده أربع ركعات. تأتي مشهده (صلّى الله عليه)**

(١) كما في المصدر، ولعلّ المراد (فلتأتِ).

(٢) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤١٤ـ٤١٦.

بعد اغتسالك ولباسك أطهر ثيابك، فإذا وقفت على قبره فاستقبله بوجهك، واجعل القبلة بين كتفيك، وقل: السلام عليك يابن رسول الله، السلام عليك يابن أمير المؤمنين، السلام عليك يابن الصديقة الطاهرة سيّدة نساء العالمين، السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته...»[1]، إلى آخر الزيارة بنفس الألفاظ والكيفية المتقدّمة.

مع ملاحظة أنّ هذه الكيفية لا تناسب زيارة الإمام الحسين عليه السلام من هذا الموضع، فتأمّل! ولهذا نرجّح أن يكون التحديد بليلة القدر إنّما هو رأيٌ لابن المشهدي، وليس نصّاً عن معصوم.

ويؤيّده: أنّ صاحب (مفاتيح الجنان)، قال: «**وأمّا الألفاظ التي يُزار بها الحسين عليه السلام في ليلة القدر، فهي زيارة أوردها الشيخ المفيد ومحمد ابن المشهدي وابن طاووس والشهيد (رحمهم الله) في كُتُب الزيارة، وخصّوها بهذه الليلة وبالعيدين (أي: عيد الفطر وعيد الأضحى). وروى الشيخ محمد ابن المشهدي بأسناده المعتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: إذا أردت زيارته عليه السلام، فأتِ مشهده المقدّس، بعد أن تغتسل وتلبس أطهر ثيابك، فإذا وقفت على قبره، فاستقبله بوجهك، واجعل القبلة بين كتفيك، وقُلْ...**»[2] ثمّ ذكر نصّ الزيارة.

فقد نقل الشيخ عبّاس القمّي هذه الزيارة عن ابن المشهدي، ولم ينسب تخصيصها بليلة القدر إلى أحد المعصومين عليهم السلام، وإنّما نسبه إلى الشيخ المفيد، وابن المشهدي، والسيّد ابن طاووس، والشهيد الأوّل.

ولم أعثر على تلك النسبة للشيخ المفيد. نعم، ذكر هذا النصّ للزيارة في (المقنعة) بدون إسناد، ولم يذكر أنّها خاصّة بليلة القدر. وأمّا الشهيد الأوّل فذكر النصّ بلا إسناد، وخصّه بليلة القدر، ولم يذكر دليله على ذلك، ونرجّح أنّه قلّد ابن المشهدي

---

(١) المصدر السابق: ص٥١٧.

(٢) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٥٠، تعريب: السيّد محمد رضا النوري النجفي.

في ذلك، أو رأياً رآه، ونفس الكلام نرجّحه بحقّ السيّد ابن طاووس، وإن كنّا لم نعثر على كلامه في المقام.

ويؤيّده أيضاً: أنّ صاحب (البحار) يصرّح بعدم وجود زيارة مخصوصة لشهر رمضان، وإنّما يُزار فيه بالزيارات المطلقة، وذكر نموذجاً لذلك الزيارةَ المتقدّمة بنصّها، ونسب ذلك الاختيار للأعلام المتقدّمين، حيث قال: «**أقول: قد مرَّ بيان فضل زيارته (صلوات الله عليه) في أوّل شهر رمضان ووسطه وآخره، فليزره عليه السلام فيها ببعض الزيارات المطلقة؛ لعدم ورود زيارة مخصوصة. وقال المفيد والسيّد والشهيد (رحمهم الله): من الزيارات المخصوصة زيارة ليلة القدر ويومي العيدين، فإذا أردت زيارته عليه السلام في الأوقات المذكورة، فأتِ مشهده المقدّس بعد أن تغتسل وتلبس أطهر ثيابك، فإذا وقفت على قبره فاستقبله بوجهك، واجعل القبلة بين كتفيك، وقُلْ...**»[1]، ثمّ ذكر الزيارة المتقدّمة بعينها.

ونفس الكلام يأتي في النصّ المخصَّص لزيارته عليه السلام في ليلة العيد ويومه، فهو أيضاً تخصيص من بعض علمائنا (رضوان الله عليهم)، ولم يثبت تخصيصه من قبل أحد المعصومين عليهم السلام.

٤ـ ذكرت الأحاديث المتقدّمة أصنافاً من الثواب لمن زار الإمام الحسين عليه السلام قلَّ نظيرها، عكست كرم الخالق عزّ وجلّ، وعظمة المَزْور، ولسنا بصدد ذكرها هنا، فالأحاديث تكفَّلت ذلك بما لا يحتاج إلى بيان وتوضيح، وإنّما أردنا أن نشير إلى قضية أُخرى ذات صلة بالموضوع، وهي: أنّ الثواب الثابت لزيارته عليه السلام في ليالي شهر رمضان له خصوصية لا توجد في غيره من الأوقات الخاصّة الأُخرى، فهناك ثلاثة أنواع من الثواب ستجتمع في زيارة الإمام عليه السلام في هذه الليالي، وهي كالتالي:

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٣٤٩ـ٣٥٠.

النوع الأوّل: الثواب الثابت لها بعنوانها الأوّلي، أي: عنوان الزيارة، وكونها خير موضوع.

النوع الثاني: ثواب الإتيان بها في شهر رمضان، أي: الثواب المترتّب على خصوصية شهر رمضان، وهو عنوان مضاف إلى عنوان الزيارة، فقد ورد في أحاديث عديدة أنّ ثواب التطوّع فيه خصلة من خصال الخير يعادل ثواب الفريضة، كما جاء في الخطبة النبوية المباركة التي أخرجها الكليني بسنده إلى الإمام الباقر عليه السلام، أنّه قال: «**خطب رسول الله صلى الله عليه وآله النّاسَ في آخر جمعة من شعبان، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّه قد أظلكم شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، وهو شهر رمضان، فرض الله صيامه، وجعل قيام ليلةٍ فيه بتطوّع صلاة كتطوّع صلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور، وجعل لمن تطوّع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر مَن أدّى فريضة من فرائض الله عزّ وجلّ، ومَن أدّى فيه فريضة من فرائض الله، كان كمَن أدّى سبعين فريضة من فرائض الله فيما سواه من الشهور...**»[1].

النوع الثالث: الثواب الخاصّ الذي ثبت لبعض الأوقات في شهر رمضان؛ لخصوصية فيها، كالأوقات التي أشرنا إليها قبل قليل، وهو عنوان آخر مضاف إلى عنوان الزيارة وعنوان الشهر. وعليه؛ فمَن جاء بالزيارة في أحد هذه الأوقات فقد فاز بثلاثة أنواع من الثواب.

المبحث الثاني: حكم السفر للزيارة في شهر رمضان

بعد أن بيّنا أنّ الشارع ندبنا إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في شهر رمضان، والزيارة لا تتحقّق غالباً إلّا بالسفر، كما هو معلوم، فيلزم أن يكون هذا السفر أيضاً مندوباً، بمعنى أنّ السفر في شهر رمضان من أجل زيارة الإمام عليه السلام مشروعٌ ومندوبٌ وراجحٌ ومقدّمٌ على الإقامة والصيام، هذا إذا بقينا نحن والأحاديث التي تندبنا إلى زيارة الإمام عليه السلام

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٦٦.

في شـهر رمضان، أمّا إذا علمنا أنّ هناك أحاديث تنهى عن السـفر في شـهر رمضان، عندها يصبح الأمر بحاجة إلى معالجة، وستجد أنّ هناك طائفتين من تلك الروايات:

الطائفة الأُولى: مجموعة من الأخبار تنهى عن السفر مطلقاً في شهر رمضان؛ وتبعاً لها حكم مشهور الفقهاء بكراهته[1]. وعليه؛ يكون السفر من أجل الزيارة مرجوحاً، وأنّ الإقامة والصيام هو الراجح.

إلّا أنّ الأمر ليس كذلك؛ على اعتبار أنّ الأخبار التي وردت في اسـتحباب زيارة الإمام عليه السلام ـ التي أشرنا إلى بعضها قبل قليل ـ تصلح كمقيِّد لهذه الأخبار التي أطلقت النهي عن السـفر في شـهر رمضان، فتخرج بذلك تخصيصاً عن هذا النهي، وتصبح راجحـة؛ لأنّها عبـادة، وتبعاً لها يكون السـفر لأجلها راجحاً وعبادة أيضاً، وسـيأتي الكلام بعد قليل أنّ هناك أخباراً أشارت إلى استثناء بعض الموارد من هذا النهي.

الطائفة الثانية: جاءت لتنهى بشـكل مباشر عن السـفر لزيـارة الإمام عليه السلام، معتبرةً الصوم وعدم السـفر أفضل من السفر لأجل الزيارة، وهذه الطائفة تتألّف من ثلاث روايات فقط:

الرواية الأُولى: روى الشـيخ الطوسي بسـنده عن هارون بن الحسن بن جبلة، عن سـماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قـال: «**قلت له: جُعِلت فداك، يدخل عليَّ شهر رمضان فأصوم بعضه فتحضرني نيّة زيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام، فأزوره وأفطر ذاهباً وجائيـاً، أو أُقيـم حتّـى أفطـر وأزوره بعد ما أفطر بيـوم أو يومين؟ فقـال عليه السلام: أَقِم حتّى تفطر. قلت له: جعلت فداك، أفضل؟ قال عليه السلام: نعم، أمَا تقرأ في كتاب الله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾**»[2].

الروايـة الثانية: روى الشـيخ الطوسي عن محمد بن أحمـد بن داوود، عن محمد بن

(١) قال صاحب الجواهر: «بل في المختلف: أنّ المشهور كراهة السفر إلى أن يمضي ثلاثة وعشرون يوماً منه، فتزول الكراهة». النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج١٧، ص١٥٨.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٤، ص٣١٦.

الحسين بن أحمد، عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدّثني محمد بن الفضل البغدادي، قال: «**كتبتُ إلى أبي الحسن العسكري**عليه السلام: **جُعِلتُ فداك، يدخل شهر رمضان على الرجل، فيقع بقلبه زيارة الحسين**عليه السلام **وزيارة أبيك ببغداد، فيُقيم في منزله حتّى يخرج عنه شهر رمضان ثمّ يزورهم، أو يخرج في شهر رمضان ويفطر؟ فكتب**عليه السلام: **لشهر رمضان من الفضل والأجر ما ليس لغيره من الشهور، فإذا دخل فهو المأثور**»(1).

الرواية الثالثة: هذه الرواية هي من مسائل داوود الصرمي للإمام الهادي عليه السلام، نقلها ابن إدريس الحلّي في (السرائر)، قال: «**ومن مسائل داوود الصرمي... قال: وسألته عن زيارة الحسين**عليه السلام **وزيارة آبائه**عليهم السلام **في شهر رمضان، نسافر ونزورهم؟ فقال: لرمضان من الفضل وعظيم الأجر ما ليس لغيره من الشهور، فإذا دخل فهو المأثور، والصيام فيه أفضل من قضائه...**»(2).

هذه الطائفة من الروايات أيضاً لا تصلح لرفع اليد عن استحباب السفر لزيارة الإمام عليه السلام في شهر رمضان؛ لقصورها سنداً ودلالة.

أمّا قصورها سنداً؛ فلوجود المجاهيل في الرواية الأُولى والثانية(3)، ووجود الإرسال في الرواية الثالثة(4).

وأمّا قصورها الدلالي؛ فعائد إلى معارضتها بالأحاديث الكثيرة والمعتبرة التي ندبت إلى الزيارة في شهر رمضان، وهي أكثر منها عدداً، وأقوى سنداً، وأوضح دلالة، ولاحتمال صدور تلك الروايات المانعة من الزيارة تقيةً، كما ذهب إلى ذلك الشيخ المجلسي، فبعد نقله الحديث الأوّل والثاني، قال: «**هذان الخبران يدلّان على**

(1) المصدر السابق: ج٦، ص١١٠.

(2) ابن إدريس، محمد بن أحمد، مستطرفات السرائر: ص١٢٤.

(3) فالرواية الأُولى فيها: هارون بن الحسن، والثانية فيها: محمد بن الحسين، ومحمد بن الفضل.

(4) إذ لا توجد هناك واسطة بين مَن نقل عنه صاحب السرائر، وهو الراوي للمسائل، وبين السائل (داوود الصرمي).

مرجوحية إفطار الصوم لزيارتهم عليهم السلام، وقد وردت الأخبار في الترغيب على الإفطار لما هو أقلّ فضلاً منها، كتشييع المؤمن واستقباله، وقد ورد الحثّ على زيارة الحسين عليه السلام في ليالي القدر وغيرها من ليالي الشهر، ولا يتأتّى لأكثر الناس بدون الإفطار، ولا يبعد حملها على التقيّة، والله يعلم»(١).

وقال به أيضاً الشيخ يوسف البحراني: «والذي يتلخّص من مجموع هذه الأخبار وضمّ بعضها إلى بعض، هو: جواز السفر على كراهة، إلّا في المواضع المستثناة، إلّا أنّ في عدم استثناء زيارة الحسين عليه السلام كما دلّ عليه خبر أبي بصير وخبر محمد بن الفضل وخبر السرائر إشكالاً؛ إذ لا تقصر عن بعض هذه المستثنيات إن لم تزد عليها. ولا يبعُد حمل الأخبار المذكورة على التقيّة»(٢). وممّا يشهد بضعف هذه الروايات أيضاً هو إهمال الفقهاء لها وعدم عملهم بمفادها.

مضافاً إلى ذلك، فإنّ هناك نقطة أُخرى أشار إليها النصّان المتقدّمان عن الشيخين المجلسي والبحراني، وهي وجود موارد استثنتها الأخبار من النهي عن السفر في شهر رمضان، وجعلت السفر من أجلها أفضل من الإقامة والصيام، وستجد أنّ هذه الموارد المستثناة أقلّ فضلاً ومنزلةً من زيارة الإمام الحسين عليه السلام بمراتب، والأخبار التي تشهد بذلك كثيرة، أشرنا إلى نماذج منها سابقاً، وهذه الموارد المستثناة أشارت إليها العديد من مصادرنا الحديثية، وسنقتصر على بعض ما نقله الشيخ الكليني:

١ـ ما أخرجه بسنده إلى محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام، في الرجل يشيّع أخاه مسيرة يوم أو يومين أو ثلاثة؟ قال عليه السلام: «إن كان في شهر رمضان فليفطر. قلتُ: أيما أفضل يصوم أو يشيّعه؟ قال: يشيّعه، إنّ الله عزّ وجلّ قد وضعه عنه»(٣).

٢ـ ما أخرجه بسنده عن حمّاد بن عثمان، قال: «قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: رجل من

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٧، ص١١٦.
(٢) البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج١٣، ص٤١٢.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص١٣٠.

أصحابي قد جاءني خبره من الأعوص، وذلك في شهر رمضان، أتلقّاه وأفطر؟ قال: نعم. قلتُ: أتلقّاه وأفطر أو أُقيم وأصوم؟ قال: تلقّاه وافطرْ»(1).

٣ـ ما أخرجه بسنده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**قلتُ: الرجل يشيّع أخاه في شهر رمضان اليوم واليومين؟ قال: يفطر ويقضي. قيل له: فذلك أفضل أو يقيم ولا يشيّعه؟ قال: يشيّعه ويفطر، فإنّ ذلك حقّ عليه»**(2).

وواضح أنّ الموارد التي استثنتها هذه الروايات من النهي عن السفر في شهر رمضان، وأشارت إلى أفضليّتها على الصيام فيه، لهي أقلّ فضلاً بمراتب من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فإذا جمعنا هذه الحقيقة مع الأحاديث الكثيرة المعتبرة التي ندبت إلى زيارته عليه السلام في شهر رمضان، عندها يصبح السفر لأجلها أَولى بالاستثناء من السفر لأجل تلك الموارد. وهذا المعنى قال به الكثير من الفقهاء ممّن تعرّض إلى هذه الروايات، وقد تقدّمت نموذج منه في كلام العلمين المجلسي والبحراني.

والمتحصّل: أنّ السفر في شهر رمضان من أجل زيارة الإمام الحسين عليه السلام غير مشمول بالنهي عن السفر فيه الوارد في الروايات، ولا تشمله الكراهة التي قال بها الفقهاء تبعاً لتلك الروايات، بل هو مندوب تبعاً لندبية الزيارة التي ثبتت بالأحاديث الكثيرة المعتبرة؛ ولأنّها أفضل من الموارد التي استثنتها الأخبار من النهي عن السفر في شهر رمضان، وأمّا الروايات التي يظهر منها خلاف ذلك، فقد تكون قد صدرت على نحو التقيّة، مضافاً إلى كونها ضعيفة غير قابلة للاحتجاج بها، ويشهد لهذا إهمال الفقهاء لها، وعدم إفتائهم بمضمونها.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

خُلاصَةُ المَقالاتِ

باللُّغَةِ العَرَبيَّةِ والإنجليزيَّةِ

محاولات الاستغلال لمبدأ الإصلاح في الشعائر الحسينية

قراءةٌ نقدية في كتاب (تراجيديا كربلاء)

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

تناول الباحث في مقاله موضوعاً في غاية الخطورة والأهمّية، وهو المحاولات التي يُراد منها استغلال مبدأ الإصلاح في شعائر الإمام الحسين عليه السلام لغرض إلغائها ومحوها، وقد وقع اختياره على كتاب سبق وأن ناقش بعض موارده في أبحاث سابقة نُشرت في مجلّة الإصلاح الحسيني.

تعرَّض الكاتب في بداية مقاله إلى معنى الإصلاح في اللغة، ومدى توافقه مع الاستعمالات الشرعية لهذه المفردة، وأن هذا المبدأ هو المنهج المعتمد لدى علمائنا الأعلام تبعاً للأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام. ثمّ تناول بعد ذلك علاقة هذه المفردة بالشعائر الحسينية، ومدى إمكانية العمل على أساسها، ليتوصل إلى أنّه قد تمّ تطبيقها من قِبل علماء الدين في الشعائر الحسينية بمختلف أشكالها؛ مستفيداً في ذلك من البيانات الواردة في كتبهم ونتاجاتهم.

وبعد هذه الممهّدات قام الكاتب بقراءة نقدية لكتاب (تراجيديا كربلاء) للدكتور إبراهيم الحيدري، ضمن مباحث ثلاثة ـ بعد أن ذكر الأسباب التي دعته لاختيار هذا الكتاب، مع تسليط الضوء على مجمل ما تضمّنه الفصل السابع منه ـ كان المبحث الأوّل حول بيان إساءة مؤلّف الكتاب للعلماء والرموز الدينية، وتفصيل ذلك ضمن خمس نقاط. كما تضمّن المبحث الثاني رؤيته حول الخطباء والقائمين على المواكب، حيث تمّت مناقشتها ضمن ستّ نقاط رئيسية. وفي المبحث الثالث تطرّق الكاتب إلى بيان نظرة مؤلّف الكتاب حول جمهور المشاركين في العزاء الحسيني، تتلوها

المؤاخذات العلمية التي سُجّلت عليها، مشيراً إلى أنّ المؤلّف لم يراعِ الموازين العلمية، بعد أن كان هدفه الانتقاص من المراسم الحسينية، والنيل ممّن يؤيّدها، أو يعمل على إحيائها والحفاظ عليها.

وفي الخاتمة أشار الكاتب إلى ضرورة تناول بعض المباحث الأُخرى المرتبطة بعنوان هذا المقال وموضوعه، وضرورة تأليف كتاب نقدي مستقل حول ما سطّره المؤلّف في هذا الكتاب، أو ـ على الأقلّ ـ تخصيص بحث آخر يُسلّط الضوء فيه على الموارد التي لم يسع المقام لتناولها في هذا البحث والأبحاث السابقة.

ATTEMPTS OF MISUSING THE PRINCIPLE OF REFORM IN THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM;

A CRITICAL REVIEW OF "TRAGEDY OF KARBALā"

Shaykh Ṣabāḥ ʿAbbās al-Sāʿidī

In this essay, the writer deals with an extremely important and serious topic represented by the attempts aiming at misusing the principle of reform raised in the rituals of commemorating Imam Al-Husay's martyrdom for the purpose of eliminating and eradicating these rituals. The writer thus chooses a book some details of which has already been discussed in previous essays published in the al-Iṣlāḥ al-Ḥusaynī Bulletin.

In the beginning, the writer underscores the lexical meaning of the word iṣlāḥ (reform) and the scope of its legal usages, proving that this principle (of reform) is the very methodology adopted by our master scholars who, in this regard, followed the course of the Prophets, Apostles, and Imams.

He them moves to discuss the relationship between this word (i.e. reform) and the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's reformative rising that ended with his martyrdom to show the scope of working on its basis. He thus concludes that the principle of reform has been fully and completely put into practice by scholars of the religion through the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom, providing as evidence the statements of those scholars that they published in their books and speeches.

After presenting these important preludes, the writer critically discusses the book of "Tragedy of Karbalā'" authored by Dr. Ibrāhīm al-Ḥaydarī, citing the reasons for choosing this very book and highlighting, yet generally, the details of Chapter Seven of the book involved. He thus puts his critiques in three researches.

The first research is about the abuses targeted at the religious scholars and symbols by the author of the book along with emphasizing on the problematics that the writer lists in five detailed points.

The second research includes the author's view about the orators who deliver sermons on the occasion of Imam Al-Ḥusayn's martyrdom

and those in charge of building stations of receiving the pilgrims to Imam Al-Ḥusayn's holy shrine. The writer thus discusses the author's view within six major points.

The third research is focused on the author's negative view of the participants in commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom, followed by scholarly critiques that the writer of the essay registers in four points.

The writer then concludes this important result: The author of the book has not regarded the scientific criteria, since his one and only aim was to find fault with the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom and to deride those who support them and those who work for boosting and maintaining them.

The writer then closes the essay with an epilogue about the necessity of discussing other topics that are firmly related to the title and subject matter of the essay, but what prevents him from discussing these topics is the need for a broader area, which imposes on him to write an independent critical book dealing more elaborately with the topics mentioned in this essay or, at least, writing another essay in which the writer may shed thorough light on the issues that have not been mentioned in sufficient details in this essay or in coming essays because of the limitedness of these essays.

حواريّة:

الخطوط العامّة في الشعائر وحدود الإصلاح

العلّامة السيّد مصطفى حسينيان

أجرت مجلّة الإصلاح الحسيني حوارية مع سماحة العلّامة السيّد مصطفى حسينيان، تناولت مجموعة من الأسئلة، وقد أجاب سماحته عن تلك الأسئلة، فذكر تعريف الشعائر، وشمولية الاستعمال القرآني لمصاديق الشعائر، ومنها: الشعائر الحسينية، وأهمّها الزيارة، حيث ورد تأكيدها في روايات أهل البيت عليهم السلام.

كما بيّن سماحته ضابطتين لا بدّ من اتّباعهما لمن يدّعي إصلاح الشعائر الحسينية، وهما: أن يقرّ من الشعائر ما تدعمه الأدلّة، وأن لا تستتبع الممارسات الشعائرية وهناً بمذهب أهل البيت عليهم السلام.

وقد أجاب سماحته عن سؤال ما إذا كانت الشعائر تدخل في دائرة المباحات بالمعنى الأخصّ، بقوله: إنّ الأمر إذا صار مباحاً خرج من الشعائر؛ لأنّ الشعائر محكومة بالاستحباب.

وأجاب عن مسألة اختلاف العرف في صدق ضابطة (الشين والوهن) على بعض الممارسات الشعائرية من عدمه، بأنّ المسألة نسبية، فمتى ما عُدّت الممارسة شيناً ووهناً في بلد ما وجب أن تُترك في ذلك البلد دون غيره، أمّا إذا كان (الشين والوهن) عامّاً، لا يختصّ ببلد دون بلد، فحينئذٍ يجب إصلاح مثل هذه الممارسات.

وفيما يرتبط بنشأة الحركة الإصلاحية أكّد سماحته أنّ الإصلاح في الشعائر الحسينية بحثٌ مستحدث، ليس له جذور قديمة.

وأجاب سماحته عن سؤال حول موقف الجمهور تجاه دعوات الإصلاح، بأنّ

الجماهير في زماننا لم تستجب لتلك الدعوات، وبيّن جملة من الأسباب في ذلك، كما أكّد ضرورة أن يرجع المكلّف إلى مقلّده لتحديد وظيفته من تلك الدعوات.

وبخصوص موقف العلماء من دعوات الإصلاح، فقد أكّد سماحته أنّ العلماء لم يستجيبوا لتلك الدعوات؛ لما تحمله من توجّهات سياسية، وليس الهدف منها الدفاع عن المذهب، كما أكّد سماحته ضرورة إصلاح نقاط الضعف ـ على فرض وجودها ـ في الشعائر، وأنّ ذلك يُعدّ تقوية للشعائر.

ولكي ترتقي دعوات الإصلاح إلى مستوى التأثير، وتأخذ مساحة علمية واسعة؛ دعا سماحته إلى أن تكون مباني تلك الدعوات وأدلّتها علمية.

وبما أنّ بعض دعاة الإصلاح يشخّص الخطأ من وجهة نظره، فيستتبع موقفه الإصلاحي مفسدة أُخرى لم يلتفت إليها، أكّد سماحته على ضرورة الرجوع إلى المرجعية والفضلاء وأساتذة الحوزة العلمية؛ لاستشارتهم في مثل تلك المواقف.

وفيما يرتبط بسكوت المراجع عن بعض الممارسات الشعائرية، وإمكان استشفاف رأيهم بها سلباً أو إيجاباً، قال سماحته: إنّ سكوت المرجع أو الحاكم الشرعي لا يكشف عن رضاه وقبوله، أو رفضه واستنكاره، بل لا بدّ من السؤال.

واستنكر سماحته رؤية مفادها: أنّ كلّ ما يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام هو خارج دائرة النقد والتقييم والإصلاح، واعتبرها رؤية لا قيمة لها من الناحية العلمية.

وفي الختام، حثّ سماحته على بذل الجهود في هذا المجال، وأوضح أنّ كلّ ما يُقدّم في طريق النهضة الحسينية هو شيء قليل بالنسبة لما قدّمه الإمام الحسين عليه السلام.

AN INTERVIEW ABOUT GENERAL SKETCHES OF THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM AND THE LIMITS OF REFORM

Sayyid Muṣṭafā Ḥusayniyyān

The al-Iṣlāḥ al-Ḥusaynī Bulletin team interviewed His Eminence the well-versed scholar Sayyid Muṣṭafā Ḥusayniyyān through posing a number of questions to which His Eminence gave adequate answers. He thus referred to a definition of the word shaʿā'ir (rituals), confirming that the Qur'ānic usage of this word includes all sorts of rituals amongst which is the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom and highlighting the fact that visiting the shrine of Imam Al-Ḥusayn is one of the most important aspects of these rituals, since many narrations that were reported from the Holy Imams of the Ahl al-Bayt emphasized on this ritual.

His Eminence Sayyid Ḥusayniyyān stressed that what is meant by remodeling the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom–which is a modern call that has been advocated here and there–is to insert in the religion what is not part of it; therefore, those who claim remodeling the rituals must depend on two major and essentials steps; the first of which is to confess of the rituals that have been proven through clear-cut evidence, and the second is to avoid practicing any ritual that leads to deforming the Ahl al-Bayt Sect.

When he was asked whether or not the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom can be inserted in the circle of the lawful actions in the most restricted meaning of this term, he answered, "When an action is proven to be legal, it is no longer one of the rituals, because rituals are subjected to recommendation in the sense that they are not religious duties; rather, they are only recommended acts."

About the question of the interference of folkloric traditions in considering some rituals as ruinous and shameful, His Eminence answered that the question is relative, in the sense that when a certain ritual is considered ruinous and shameful in a certain country, it must be shunned in that country but not in other countries where the same ritual is not seen as ruinous or shameful, but when a certain ritual is considered so in all countries, then it is obligatory to stop doing it or at least to reform it.

Concerning the origin of the reformative movement, His Eminence stated that the so-called remodeling the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom is something innovative and it does not have any ancient roots.

About the masses' attitude to the advocacies of remodeling the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom, Sayyid Ḥusayniyyān stressed that the masses in the present day have not responded to such advocacies for many reasons. He also stated that the duty-bound persons should refer to the scholars from whom they receive their religious laws in order to define and decide their duties towards such advocacies.

With regard to the scholars' attitude to these advocacies, His Eminence stated that the master scholars have not responded or reacted to these advocacies, because they hold political colors and they are not aimed at defending the Ahl al-Bayt Sect. It is therefore necessary to treat the points of weakness, if there is any, in these rituals, since such an act is considered to be boosting of the rituals.

In order for the calls for reform in the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom to be effective and to occupy a vast scientific area, His Eminence called for basing these calls on scientific principles and proofs.

Because some advocates of remodeling these rituals diagnose mistakes from their persona viewpoints only bringing about new disadvantages to which they did not pay attention because of their attitudes, His Eminence Sayyid Ḥusayniyyān emphasized on the necessity of referring to the supreme religious authorities and the master and virtuous scholars of the Religious Seminary in order to seek their advices in such situations.

Concerning the issue of some referential authorities' expressing no opinion about certain rituals, which made it impossible to recognize whether they are with or against these rituals, His Eminence expressed that these attitudes adopted by some referential authorities and religious rulers do not reveal their approval or disapproval; therefore, it is necessary to ask them directly about their opinions in the issue.

His Eminence denied the idea that whatever is related to Imam Al-Ḥusayn is above and beyond criticism, appraisal, judgment, and reform. He thus considered such an idea to be scientifically worthless.

In the end, His Eminence Sayyid Ḥusayniyyān expressed his appreciation of the efforts exerted by the al-Iṣlāḥ al-Ḥusaynī Bulletin team and wished them good luck, confirming that whatever is made in the cause of Imam Al-Ḥusayn's rising is still worthless if compared to what was made and provided by Imam Al-Ḥusayn.

نـدوة:

الجزع على الإمام الحسين عليه السلام بين الاستدلال الفقهي والتنظير الفكري

العلّامة السيّد حسين الحكيم

تطرّق سماحته إلى موضوع مهمّ يرتبط بالشعائر الحسينية، وهو: الجزع على الإمام الحسين عليه السلام. في بداية بحثه تناول أهمّ الجوانب المشتركة والفارقة بين التنظير الفكري والاستدلال الفقهي، ثمّ تعرّض إلى أهمّية وضرورة توفّر المنهج في كلا الحقلين، ولولاه لما أمكن تسمية الفقه فقهاً والفكر فكراً.

وبعد المقدّمة قسّم البحث إلى عدّة نقاط، بدأ بالنقطة الأُولى في تعريف الجزع لغةً، حيث خلص إلى كون الجزع هو إظهار الحزن أو الغضب على المحن أو المكاره، في مقابل مسك النفس عن إظهار هذه المشاعر، كما أكّد أنّ الحالات الاعتيادية للبكاء ـ بحسب أهل اللغة ـ هي من الجزع، وهذا ما تدلّ عليه بعض الأحاديث أيضاً، بخلاف مَن جعل الجزع أمراً آخر زائداً على البكاء بمراتب كثيرة.

ثمّ تحدّث سماحته في النقطة الثانية عن حكم الجزع بحدّ ذاته، معتقداً بكراهيّته وعدم ثبوت حرمته، ومستعرضاً جملة من النصوص الشرعية الدالة على ذلك. ثمّ تطرّق إلى التحكيم الفكري من أنّ الجزع ينافي اتّزان الإنسان ووقاره وهيبته، فالعقل العملي يجد حُسن الصبر وقبح الجزع، لكن لا إلى حدٍّ يبالغ في تقبيحه بحيث يراه كأنّه ارتكاب لأمرٍ شنيع، هذا إذا كان الجزع على الأُمور الشخصية الذاتية، أمّا الجزع الذي يُنبئ عن تفاعل إنساني مع الأبرياء الذين يتعرّضون إلى محن مثلاً، فيُعدّ قيمة اجتماعية تُنبئ عن نُبل صاحبها، وهذا الفعل ممدوح بالنظرة العقلانية.

ثمّ تناول في النقطة الثالثة استحباب الجزع على الإمام الحسين عليه السلام، وقسّم ذلك إلى قسمين:

القسم الأول: الخلفيات الفقهية لاستحباب الجزع على الإمام الحسين عليه السلام، حيث ذكر ستّ طوائف من الأخبار الدالة على استحبابه.

القسم الثاني: الخلفيات الفكرية للجزع على الإمام الحسين عليه السلام، حيث ذكر جملة من المقاربات الفكرية التي تدلّ على الحُسن العقلي للجزع على الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك باعتباره قيمة إنسانية تنمّ عن مدى التأثّر الحاصل من المصاب الأليم الذي حلّ بالحسين عليه السلام وأهل بيته الأبرار.

A SEMINAR: GRIEF FOR IMAM AL-ḤUSAYN; BETWEEN JURISPRUDENTIAL EVIDENCING AND IDEATIONAL THEORIZATION

Sayyid Ḥusayn al-Ḥakīm

The writer of the essay touches on an important aspect that is firmly related to the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom; namely, the aspect of expressing deep grief for Imam Al-Ḥusayn.

In the beginning, the writer deals with the most important shared aspect between the ideational theorization and the jurisprudential evidencing, as well as the differences between these two matters. He thus focuses on the necessity and significance of the presence of a methodology in both the ideational theorization and the jurisprudential evidencing, since without such methodology jurisprudence cannot be a science of law and ideational theorization cannot be ideational at all.

After the introduction, the writer divides the essay into a number of points. In the first point, he gives lexical definition of the word jazaʿ (deep grief), concluding that this word means showing and expressing practically sorrow or wrath for ordeals and misfortunes, which is the opposite of suppressing one's wrath and keeping it inside oneself without showing any sign of it. The writer stresses that the ordinary weeping is part of jazaʿ as is confirmed by Arabic lexicographers-a fact that is also indicated by some narrations that are reported from the Holy Imams. In fact, this issue is unlike the claim of some people who introduced jazaʿ as an expression of grief that is many ranks above ordinary weeping.

In the second point, the writer mentions the Islamic law concerning deep grief in itself and independently. He thus believes that deep grief in itself is discommended but it has not been proven to be forbidden or illegal. In order to prove this point, the writer cites a number of religious texts that indicate this fact openly.

Alluding to the reason-based judgment that deep grief is in violation of man's equilibrium, gravity and solemnity, the writer confirms that good reason calls for patience and placidity and deems the opposite

disapproved. Yet, good reason does not go too far in considering deep grief to be so hideous that one who expresses his dee grief for something or someone is considered by good reason to have committed a repugnant act. This is applicable when deep grief is expressed over personal issues. However, deep grief that reflects a humanitarian sympathy with innocent people whom are oppressed and exposed to ordeals and misfortunes is in fact a social value that reflects nobility. In this case, such a sort of deep grief is praiseworthy in the view of good reason.

In the third point, the writer deals with the advisable act of expressing deep grief for Imam Al-Ḥusayn‘s tragedy, diving this subject into two part. In the first part, the writer displays the Muslim jurisprudential settings of the advisability of showing deep grief for Imam Al-Ḥusayn. In this connection, the writer cites six categories of narrations, all of which indicate such advisability.

In the second part, the writer the writer touches on the ideational backgrounds of expressing deep grief for Imam Al-Ḥusayn, thus citing a set of ideational resemblances that indicate that good reason deems acceptable to show such deep grief, for it is a humanitarian value that broaches the scope of sensational reaction resulting from the appalling tragedy that befell Imam Al-Ḥusayn and his righteous family members.

إصلاح الشعائر الحسينية في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام

د. الشيخ حيدر خمّاس الساعدي

يتناول المقال مجموعة من روايات أهل البيت عليهم السلام، تصبّ في بيان الطريقة الصحيحة التي تنسجم مع الأهداف المتوخّاة من الشعائر الحسينية.

بدايةً شرع الكاتب في بيان معنى الإصلاح لغةً واصطلاحاً، ثمّ بيّن المراد بإصلاح الشعائر الحسينية، الذي هو: بيان الأُسلوب الصحيح أو الأمثل لأداء مراسم عاشوراء. ثمّ ذكر أنّ الإصلاح تارة يكون لتصحيح الفهم الخاطئ للشعائر، وأُخرى للتطبيق الخاطئ لها على أرض الواقع.

بعد ذلك استعرض الأدوار التي مرّت بها الممارسات الشعائرية، وجعلها في أربع مراحل، وهي: الإعداد المشترك للشعائر الحسينية، تبيين أرضية العزاء والتنظير لها، ترسيخ مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وربطها بالعقيدة الحقّة، تشييد أركان الشعائر وتوسعتها.

كما تطرّق إلى بيان أهداف الشعائر في ضوء الروايات، ولخّصها في أربعة أهداف، وهي: التواصل المستمر مع الحقّ ونصرته، إحياء معالم الدين، الرقيّ بالثقافة ووعي الأُمور، والتذكير المستمرّ بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام.

ثمّ ذكر الخطوط العامّة التي يجب ممارسة الشعائر الحسينية في ضوئها، كالحفاظ على الخطّ الإلهي، والخُلق الإسلامي، وإظهار المظلومية، وغيرها.

وفي الختام، أورد نماذج من الإصلاحات في روايات أهل البيت عليهم السلام، وهي: بيان خطأ فصل الشعائر عن أهدافها، بيان الوجه الأفضل لأداء الشعائر، توظيف الطاقات والاستفادة منها في العزاء الحسيني، واستمرار ذكر الإمام الحسين عليه السلام.

REFORMING THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM IN THE LIGHT OF THE NARRATIONS OF THE AHL AL-BAYT

Dr. Shaykh Ḥaydar Khammās al-Sāʿidī

The essay exhibits and deals with a set of narrations that are reported from the Holy Imams of the Ahl al-Bayt pertaining to an explanation of the most correct way of carrying out the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom in order to be compatible with the goals expected from carrying out these rituals.

In the beginning, the writer of the essay clarifies the lexical and terminological meanings of the word iṣlāḥ (reform) and then moves to explaining the meaning of this word when used to describe the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom. Thus, he concludes that reforming these rituals means an elucidation of the most correct or most ideal method of carrying out the rituals on the ʿĀshūrā' Day_the tenth of the month of Muḥarram that is celebrated as the day of Imam Al-Ḥusayn's martyrdom_confirming that such reform sometimes comes to mean correcting the mistaken idea about these rituals and at other times comes to mean correcting the mistaken application of these rituals to the reality.

The writer then reviews the stages by which the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom has passed, dividing them into four stages; nam001999 stage of shared preparations for the rituals, [2] the stage of brining into light the background of expression consolations for Imam Al-Ḥusayn's martyrdom and then speculating for the way of celebrating these consolation rituals, [3] the stage of consolidating the tragedies that befell Imam Al-Ḥusayn and creating a connection between the true faith of Islam and these tragedies, and [4] building firmly and broadening the pillars of these rituals.

Presenting the goals of performing these rituals as is mentioned in the instructional narrations of the Ahl al-Bayt, the writer summarizes these goals into four points; namely, [1] continuous connection with and support of the truth, [2] reviving the signs of the religion, [3] promoting education and true understanding of affairs and events, and [4] reminding permanently of the oppression that was practiced against

Imam Al-Ḥusayn.

About the general outlines in the light of which the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom must be practice, the writer mentioned the maintenance of the Divinely-ordained line, the Islamic morality, and the declaration of Imam Al-Ḥusayn's having been oppressed, as well as other outlines.

At the end, the writer cites some models of reform means mentioned in the narrations reported from the Holy Imams of the Ahl al-Bayt. These narrations includes such means like the inaccuracy of separating the rituals from their goals, the best method of carrying out these rituals, employing all capacities for using them in the ceremonies of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom, and keeping on mentioning and reminding of Imam Al-Ḥusayn persistently.

الإفراط والتفريط في التعامل مع الشعائر الحسينية

زهراء السالم

يستعرض المقال مسألة الإفراط والتفريط في بعض الممارسات الشعائرية، وخطرها الكبير على رسالة الشعائر وقدسيّتها، ثمّ بيان الحالة الوسطية التي ينبغي أن تُراعى في تلك الممارسات.

شرعت الكاتبة بتعريف الإفراط والتفريط، وذكرت النصوص الدينية في ذمّهما، والأسباب في منشأهما، وهي: الجهل والغفلة، واتّباع الشيطان، واتّباع الهوى.

ثمّ تطرّقت لتعريف الاعتدال والوسطية، واستعمالاتهما في الآيات القرآنية، وذكرت أنّهما تجسّدا في سيرة الرسول الأكرمﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وعلى العكس من ذلك سيرة أعدائهم التي جسّدت مفهومي الإفراط والتفريط.

ثمّ انتقلت إلى تعريف الشعائر، وخصائص الشعائر الدينية، وبيّنت أنّ الشعائر الحسينية من أوضح أفرادها، كما تطرّقت إلى تاريخ الشعائر الحسينية، وذكرت أنّها تعود إلى يوم استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. ثمّ استعرضت بعض مصاديق الشعائر الحسينية، وهي: الشعر الحسيني، ولبس السواد، واللطم، وذكرت أيضاً بعض آثارها.

بعد ذلك تمحور حديثها حول النتائج السلبية المترتبة على الإفراط والتفريط في الشعائر، وكانت عبارة عن:

١ـ تأصيل الشعائر وتغييب الأهداف.

٢ـ فقدان المنهجية في الشعائر.

٣ـ هلامية بعض الممارسات الشعائرية.

٤ـ محورية الشعائر وتهميش الدين.

٥ـ الوقوع في الحرمة.

وفي الختام ذكرت ثلاثة طرق لتهذيب الشعائر الحسينية، وهي:

١ـ تنقيح نصوص السيرة الحسينية.

٢ـ تطوير أساليب إحياء الشعائر.

٣ـ التبليغ الناجح للشعائر.

OVERSTATEMENT AND UNDERSTATEMENT IN DEALING WITH THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM

Zahrā' al-Sālim

The writer of the essay reviews the question of overstatement and understatement practiced in some rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom, since these two issues leaves a serious risk on the message and sacredness of these rituals. As a solution, the writer provides the average state that must be taken into consideration upon practicing these rituals.

The writer starts with defining the words overstatement and understatement, citing the religious texts that dispraised and warned against them as well as the reasons that led to their rise. Some of these reasons are ignorance, inattentiveness, following Satan, and patterning after personal whims.

The writer then defines moderation and restraint and their usages in the Holy Qur'ān, proving that the best representation of moderation and restraint can be seen in the conduct of the Holy Prophet and Imams, unlike the conduct of their enemies that represented the negative conceptions of overstatement and understatement.

Moving to defining shaʿā'ir (rituals) and the peculiarities of the religious rituals, the writer shows that the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom are one of the most obvious features of the religious rituals. About the history of performing the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom, the writer proves that these rituals are traced back to the first day of the martyrdom of Imam Al-Ḥusayn. She then reviews some examples of these rituals; namely, elegies of commemorating the Imam's martyrdom, wearing in black as a sign of grief, and slapping the chests. The writer also alludes to some outcomes of holding these rituals.

After that, the essay is focused on the bad consequences of overstatement and understatement in the holding of the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom. These consequences are as follows:

1. Encompassing the rituals and disorientating the goals.

2. Wasting the methodology in the doing of the rituals.

3. Opacity of some rituals.

4. Concentration on the rituals at the cost of marginalizing the religion.

5. Falling in forbidden acts.

At the end, the writer mentions three ways for regulating the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom. These three ways are as follows:

1. Revising the texts that narrated the details and events of Imam Al-Ḥusayn's rising.

2. Developing the methods of reviving the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom.

3. Adopting successful courses of promulgating for the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom.

قراءةٌ في شهادة البطل عابس الشاكري ودعوى الجنون الموهوم

شاكر الغزّي

يتناول المقال شخصية الشهيد عابس، وقصّة شهادته، وتحليل بعض مفرداتها، وبيان جملة من الدروس المستوحاة منها.

شرع الكاتب بترجمته، وذكر أنّه عابس بن أبي شبيب في بعض المصادر، وابن شبيب في مصادر أُخرى، ورجّح كونه ابن أبي شبيب، ثمّ أورد بعض كلمات المدح في حقّه.

كما ذكر قصّة شهادته، والاختلاف في بعض تفاصيلها، واستغرب من عدم ذكرها في كتابي: (اللّهوف على قتلى الطفوف)، و(إعلام الورى).

بعد ذلك بيّن الاختلاف في عبارة: (أسد الأُسُود)، أو (الأسد الأسْود)، وبيّن أنّ العبارة الأُولى وردت في أغلب المصادر والمقاتل، وأنّها من التشبيه المجازي الشائع في لغة العرب، أمّا الثانية فقد وردت نتيجة التصحيف، وأنّ الوصف بها لم يثبت في لغة العرب.

ثمّ استبعد أن يكون عابس أسود البشرة، كما أنكر أن يكون قد مزّق ثيابه، وتعرّى في ساحة المعركة، وأوضح أنّ الثابت هو إلقاء الدرع والمغفر فقط؛ وذلك لاستدراج العدو إلى القتال.

ثمّ بيّن أنّ عبارة: (حبّ الحسين أجنّني)، لم ترد في المصادر التاريخية والمقاتل المعتبرة، كما رفض أن تكون مسألة الجنون في محبّة الحسين عليه السلام من الشعائر، واعتبر أن نسبة ذلك إلى عابس فيها إساءة واضحة.

وفي الختام، استعرض بعض المفاهيم المستوحاة من قصّة عابس، منها: الوعي والإخلاص في محبّة الحسين عليه السلام، والاستبسال في الدفاع عن العقيدة الحقّة، واعتبار أنّ الشهادة نتيجة للدفاع المشروع وليست هي الغاية.

A PERUSAL OF THE MARTYRDOM OF THE HERO ʿĀBIS AL-SHāKIRī AND THE CLAIM OF THE DELUSIONAL MADNESS

Shākir al-Ghizzī

The essay deals with the personality of the martyr ʿĀbis al-Shākirī and the story of his martyrdom in addition to an analysis of some details of the story and an explanation of the lessons to be learnt and derived therefrom.

The writer of the essay, in the beginning, mentions the biography of the martyr, citing that some sources cited his name as ʿĀbis ibn Abī-Shabīb while others mentioned him as ʿĀbis ibn Shabīb. Thus, the writer prefers the sources that mentioned his name as ʿĀbis ibn Abī-Shabīb. He then quotes some words in praise of him.

Referring to the differences in some details of the story of ʿĀbis's martyrdom, the writer wonders why these details cannot be seen in the two famous books: al-Lahūf fī Qatlā al-Ṭufūf (by Sayyid Ibn Ṭāwūs) and Iʿlām al-Warā bi-Aʿlām al-Hudā (by Shaykh al-Ṭabarsī).

The writer then moves to discuss the two descriptions that were mentioned about ʿĀbis; one of which is asad al-usūd (meaning: the lion of all lions) and the other is al-asad al-aswad (meaning: the black lion). He thus proves that the earlier description has been mentioned in the majority of reference books of history and books of the details of Imam Al-Ḥusayn's martyrdom, since it is very common in Arabic to describe heroes as lions, while the latter is no more than a clerical error that was committed by the transcribers, since it has never happened in Arabic to use such a description for describing a hero.

The writer also deems quite improbable that ʿĀbis was black-skinned and denies that ʿĀbis tore his clothes and advanced to the battlefield naked; rather, what is proven in reference books of history that he only threw away his armor and hamlet in order to bring the enemy to the battlefield for combatting him.

Moreover, the writer stresses that the famous statement of ʿĀbis; namely, "My love for al-Ḥusayn has turned me mad," has not been mentioned in any of the reference books of history and other reference books of the story of Imam Al-Ḥusayn's martyrdom. The writer thus denies considering the issue of being mad in love for Imam Al-Ḥusayn

to be one of the rituals of commemorating his martyrdom; therefore, ascribing this word or behavior to ʿĀbis involves an obvious insult to him.

Finally, the writer reviews some conceptions that are derived from the story of ʿĀbis's martyrdom, such as full awareness with and sincerity to Imam Al-Ḥusayn, bravery in defending the true faith, and martyrdom being the result of legal defense but not a goal.

دور الزيارة الأربعينية في الإصلاح

الشيخ محمد رضا الساعدي

تناول المقال دور زيارة الأربعين المليونية في عملية الإصلاح الفردي والاجتماعي، وذلك في اثني عشر محوراً، استعرض الكاتب فيها أهمّية الزيارة مشياً، والروايات في ذلك، ودور المشي في البناء المعنوي لشخصية المؤمن.

ثمّ تطرّق إلى الممارسات الاقتصادية المنضبطة في الزيارة، التي تنعكس على حياة الفرد والمجتمع.

كما بيّن أهمّية الزيارة في الإصلاح التعبوي والاجتماعي، وما يعكسه ذلك التجمّع المليوني من مظاهر قوّة ووحدة وتماسك لدى الجمهور الحسيني، وكذلك دور الزيارة في الإصلاح الفكري والعلمي، باعتبارها فرصة لتبليغ وترويج التعاليم الدينية، وكذلك دورها في الإصلاح الأمني، وأنّها تؤسّس لنظام أمني مركّز.

بعد ذلك استعرض المعطيات الأخلاقية لزيارة الأربعين، كالصبر، والتواضع، والإيثار، وغيرها، وذكر جملة من الروايات في ذلك، ثمّ بيّن أهمّية الزيارة في بناء الشاب المضحّي والمقاوم، وأنّ الزيارة هي الرافد الأساسي لبناء جيش الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

كما تطرّق إلى المنجزات الإعلامية التي تتحقّق في زيارة الأربعين، ومنها: منجزات عددية، ونوعية، ودولية، وحضارية، وتعارفية، وغيرها.

ثم عرض صوراً عن التكافل والإيثار المتجسّدَين في زيارة الأربعين، كالإيثار بالطعام، والفراش، والمبيت، وغيرها.

ثمّ ذكر دور زيارة الأربعين في البناء السياسي، وأنّها خير وسيلة لخلق إرادة سياسية للتغيير والخروج على الظالمين.

وفي المحور الأخير بيّن دور المسيرة الأربعينية في توطين النفس والجسد على تحمّل المشاقّ والمتاعب؛ من أجل الثبات على المبدأ الذي رسمه أهل البيت عليهم السلام.

THE ROLE OF THE ARBAʿĪN MASS PILGRIMAGE IN REFORMATION

Shaykh Muḥammad Reza Al-Sāʿidī

The essay thrashes out the role of the Arbaʿīn mass pilgrimage to Imam Al-Husayn's holy shrine (ziyārat al-arbaʿīn) in the process of individual and societal reform. The writer thus lists twelve points in this regard, reviewing the significance of going on this pilgrimage on foot, the narrations that encouraged this kind of pilgrimage, and the role of walking in the spiritual building of the faithful believers' personalities.

Touching on the regulated economical practices that escort the season of the Arbaʿīn mass pilgrimage, the writer proves that these activities leave positive impacts on the lives of individuals and the society as a whole. He then reveals the importance of this mass pilgrimage in the process of mobilizational and social reform, since this million congregational reflects aspects of power, unity, and solidarity of the people who embrace the principles of Imam Al-Ḥusayn and claim affiliation with him. The writer does not neglect the role of this mass pilgrimage in intellectual and scientific reform, since the pilgrimage is seen as a golden opportunity to publicize and disseminate the religious teachings. Then the writer sheds light on the role of this mass pilgrimage in reforming the security affairs, confirming that it lays the foundations of a highly concentrated security system.

The writer them moves to reviewing the ethical results of the Arbaʿīn mass pilgrimage, such as patience, modesty, altruism and many other high moral standards about which many narrations have been reported from the Holy Imams. Highlighting the significant role of the Arbaʿīn mass pilgrimage in building the personalities of self-sacrificial and diehard youths, the writer verifies that this pilgrimage is the major source of building the army of the awaited Imam Al-Mahdī.

Thereafter, the writer reviews the informational achievements of the Arbaʿīn mass pilgrimage, some of which are numerical, others are qualitative, international, cultural, associative, and so on. Likewise, the writer reviews the various forms of mutually supportive relationship and altruism embodied by the Arbaʿīn mass pilgrimage, such as providing one's own food, bed, and dwelling to the pilgrims.

About the role of this mass pilgrimage in political building, the writer proves that this pilgrimage is the best means for creating a willpower of political change and revolution against the tyrannical rulers.

Finally, the writer hits upon the role of the Arbaʿīn mass pilgrimage in habituating souls and bodies to tolerating all hardships and troubles for the sake of keeping steadfast on the principles sketched by the Holy Imams of the Ahl al-Bayt.

دور الشعائر الحسينية في تحفيز الذكاء العاطفي

صدّيقة محمد أصغر الموسوي

بدأت الكاتبة مقالها بمقدمة تناولت فيها مساحة تأثير العواطف الحسينية في الوجدان الشيعي، حيث كانت ـ ولا تزال ـ تجاوباً امتزج فيه التأثر العاطفي بالواقع الأليم، مع النهل العقدي والأخلاقي والسلوكي من دروس النهضة الحسينية، مشيرة إلى أنّ الشعائر الحسينية تعدّ رمزاً للتعبير عن الانتماء إلى كربلاء.

ثمّ تطرّقت إلى مفاهيم تمهيدية، كمفهوم الشعائر الحسينية، ومفهوم العقل، والعاطفة.

ثمّ انتقلت لتتحدّث عن الذكاء العاطفي بصفته مصطلحاً حديثاً يمثّل القدرة على إدراك المشاعر، وصولاً إلى العواطف وتوليدها من أجل تعزيز الفكر وتنظيم آثار العواطف وانعكاساتها.

وفيما يرتبط بمكانة العواطف في الإسلام والغرب ذكرت الكاتبة أنّ الإسلام دعا إلى تنمية العواطف، وصبغها بصبغة إلهية؛ لأنه النظام الذي يربط بين كلّ ألوان النشاط البشري، ويوحّد بينها في الاتجاه.

ثمّ تطرقت إلى الذكاء العاطفي في الإسلام، مشيرة إلى أنّ المباحث القرآنية في تطوير النفس الإنسانية تكفّلت التوازن العاطفي، رافضة إشكالية الفصل بين العقل والقلب.

ثمّ عمدت إلى تحديد نوع العلاقة بين العقل والعاطفة في الشعائر الحسينية، متطرّقة إلى التحفيز العاطفي في واقعة الطف، وتأثيره في السير على فكر أهل البيت عليهم السلام وطريقهم، وتوجيه العواطف نحو الأهداف التي قام الحسين عليه السلام لأجلها.

ثمّ انتقلت إلى كيفية تحفيز الشعائر الحسينية للذكاء العاطفي من خلال: البكاء، والرثـاء، والعزاء، والمنبر الحسـيني، واللطـم، متناولة كلّ واحدة مـن هذه المفردات ببحث علمي مفصّل، ومعزَّز بالأدلّة والشواهد القرآنية والحديثية.

وختمت الكاتبة مقالها بنتيجة تناولت الربط بين ما شجّع عليه أهل البيت عليهم السلام من إحيـاء عاطفي، وما وضعه القـرآن من شروط لذلك، مؤكّدة أنّ الإمام الحسـين عليه السلام وفّر للأُمّة حاجتها العاطفية، كما وفّر لها حاجتها العقلية.

THE ROLE OF THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM IN STIMULATING THE EMOTIONAL INTELLIGENCE

Ṣiddīqah Muḥammad Aṣghar al-Mūsawī

The writer of the essay starts it with an introduction about the area of the impacts of the emotions towards Imam Al-Ḥusayn on the consciences of the Shīʿah masses, since these emotions were, and are still, tantamount to mutual response in which a mixture of emotional sensitivity to the sorrowful reality with the creedal, moral, and behavioral lessons that are learnt from Imam Al-Ḥusayn's reformative rising. Thus, the writer stresses that the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's tragic martyrdom stands for a symbol of affiliation to Karbalā', the field where Imam Al-Ḥusayn was martyred.

The writer then touches on preliminary concepts like the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom, sanity and intelligence, and emotion.

She then moves to discussing the emotional intelligence (or emotional quotient) in its capacity as a modern term that represents the ability to realizing the feelings and then reaching at generating emotions for the purpose of strengthening the power of thinking and organizing the effects and reflections of emotions.

In comparison between Islam and the West with regard to the position occupied by emotions, the writer states that Islam has called for developing the emotions and giving them a Divine color, because this is the system that links the different colors of humanity and unite all human beings around one course.

About the emotional intelligence in Islam, the writer confirms that the Qur'ānic texts that worked on and called for enhancing the human soul paid much attention to the emotional equilibrium and denied the segregation between the mind and the heart.

The writer then concentrates on defining the kind of relationship between the intelligence and emotion in the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom, shedding much light on the emotional stimulation in the Battle of al-Ṭaff and its impact on the thinking and

course of the Ahl al-Bayt who directed all emotions towards the goals Imam Al-Ḥusayn endeavored to achieve through his blessed rising.

The writer then moves to discussing the way the rituals of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom stimulated the emotional intelligence through such means like weeping, elegiac poetry and prose, ceremonies of consolation, delivering organized speeches on this occasion, and slapping the chests as signs of expressing deep grief. The writer then deals with each one of these acts independently through a detailed scientific study supported by a set of points of evidence deduced from Qur'ānic verses and Prophetic and Imamic traditions.

At the end, the writer seals the essay with an epilogue about the link between the emotional revivification encouraged by the Holy Imams of the Ahl al-Bayt and the conditions specified by the Holy Qur'ān for this process of revivification. Thus, the writer confirms that Imam Al-Ḥusayn met all the emotional needs of the Muslim nation in the same way as he met all their intellectual needs.

التغنّي في مراثي الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ أحمد موسى العلي

يسعى الكاتب إلى بيان مسألة فقهية خلافية من خلال الإجابة عن السؤال الآتي: هل يجوز الغناء في مراثي الإمام الحسين عليه السلام أم لا؟

في البداية تطرّق إلى تعريف الغناء، وبيان حكمه عند المذاهب الأُخرى (غير الإمامية)، وذكر ثلاثة آراء في ذلك، وحاصلها: حرمة الغناء، كراهة الغناء، وإباحة الغناء، ثمّ بيّن حكم استماع الغناء عندهم، حيث ذكر جواز ذلك إن لم يرافقه محرّم.

بعد ذلك ذكر أنّ الإمامية مجمعون على حرمة الغناء، إلّا الكاشاني، وظاهر كلام المحقّق السبزواري، ثمّ تطرّق إلى أدلّة الحرمة، وهي: القرآن الكريم، والسنّة الشريفة، والإجماع.

كما استعرض الخلاف بين الفقهاء في حدود الحرمة، حيث ذهب بعضهم إلى الحرمة المطلقة، وأنّها تشمل جميع أفراد الغناء، وآخرون قالوا باستثناء بعض الأفراد، وهي: غناء المرأة في العرائس، والحداء، والتغنّي بالقرآن وفي مراثي الإمام الحسين عليه السلام.

ثمّ تناول حكم الغناء في المراثي، وبيّن أنّ أكثر الفقهاء ذهبوا إلى حرمة مطلق الغناء، ومنه الغناء في المراثي، بينما ذهب آخرون إلى جوازه، مستدلّين عليه بعدّة أُمور، ومنها: أنّ فيه إعانة على البكاء، والسيرة المستمرّة من غير نكير، وأصل الحلّية، وأنّه ليس من الغناء المطرب، وعدم صدق صفة الغناء على مَن يقرأ المرثية.

ثمّ ناقش الكاتب تلك الأدلّة، وخلُص إلى ترجيح القول بحرمة الغناء في مراثي الإمام الحسين عليه السلام.

CHANTING THE ELEGIES OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM

Shaykh Aḥmad Mūsā al-ʿAlī

The essay is an attempt made by the writer to explain the truth of an issue about which scholars of Muslim jurisprudence have had different opinions. Hence, the essay is tantamount to an answer to the following question: Is it legal to chant the elegies of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom?

In the beginning, the writer gives a definition to chanting and singing and then moves to cite the rulings appertained to chanting according to the jurisprudence of the other Islamic schools of law. Citing three different opinions, the writer concludes that one opinion deems chanting forbidden, another deems it discommended, and a third opinion deems it legal. About the issue of listening to songs and chanting according to the jurisprudence of the other Muslim schools of law, the writer deduces that according to these schools of law, singing is lawful provided that no forbidden matter should accompany it.

He then moves to discussing the same issue in the light of the Imāmiyyah Shīʿah school of law, quoting that all scholars of the Imāmiyyah Shīʿah jurisprudence have unanimously agreed upon the forbiddance of singing except from al-Kāshānī and al-Muḥaqqiq al-Sabzawārī as is understood from the apparent meaning of his verdict. The writer then cites the sources of the evidence on this verdict, which are namely the Holy Qur'ān, the Prophetic and Imamic traditions, and the consensus of the master scholars of Muslim jurisprudence.

About the different opinions of the master jurisprudents concerning the limits of this verdict of forbiddance of singing, the writer mentions that some jurisprudents decided all types and genres of singing as forbidden without any exceptions, while others excluded certain types of singing from this verdict, considering women's singing in wedding parties, songs of cameleers while driving their camels, reading the Qur'ān and the elegies of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom in an intonated way to be legal and excluded from the verdict of the forbiddance of singing.

Dedicating the research to the issue of singing in ceremonies of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom, the writer confirms that the majority of master scholars of Muslim jurisprudence decided singing in all of its forms and types, including singing in such consolation ceremonies, to be absolutely forbidden without any exception, while others decided singing in such ceremonies to be excluded from the verdict of forbiddance, providing some points of evidence to prove their opinion. The proofs they provided were that [1] such singing helps listeners to weep, [2] Muslims throughout ages used to recite such elegies in an intonated form, [3] singing is originally legal and not forbidden, [4] contradiction between the verdicts of scholars about this issue, [5] such singing is not part of rapture and mental exaltation, which is the reason for deciding singing to be illegal, and [6] those who sing elegies cannot be regarded as singers in the general meaning of the word.

The writer then discusses these points of evidence to conclude that singing the elegies of commemorating Imam Al-Ḥusayn's martyrdom is still illegal and forbidden.

حكم زيارة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ حسن البشيري

مقال فقهي استدلالي، يستعرض روايات زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ويبسطها على طاولة البحث؛ لاستنباط حكمها الفقهي.

بعد أن بيّن الكاتب أصل مطلوبية الزيارة، أوضح أنّها إمّا أن تكون على نحو الاستحباب، أو على نحو الوجوب العيني، أو على نحو الوجوب الكفائي.

ثمّ استعرض أدلّة القائلين بالوجوب العيني، وكانت إحدى عشرة رواية، ثمّ أبدى عدّة ملاحظات عليها، أهمّها:

١ ـ ضعف أسانيدها.

٢ ـ عدم دلالة متنها على المطلوب.

٣ ـ معارضتها لروايات أُخرى صريحة في استحباب الزيارة.

٤ ـ عدم فتوى الفقهاء المتقدّمين والمتأخّرين بوجوب الزيارة.

٥ ـ عدم زيارة بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام.

٦ ـ عدم توعّد تاركها بالعقاب، سوى رواية واحد غير ثابتة.

٧ ـ أسئلة الناس للأئمة عليه السلام عن ثوابها؛ مما يدلّ على ارتكاز الاستحباب في أذهانهم.

كما استعرض دليل القائلين بوجوبها الكفائي، وجعله مركّباً من مقدّمتين، الأُولى: هناك روايات دلّت على وجوب الزيارة، الثانية: لا يمكن حمل تلك الروايات على الوجوب العيني، إذن؛ يلزم حملها على الوجوب الكفائي، ثمّ ردّ ذلك بأنّ أغلب أو كلّ تلك الروايات ظاهرة في الوجوب العيني، وإن تعذّر حملها عليه فمقتضى الجمع العرفي أن تُحمل على الاستحباب لا على الوجوب الكفائي.

وختم المقال باختيار القول بالاستحباب العيني، وعبّر عنه: بالصحيح والمشهور والذي تدلّ عليه الروايات المتواترة.

LAWS OF PILGRIMAGE TO IMAM AL-ḤUSAYN'S HOLY SHRINE

Shaykh Ḥasan al-Bashīrī

An argumentative essay concerned with the jurisprudential aspect of pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy shrine, the writer of the essay displays the narrations that encouraged on visiting the tomb of Imam Al-Ḥusayn and introduces them for discussion and conclusion, aiming at deducing the most accurate law concerning this issue.

The writer initially proves that visiting the tomb of Imam Al-Ḥusayn is originally required. He then clarifies that this "requiredness" can be either recommended and advisable, or obligatory upon all individuals independently, or obligatory upon the Muslim nation collectively in the sense that when one Muslim carries out this duty, the others are released from this duty.

Reviewing the points of evidence provided by those who decided pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy shrine to be obligatory upon each individual independently, the writer cites eleven narrations in this regard, but he records a number of notices proving the otherwise. The most important of these notices are as follows:

1. These narrations' chains of authority are not authentic enough.

2. These narrations' texts do not indicate the duty involved as clearly as required.

3. These narrations' texts are in violation of other narrations' texts that openly decided the pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy tomb to be only advisable but not obligatory.

4. None of the ancient and recent master scholars of Shīʿah jurisprudent has ever deemed obligatory the pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy tomb.

5. Some close companions of the Holy Imams were not reported to have visited the holy tomb of Imam Al-Ḥusayn.

6. No narration has threatened with punishment those who forsake visiting or going on pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy tomb, except for one narration that has not been proven as overwhelmingly authentic.

7. People used to ask the Holy Imams about the rewards for visiting Imam Al-Ḥusayn's holy tomb, which indicates that such people knew for sure that this act is only recommended and advisable.

Reviewing the evidence provided by those scholars who deemed collectively obligatory to visit the holy tomb of Imam Al-Ḥusayn, the writer discusses these points of evidence through two premises. The first premise is that there is a number of narrations that indicated that the pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy tomb is obligatory. The second premise is that these narrations cannot be understood to mean that it is obligatory to do so. As a result, it is necessary to understand these narrations to mean that visiting Imam Al-Ḥusayn's holy tomb is only recommended and advisable but not obligatory. Even if there is no way to understand these narrations in this way, then traditional combination of the two sets of narrations requires that it is only recommended, but not collectively obligatory, to visit Imam Al-Ḥusayn's holy tomb.

Sealing the essay, the writer concludes that the most accurate law in this regard is that pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy shrine is only recommended, as is indicated by authentically, famously, and uninterruptedly reported narrations.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام في شهر رمضان

السيّد محمد هاشم المدني

تطرّق الكاتب في هذا المقال إلى موضوع زيارة الإمام الحسين عليه السلام في شهر رمضان المبارك، فبعد أن ذكر القاعدة العامّة الواردة في الأخبار من الندب إلى زيارته عليه السلام في كلّ وقت، وأنّ زيارته خير موضوع، أشار ـ بالاستناد إلى روايات أهل البيت عليهم السلام ـ إلى أنّ هناك أوقاتاً معيَّنة تتأكّد فيها الزيارة ويتضاعف فيها الثواب، ومن تلك الأوقات الشريفة هي زيارته عليه السلام في شهر رمضان المبارك، وعليه؛ عُقِد المقال في مبحثين أساسيين:

جاء في المبحث الأول الحديث عن أوقات الزيارة في هذا الشهر، وقد فرّعها على نحوين، الأوّل: في مطلق الشهر، حيث ذكر ورود الأخبار الحاثّة على زيارته في عموم الشهر. والثاني: في الأوقات الخاصّة في الشهر، وهي: الليلة الأُولى والأخيرة وليلة النصف، وليلة القدر، والعشر الأواخر من الشهر، وليلة العيد ويومه؛ إذ عدّ المورد الأخير من توابع شهر رمضان.

ثم تطرّق في البحث الثاني إلى حكم السفر للزيارة في شهر رمضان، فيما لو تعارض مع الصيام، وقد ذكر طائفتين من الأخبار، الأُولى تدلّ على مرجوحية السفر مطلقاً، وأنّ الصيام هو الراجح، وذكر أنّ هذه الطائفة من الأخبار مقيَّدة بالأخبار الدالة على استحباب الزيارة في شهر رمضان. كما ذكر في الطائفة الثانية ثلاث روايات نهت بشكل مباشر عن السفر لزيارة الإمام عليه السلام في شهر رمضان، وقد علّق عليها بأنّها غير صالحة للاستدلال بها؛ لقصورها سنداً، ومعارضتها بالأخبار الكثيرة المعتبرة الدالة على استحباب الزيارة في شهر رمضان؛ فيتحصّل ممّا ذُكر: استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في شهر رمضان.

PILGRIMAGE TO IMAM AL-ḤUSAYN'S HOLY SHRINE IN THE MONTH OF RAMAḍāN

Sayyid Muḥammad Hāshim al-Madanī

The issue of pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy tomb during the blessed month of Ramaḍān is discussed elaborately in this essay. The writer thus starts with citing the general rule in this regard as inferred from the authentic narrations of the Holy Imams who encouraged forcefully on visiting the holy shrine of Imam Al-Ḥusayn at any time, considering this act to be the best of all acts. Depending upon the words of the Holy Imams, the writer of the essay confirms that there are certain times at which the pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy tomb becomes more recommended than other times, since the rewards for such act are doubled at these specific times. One of these times is during the blessed month of Ramaḍān in which Muslims are obligatorily required to observe fasting. For this reason, the writer divides the essay into two main parts, as follows:

In the first part, the writer discusses the specific times of visiting Imam Al-Ḥusayn's holy shrine during the month of Ramaḍān. He thus subdivides the discussion into two further parts, the first part of which is dedicated to discussing visiting the holy tomb at any time of the month, since many narrations have confirmed this matter. The second part is about visiting Imam Al-Ḥusayn's holy shrine at certain times of the month, such as the first, mid, and last nights of the month as well as the Qadr Nights (i.e. the nineteenth, twenty-first, and twenty-third nights of the month) and the last ten nights of the months generally. In addition, other narrations deemed it recommended to visit the holy shrine at the nighttime and on the daytime of the ʿĪd al-Fiṭr Day, the first day of the month of Shawwāl that comes directly after the month of Ramaḍān. Although this day is not within the month of Ramaḍān, the writer considers it to be so.

In the second part of the essay, the writer discusses the laws appertained to traveling during the month of Ramaḍān for visiting the holy shrine of Imam Al-Ḥusayn, since it is not allowed to travel whilst fasting; therefore, there is contradiction between breaking the obligatory fast and pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy tomb. In this regard, the writer mentions two groups of narrations. The first group includes the narrations that indicate preferring keeping fasting over travelling

during the month of Ramaḍān, which is a general rule. Discussing this issue, the writer proves that these narrations are restricted by the other narrations that indicated the recommendation of visiting Imam Al-Ḥusayn's holy shrine during the month of Ramaḍān; therefore, the indication of the earlier narrations may be eliminated by the indication of the latter ones.

Concerning the second group of narrations, there are namely three narrations that openly warned against going on pilgrimage for visiting the holy tomb of Imam Al-Ḥusayn during the month of Ramaḍān, because keeping on fasting must be preferred to visiting the holy tomb. Commenting, the writer states that these narrations cannot be provided as overwhelming evidence, because their chains of authority are imperfect and also because their purports are in violation of the many other authentic narrations that confirmed the recommendation of visiting the holy tomb of Imam Al-Ḥusayn during the month of Ramaḍān.

In conclusion, pilgrimage to Imam Al-Ḥusayn's holy tomb during the month of Ramaḍān must be recommended.

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية